



مِنَ الْمَسْرَحِ الْعَالَمِيِّ

١٣٦

لورانزاتشو

تأليف : ألفريد دي موسيه
ترجمة وتقديم : ميخائيل بشتاي
مراجعة : يوسف شاهين

أول يناير ١٩٨١

تصدر عن
وزارة
الاعلام
الكويت

مسلسلة

من

المسرح العالمي

مسلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

محمد يوسف الترومي

الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه

أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث

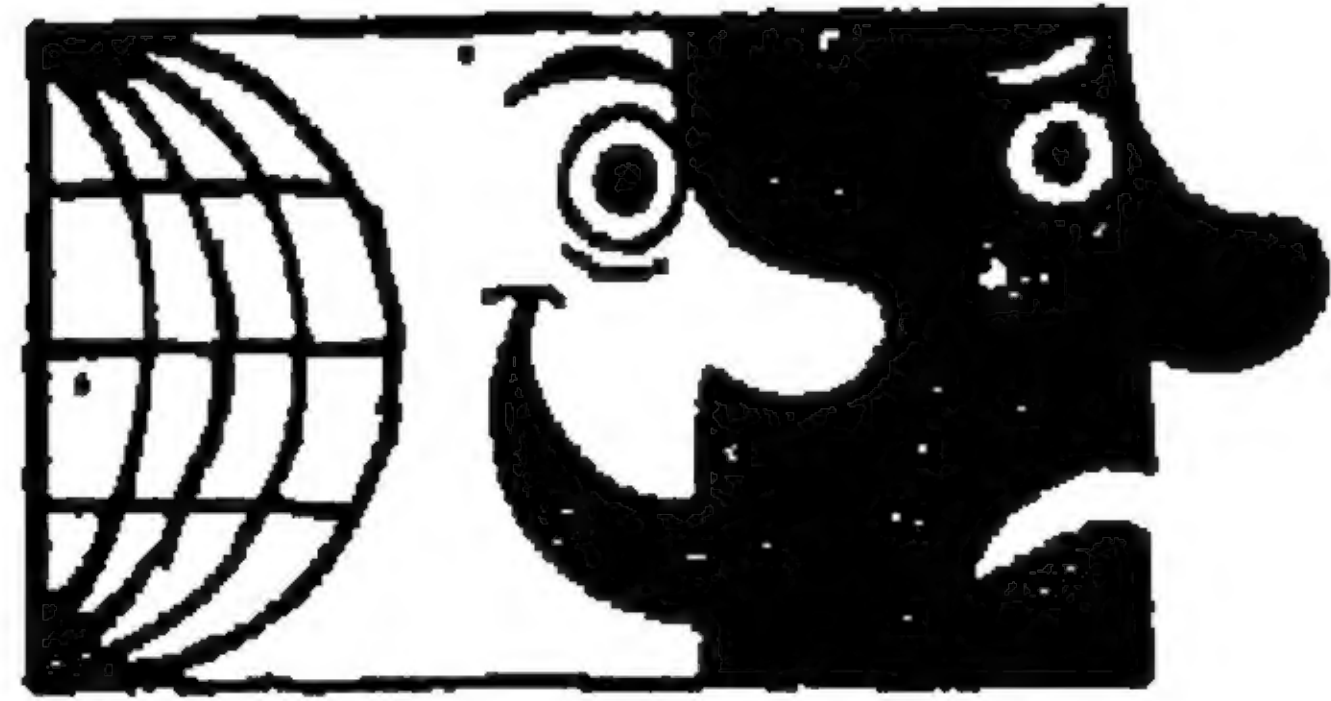
جامعة الكويت

المراسلة بـ باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية

وزارة الاعلام

ص.ب ١٩٣



من المسرح العائلي

لورانزاتشو

تأليف : الفريد دي موسيه
ترجمة : ميخائيل بشتاي
مراجعة : يوسف شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم المترجم

١ - ألفريد دي موسيه

حياته :

ولد « ألفريد فيكتور دي موسيه باتاي » بمدينة باريس في ١١ ديسمبر عام ١٨١٠ لاب من صفار النبلاء ، يشغل منصبا حكوميا مرموقا ، ويتذوق الاداب والفنون ، ويهتم بنشر اعمال الكاتب والفيلسوف الاجنماعي جان جاك روسو . وكان جده لأمه . وهو رجل من رجال الحدم والتتريع ، يرتاد المحافل الادبية ، والعلمية ويصاحب الشعراء ، وينظم الشعر احيانا ، فورث ألفريد عنهما حب الادب والشعر ، الا أنه كان طفلا مدلا ، ملولا ، عصبي المزاج ، وقد بدا نضجه العاطفي المبكر عندما أحب ابنة عمه ، وشرع يقرأ روايات الحب والفروسية ، وهو غلام في العاشرة من عمره . وعندما أدخل كلية هنري الرابع في عام ١٨١٩ . لمع بين أقرانه بجمال طلعتة ، واناقة ملبسه . ونبوغه الذي أهله لنيل الجائزة الاولى في الفلسفة ، والجائزة الثانية في اللغة اللاتينية . وداعبت أهله الامال عندما ترك الكلية ، في عام ١٨٢٧ ، وشرع في دراسة القانون ، الا أنه هجر القانون الى الطب الذي ما لبث أن أعرض عنه بدوره ، وأخذ يرتاد المقاهي ومحافل الرومانسيين ، ومجتمعات أصحابه الماجنين ، المتأنقين ، فيرقص ، ويشرب الخمر ، ويصور ، ويمثل ، ويحب ، ويكتب القصائد ! .

وقد كان موسيه طموحا ، معتدا بنفسه وموهبته . كتب الى صديقه ، وزميله في الدراسة « بول فوشيه » يقول : « أريد أن أكون شيلمر أو شيكسبير أو لا أكون شيئا على الاطلاق ! » ولكنه كان مريض النفس ، ضائقا بالحياة ، فريسة للسأم . كتب في إحدى قصائده وهو في التاسعة عشرة من عمره ، يقول : « هل تعرفين كم من دموع ذرفت لآحيا فحسب ، وكم يلتهم هذا الملل من قلبي ، عندما يفيق من سكرته ؟ » (١) .

وكان من أولئك الذين يؤلهون « الحب » ويؤمنون بأن « الالم » هو القرбан المقدس الذي يقدمونه على مذبح ذلك الاله المزهوم ! .

(١) من قصيدة « السيدة الماكيزة » ١٨٢٩

فكان - فى حياته تلك - عربيدا ، مطلق العنان ، عاكفا على الملذات ، يرتوى جهده من كأس الحياة ، والشباب ، المترعة ، الا أن حلاوة هذه الكأس قد كانت تترسب فى أعماقه لتصبح فى آخر الامر صابا ، وعلقما : « لقد عرفت الالم ، أول ما عرفت ، عندما هجرتنى حبيبة خائنة ! » (٢) .

وكان حتى عام ١٨٣٢ يعيش بمساعدة أهله ، وما يدره عليه قلمه ، فقد نشر فى غضون ذلك ترجمته لرواية توماس دى كوينسى (٣) : « الانجليزى آكل الافيون » ، وديوانه الشعرى : « حكايات اسبانيا وايطاليا » وثلاث قصص منظومة هى « دون باييز » و « بورشيا » و « ماردوش » ومسرحيتى صك الشيطان و ليلة البندقية وديوان « مشهد فى فوتى » الذى تضمن مسرحيتى الكأس والشفاه و أحلام البنات وقصيدة « نامونا » . كما نشر فى مجلة « العالمين » Les Deux Mondes - ابريل ومايو ١٨٣٣ - مسرحيتى أندريه دل سارتو و نزواته ماريان .

وفى يونية عام ١٨٣٣ بدأت علاقته بالكاتبة الروائية أورور دوبان ، التى عرفت باسم « جورج صاند » وكانت جورج صاند (١٨٠٣ - ١٨٧٦) تحيا - بعد أن انفصلت عن زوجها البارون دوديفان - حياة شاذة ، متحررة ، فتعلقت بالكاتب جول صاند و ثم تسمت باسمه بعد تحريف يسير ، وأخذت ترتاد المحافل الادبية فى أزياء غريبة . فلما جمعت مائدة الطعام بينها بين موسيه ، فى مقر مجلة العالمين ، وهى ترتدى صدارا مطرزا بخيوط الذهب ، وتحمل فى خاصرتها خنجرا ، لم يجدها الا امرأة سيئة الذوق ، ولم تره الا فتى مسرفا فى التأنق ، ولكنه لم يلبث أن خطب ودها ، فأهدته كيسا جميلا للنقود ، ثم أصبحا عشيقين وقاما برحلة الى ايطاليا . وهناك أصيب موسيه باضطراب نفسى ، فكان يهذى ، ويرى شبحه سائرا بجانبه فى حلة سوداء ! ثم مرض بالتيفوئيد فتفانت فى خدمته الى أن عاده الطبيب الايطالى باجيللو فانتقلت الى ذراعيه ! وكان أن نشبت المعارك ، وتكررت المشاهد العاصفة بينها وبين الشاعر المريض الذى لم يجد بدا من العودة الى باريس ، فرجع اليها تاركا ورامه تلك المرأة الغادرة التى خاطبها بقوله فى « ليلة اكتوبر » : عار عليك ! يا من كنت أول امرأة علمتنى الخيانة !

لقد خلفت هذه العلاقة جرحا عميقا فى قلب الشاعر . ولكنهما

(٢) من قصيدة « رسالة الى لامرتين » ١٨٣٦

(٣) كاتب انجليزى ولد فى منشستر (١٧٨٥ - ١٨٥٩)

جعلته أكثر ميلا الى التأمل الرصين ، والفلسفة ، فكتب « لياليه »
الاربع (١٨٣٥ - ١٨٣٧) ورسالته الى لامرتين (١٨٣٦) . وكانت
جورج صاند هي التي قدمت اليه موضوع آيته الكبرى لورنزا تشو .
ولكنها لم تكن ملهمته الوحيدة ، فهناك : لويز كوليه ، وايميه دالتون ،
وراشيل (٤) ، وبلجويوزو ، وأوجستين بروهان ، وبياتريس لوردانو
.. ولكل منهن نصيب في حياة هذا الشاعر ، وأعماله ، ومآساته .

وفي الفترة الواقعة بين اغسطس ١٨٣٧ وفبراير ١٨٣٩ كتب
موسيه عددا من القصص النثرية والقصائد . وساءت حالته المادية ،
وفشلت خطبته ، واضطر الى الاشتغال أميناً للمكتبة في وزارة
الداخلية . وما أن حل عام ١٨٤٣ حتى كان الشاب الجميل قد هرم
قبل الاوان : لقد انتابه المرض ، واعتراه الشحوب ، واشتدت عليه
وطأة الملل . . فهو يقول : « لقد فقدت قوتي ، وحياتي ، وأصحابي ،
وبهجة أيامي . لقد فقدت حتى تلك الكبرياء التي كانت تجعلني أؤمن
بعبقريتي (٥) ! » .

ويقول : « انك تتركني وحيدا ، ملولا ، ولكن أملى في عودتك
يمنحني ، رغم مكاره الحياة ، شجاعة طفل يصر على أن يشيخ (٦) ! » .

وعبثا كان يرتاد المسارح ، ويلعب الشطرنج في المقاهي، ويشرب
الابسنت القاتل فقد كان ينحدر سريعا الى المغيب . لقد كان الهامه
يهرب منه . وقد عزل من وظيفته ، وسجن لتهربه من الخدمة في الحرس
الوطني ، كما سجن معاصراه بلزاك وجوتيه . ولكن مكانته الادبية
قد كانت أقوى من ظروفه تلك ، فمنح وسام الليجيون دونير ، وانتخب
عضوا في الاكاديمية الفرنسية ، بعد أن فشل في دخولها مرتين ، ثم
عين أميناً لمكتبة وزارة التعليم العام في مارس ١٨٥٣ .

وفي اليوم الثاني من مايو عام ١٨٥٧ مات ألفريد دي موسيه بين
يدي أخيه بول . ولم يشيعه الا ثلاثون رجلا من أصدقائه الى مقابر
بير لاشيز . وفي ٢٣ مارس عام ١٨٥٨ نقل رفاته الى مقبرة أخرى
قد غرست فوقها صفصافة « باكية » كما كان قد أوصى في قصيدته
الجميلة « لوسي » ونقشت على شاهدها هذه الوصية . !

(٤) اليزا راشيل فليكس وشهرتها : مدموازيل راشيل . ممثلة فرنسية ولدت في
سويسرا . وقد أحييت المأساة الكلاسيكية على المسرح الفرنسي، ومثلت مسرحيات كورني
وراسين (١٨٢٠ - ١٨٥٨)

(٥) من قصيدة « الحزن » ١٨٤٠

(٦) من قصيدة الى ألفريد تاتيه ١٨٤٣

فنه :

عندما قدم بول فوشيه صاحبه ألفريد الى فيكتور هيجو وأنصاره
ملربوا ، وهللوا • فقد راوا فيه خامة طيبة لرومانسى مثالى حقاً :
فتى فى انامنه عشرة من عمره ، جميلاً ، انيقاً ، ذكياً ، متأجج العاطفة ،
متحرراً ، تبشر قصائده الاولى بميلاد شاعر رومانسى كبير ، وقد حقق
موسيه آماله ، فتوالت قصائده ، ومقالاته النقدية ، التى حقق فيها
مفهومه لهذه الحركة الجديدة ، الثورية ، التى ارادوا ان يحتلوا بها
مواقع الكلاسيين • يقول موسيه : « الرومانسية ، يا سيدى العزيز ؟
كلا ، بالتأكيد ، انها ليست رفض الوحدات (٧) او الجمع بين الكوميدي
والتراجيدي ، أو أى شئ فى العالم يمكن أن تذكره • وعبثاً تمسك
بجناح الفراشة ، فلن يبقى فى أصابعك الا دقيقتها الذى يلونها • ان
الرومانسية هى النجم الباكي ، والريح الصرصر ، والليل المرتعد ،
والزهرة العاطرة ، والطائر المحلق ، انها الرمية اليائسة ، والحبور
الفاتر • والامل القرمزى • والملاك ، واللؤلؤة ، وثوب الصفصافة
الابيض (٨) • »

ولكن موسيه سرعان ما أصبح بمثابة « الولد المزعج » عند
أقطاب المذهب الجديد ! صحيح أنه كان من المبشرين بفن شخصى ،
متحرر ، حافل بالمواطف • وكان يؤمن بأن الالم منشأ الجمال والفن •
ولكنه كان يسخر من البهرج الزائف ، والاسراف العاطفى ، و « مدرسة
النظامين » • وكان شديد الاعجاب بشعر بيرون وليوباردى ، ورواية
جوته ، ومسرح شيكسبير ، وفى نفس الوقت كان راشيل تبهره وهى
تقرأ له فى بيتها مسرحية فيلدر للشاعر الكلاسى راسين (٩) • وكان
ينتقل من بكائية « الصفصافة » وغنائية « قصيد الى القمر » الى
الرصينة فى « الافكار الخفية » و « الليالى » و « رسالة الى لامرتين » •
وكان يحترم تقاليد بلاده ، وتاريخها ، والتراث الانسانى الذى ينتقل
عبر الاجيال (١٠) ، ومن ثم فقد كان يصر على أن يجمع العمل الادبى
بين الطابع العالمى الذى تتسم به الاعمال الكلاسية ، والطرافة التى
تميز الانتاج الرومانسى ، وكان يرفض الوصف ، والاساطير ،
والرموز ، وجزالة اللفظ ، ويوفق دائماً بين بساطة البناء الكلاسى ،
وحرية اختيار الشكل التى تبيحها الرومانسية لاصحابها ، فكان

(٧) الوحدات الثلاث التى ينبغى أن تتوفر للمسرحية الكلاسية ، وهى : وحدة
الزمان ، ووحدة المكان ووحدة الحدث •

(٨) الرسالة الاولى من « رسائل ديوى وكوتونيه »

(٩) ألفريد دى موسيه : « عشاء عند مدموازيل راشيل » ١٨٣٩

(١٠) « كلمة عن الفن الحديث » اول سبتمبر ١٨٣٣

لاعماله سحر خاص تستعده من نقاء اللغة ، وبساطة التركيب ، وجملة القول ان موسيه قد كان رومانسيا يجنح الى الكلاسيه . . كما كان كورنى ذا ميول رومانسية . . وكلاهما قد أثرى الفن بأكثر مما فعل الاتباع الخلف للمذهبيين .



لقد ظهر موسيه فى عصر كان الشعر والمسرح لا يزلان مرتبطين فيه ارتباطا وثيقا . ورغم أن المذهب الرومانسى قد أباح كتابة المسرحية نثرا ، فان شعراء هذا المذهب قد كتبوا مسرحياتهم الاولى شعرا ، وكأنهم كانوا يتحدثون بها شعراء المذهب الكلاسي ، قديمه وحديثه .

وقد كان موسيه بفطرتة شاعرا مسرحيا « ففى ديوانه الاول حكايات اسبانيا وايطاليا » نجد مسرحيته الصغيرة **مغلب القط** . كما يضم ديوانه الثانى «مشهد فى فوتى» قصيدة درامية هى «الكأس والشفاء» وفى القصائد الاولى حوار بين دون باييزوكل من بليزا وجوانا . وما الليالى الاربع فى ديوانه « قصائد جديدة » - الا حوار متصل بين ربة الشعر والشاعر . ولكنه لم يكن يقيد نفسه بالدراما الرومانسية التى تمتزج فيها الملهاة بالمأساة ، بل كان ينزع الى الملهاة الخالصة أحيانا ، وهذه خطيئة أخرى قد أضيفت الى رصيده من الخطايا عند الرومانسين - وقد كان له مثله عند الكلاسيين ، بالطبع . . فأغفل أولئك وهؤلاء مسرحيته النثرية ليلة البندقية أو عرس لوريت عندما عرضت فى أول ديسمبر عام ١٨٣٠ . ومنيت المسرحية بفشل ذريع ، فغضب موسيه ، وأقسم ألا يكتب للمسرح بعد ذلك ، فكانت مسرحياته التالية للقراءة لا للتمثيل . واستمرت الجفوة بينه وبين خشية المسرح الفرنسى سبعة عشر عاما حتى ثلث له مسرحية نزوة على مسرح الكوميدي فرانسيز فى ٢٧ نوفمبر عام ١٨٤٧ . وكانت المثيلة الفرنسية ألان ديبريو قد زارت مدينة بطرسبورج ، ووجدت هذه المسرحية تمثل هناك باللغة الروسية ، فلما عادت الى باريس اقترحت على مدير المسرح الفرنسى اخراجها ، وقامت بدور البطولة فيها ، فحققت نجاحا ملحوظا ، واعتبرها الشاعر تيوفيل جوتييه حدثا أدبيا كبيرا ، وعندئذ تنبه الجمهور والنقاد الى مسرحيات موسيه ، وعرض بعضها بنجاح كبير ، فعاد يكتب للمسرح لا لمجرد القراءة .

ويعزى نجاح مسرحيات موسيه الى مامتاز به من الجدة ، والطرافة ، والتحرر من قيود المذاهب الفنية - فى فترة خصامه مع خشية المسرح خاصة - والى سماته الشخصية الظاهرة فى أبطاله ، والى سحر الفضيلة عندما يضيفه ذلك العرييد على نساء مسرحياته،

والى ذلك المزج اللطيف بين السخرية والعاطفة ، وذلك الاسلوب
الرشيق الذى يفيض شبابا وحيوية .

لقد أخذ موسيه من راسين تغلغله فى أعماق القلب البشرى ،
ومن ماريفو براعته فى التحليل النفسى . ومن شكسبير اتساع
افاقه ومشاهده . ومن بوكاشيو سخريته الرقيقة . ولم تكن ملاهيه
دامية ولكنها لم تكن تخلو من لذعة الالم . يقول هنريك هاينى (١١) ،
: لقد قبلته ربة الكوميديا على شفتيه ، وربة التراجيديا على قلبه .

ولقد أخذ النقاد عليه أنه لم يعن فى أعماله - ما خلا مسرحية-
لورنزا تشو ، وبعض القصائد الفلسفية - بغير الحب . ولكن : أى
ضير فى أن يكون الحب موضع اهتمام الشاعر . كذلك وجه اليه
اللوم على كثرة « اقتباساته » من غيره . فهو ، مثلا ، قد استعار عنوان
« مقلب القطر » من حكاية لافونتين المشهورة ، وموضوعها من « أنلروماك »
راسين ، واقترض شعار « ليلة البندقية » - خائنة كموجة البحر - من
عطيل شكسبير وموضوعها من « تاريخ حياة جون كريسلى » لهوفمان .
وأخذ موضوع « مغزل بارييرين » من القصص الايطالى بانديللو (ولماذا
لا نقول : من أسطورة بنيلوبى الاغريقية) وفكرة « الاتان وجدول الماء »
من مسرحية « العاشق رغم أنفه » لكارمونتيل . . .

وقد رد موسيه على نقاده (١٢) ، فميز بين الاستلهام والاستيلاء -
وقال ان الفنان الحقيقى هو الفنان المتواضع الذى لا يجد مانعا من
البحث عن كنوزه فى أقل الاثار الفنية شأنا . وان رفائيل العظيم
كان يقف الساعات الطوال أمام أعمال الفريسيك ، المتوسطة القيمة ،
فى مقابر الكامبوسانتو ، بمدينة بيزا . ويقول موسيه فى اهداء
قصيدته الدرامية « الكأس والشفافة » الى صديقه ألفريد تاتيه : لقد قيل
لى ، فى العام الماضى ، اننى أقلد بيرون . ولكنك ، وأنت تعرفنى ،
تعلم أن هذا غير صحيح ، اننى أكره السرقة الادبية كما أكره الموت .
وكأسى ليست كبيرة ، ولكننى أشرب من كأسى . . .

(١١) شاعر المانى ، ولد فى دوسلدوف ، ويمتاز شعره بالغنائية ، والسخرية
الحزينة . عاش فى باريس بعد عام ١٨٣٠ . ومن أعماله : انترمزو وكتاب الاغانى
(١٧٩٧ - ١٨٥٦)

(١٢) مقدمة الجزء الثانى من ديوان « مشهد فى فوتى »

٣ - مسرحية لورنزا تشو :

عندما عرضت مسرحية «لورنزا تشو» على مسرح جامستون باتي، في عام ١٩٤٥ ، وشاهدها الفيلسوف الوجودي جبرييل مارسيل أدهشه «أن يكتب موسيه وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، هذا العمل الدرامي الكبير » (١٣) الذي وصف بأنه العمل الشيكسبيرى الوحيد في فرنسا ، وآية المسرح الرومانسى . والحق أن مسرحية لورنزا تشو هي مركز الثقل في أعمال موسيه . وهي أكبر أعماله جميعا . وترجع مكانتها الفنية الى طابعها الفريد الذي يضيف الى الحرية والعاطفة والخيال والاعتراف الشخصي - وكلها من خصائص الرومانسية - رصانة وتأملا كلاسيا ، نجدهما ، مثلا ، في متولوج لورنزو (٤ : ٩) وفي الفصل الاخير من المسرحية .

ورغم انها قد نشرت في اليوم الاول من أغسطس عام ١٨٣٤ فإن التفكير الجدى في اخراجها لم يبدأ قبل عام ١٨٦٣ عندما أعدها بول دي موسيه للتمثيل ، وقدمها الى مسرح الكوميدي فرانسيز فرفضها . ثم قدمها في العام التالى الى مسرح الاوديون ، فمنعت الرقابة عرضها . وظلت المسرحية رهن الظلام حتى أخرجتها الممثلة الكبيرة ساره برنسار على مسرحها في ٣ ديسمبر ١٨٩٦ ومثلت دور لورنزا تشو وهي في الثانية والخمسين من عمرها ، فأحدثت دويا شديدا ، واستمر عرض المسرحية خمسا وثمانين ليلة متوالية . ثم أعادت عرضها في الموسم التالى ، ثم في شهر مايو عام ١٩١٢ وكان النجاح حليفها في كل مرة .

وفي عام ١٩١٨ مثلت الكوميدي فرانسيز مقتطفات منها ، ثم مثلتها كاملة في الرابع من يونيو عام ١٩٢٧ . وفضلا عن ذلك فقد حولت لورنزا تشو الى مسرحية غنائية (١٤) ، وأعدت للسينما ، وما زالت تحمل امكانيات جديدة . . .

وكانت جورج صاند هي التى أوعزت الى موسيه بكتابة هذه المسرحية عندما عرضت عليه مشاهد من مسرحية كانت تكتبها بعنوان

(١٣) مجلة « الآداب الجديدة » بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩٤٥

(١٤) وضع موسيقاها ارنست موريه ، وعرضت في مسرح الاوبرا اكوميك عام ١٩٢٠ -

« مؤامرة في عام ١٣٥٧ » ولكنها لم تستطع أن تمضي في كتابتها ، وفقدت الرغبة في اتمامها . فلم يكد يلم بفكرتها حتى أدرك أنه قد وقع على جوهرة ، فأمسك بها ، ورجع الى مصدرها التاريخي وخلقها هذا الخلق الجديد .

وقد كان المصدر الرئيسي لكل من صاند وموسيه ، ذلك الفصل من كتاب تاريخ فلورنسا للمؤرخ الايطالي بنديتو فاركي ، الذي يتناول حياة لورنزو دي مديتشي ، ومقتل الكساندر - دوق فلورنسا - بيده في عام ١٥٣٧ . وقد وضع فاركي كتابه هذا بايعاز من كوزمو - الدوق الجديد بعد مقتل الكساندر - وذكر له لورنزو بنفسه كيف ارتكب هذه الجريمة .

ونعلم مما ذكره فاركي أن لورنزو قد ولد في فلورنسا ، في الثالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٤ ، لاب خائب ، مجنون ، هو : بيير فرانسوا دي مديتشي ، وام راجحة العقل ، رائعة الجمال ، طيبة القلب ، هي : ماريا سوديريني . وقد تزلزلت ولورنزو صغير فكرست حياتها لتربيته ، وأظهر من ناحيته ذكاء حادا ، ولكنه لم يكد يبلغ من الرشد ، حتى تكشفت طبيعته القلقة ، الجانحة الى الشر ، وأحاط نفسه بجماعة من أصدقاء السوء ، وراح يطارد النساء ، ويرتكب كل موبقة ولم يكن يضحك قط ، بل كان يبتسم فحسب . ولم يكن جميل الطلعة الا أنه كان رقيق العاشية ، أسمر اللون ، سوداوي المزاج . وبينما كان في روما حطم رؤوس التماثيل التي كانت في قوس قسطنطين ، فأبعده البابا الى فلورنسا وهناك أخذ يتقرب الى الدوق الكساندر . واستطاع أن يخدعه بمظهره وأن ينفذ له كافة مآربه . وكان يتجسس لحسابه ، فيتصل بأعداء الدوق المنفيين من فلورنسا ، ويطلعه على رسائلهم . وكان يظهر الجبن ، ويزعم أنه لا يجرؤ على حمل السلاح أو لمسه أو ذكره ، فيطرب الدوق لذلك ، ويجعله مادة للهوى وسمره . وكان يدرس ، ويقرأ ، ويسير وحده كثيرا ، فيدعوه الدوق بالفيلسوف ، بينما كان الآخرون الذين يعرفون حقيقته يدعونه لورنزا تشو (١٥) . لهذا كله أولاه الدوق ثقة لا حد لها ، واتخذ منه قوادا ، ولم يصغ الى من كانوا يحذرونه من مغيبة التصاقه به ، واطمئنانه اليه ، رغم كثرة الشواهد التي كانت تدعوه الى التزام الحذر .

(١٥) ان اللغة الايطالية غنية بصيغ التصغير التي تعطي الاسم الواحد مدلولات مختلفة . وهنا يضيف خصوم لورنزو الى اسمه المقطع الاخير accio للتحقير . وفي مشهد الاغماء (١ : ٤) يؤنثه الدوق فيدعوه ساخرا باسم لورنزيقا ، بينما تدلله أمه باسم ونزو أو لورنزينو .

ولم يبعد موسيه قيد أنملة عن شخصية لورنزو التاريخية . وقد وجد من أوجه الشبه بينه وبينها ما مسكنه من أن يسبر أغوارها ، ويصورها هذه الصورة الحية الاليمة . لقد كان يشرح نفسه وهو يصور لورنزو . وليس هذا كل ما تنسم به المسرحية من الواقعية . فلقد صور المؤلف مدينة فلورنسا كما شاهدها وما عرف من تاريخها . وكان الصائغ والتاجر وماريا سود يرينى وكاترينا جينوى ، وغيرهم ، أشخاصا من واقع الحياة ، وأشخاصا معاصرين للكاتب ، قد كانت لهم أدوارهم فى المجتمع الباريسى ، وربما كانت أمه ، من بعده ، أبرز الجميع . ويحتمل - فيما يتعلق بالجانب السياسى من المسرحية - أن يكون قد أفاد من ثورة يوليو عام ١٨٣٠ فى فرنسا ، ومن تأسيس إيطاليا الفتاة ، عام ١٨٣١ ، ومناداة ماتسينى بالوحدة الإيطالية وبالجمهورية .

وقد التزم موسيه الدقة التاريخية التزاما يكاد أن يكون تاما . فلم يبتكر من أحداث المسرحية شيئا . ولم يكن أمامه غير هدفين أساسيين هما : سلامة التركيب ، واجتلاء شخصية البطل . وقد تحقق له الهدف الاول رغم طول المسرحية . فالحدث يتطور فى سياق منتظم والمشاهد الموجزة يخدم بعضها بعضا . والحوار سلس ، دقيق . أما لورنزو فقد عرضة موسيه عرضا دراميا بالغ القوة ، يعطينا صورة متعددة الجوانب للتمزق المدمر . فهو فى بلاط الكساندر : الفاسق العربيد ، والجبان الهياب ، والمتطق الذليل ، وفى بيت فيليب : الثائر الناقم ، الذى يتأجج فى صدره لهيب الحق ، واليائس من اصلاح نفسه وصلاح البشر ، والبطل المأساوى السامى الى تحقيق هدف يعلم أنه عقيم ، وأنه سيقضى عليه . وهو فى بيت أمه : الطاهر ، النقى ، الذى يقاوم عنصر الشر فيه ، والساخر اللاذع من صغار بعض الرجال . وهو ، فى ذلك كله ، لا يفكر الا فى قتل الكساندر . ودافعه الى ذلك دافع مركب . فلقد اعتزم أن يقتل الكساندر ليقضى على الطفيان فى شخصه ، تشبها بقاتل يوليوس قيصر . وضحى بطهارته ، وأخلاقه السوية ، حتى يصل اليه من هذا الطريق الوحيد ، ولكن صعبة ذلك الشيطان الداعر قد جعلته يدمن الرذيلة ، ويلتذ بها ، ولا يستطيع الخلاص منها . لقد كتبت عليه اللعنة الابدية ، وثأره الان ثار شخصى يتطلب الانجاز .

قد يذكرنا لورنزو ، وهو يفكر فى الثار ، بهاملت . وهو نفسه يذكرنا ، فى المشهد الثالث من الفصل الرابع ، بأوريست . ولكن ، بمن يذكرنا ، فى الفصل الخامس ، عندما يخرج رغم تحذير فيليب ، لملاقاة الموت فى يأس مرير ، واستهانة فاجعة . فى هذا الموقف الختامى ، وذروة المأساة : موقف رجل قد سعى سعيه الحثيث الى الفناء . ان لورنزو لم يكن غير الصورة الدرامية ، والوجه الحقيقى

لموسيه ، ذلك العرييد الذى يحن الى الفضيلة • والسياسى الذى
يقسد ارتياجه فى الناس ايمانه بقدرتهم على تغيير مقدراتهم • والنايغة
المريض الذى هرم فى مقتبل عمره ، ولكنه وهب مسرحياته ، واشعاره
شبابا دائما ...

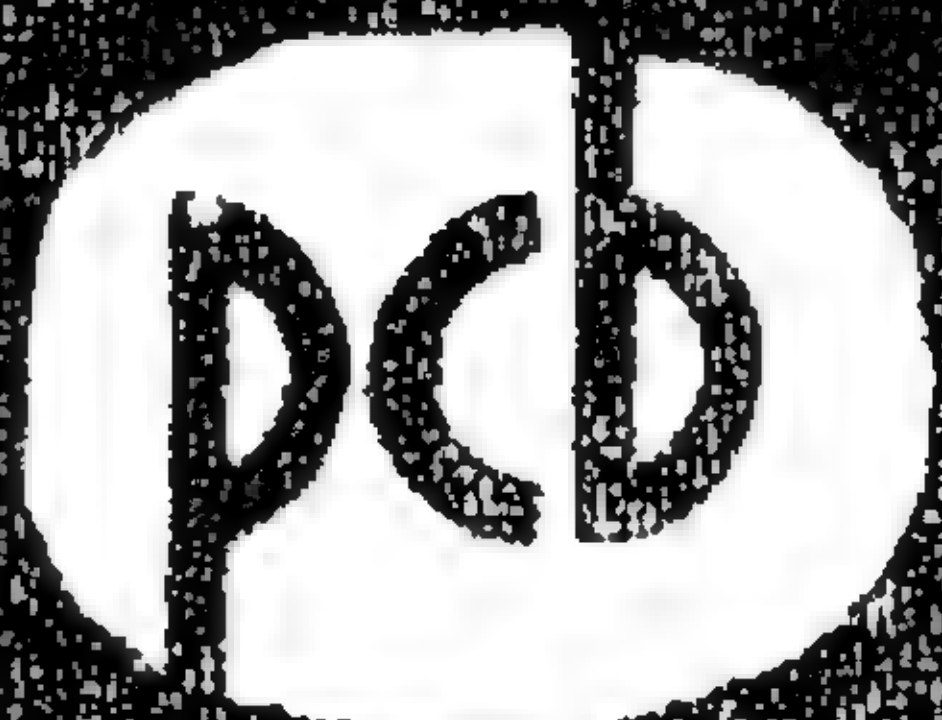
لورانزاتشو

تأليف : الفريد دي موسيه

ترجمة : ميخائيل بشكاي

مراجعة : يوسف شاهين

BORDAS



MUSSET

Lorenzaccio

شخصيات السرحية

Alexandre de Médicis		الكساندر دى مديتشى ، دوق فلورنسا
Lorenzo de Médicis	ابنا عمه	لورنزو دى مديتشى (لورنزا تشو)
Côme de Médicis		كوم دى مديتشى
Le Cardinal Cibo		الكاردينال تشيبو
Le Marquis Cibo		الماركيز تشيبو ، اخوه
Sire Maurice		سير موريتشه ، رئيس « الثمانية » (١)
Le Cardinal Baccio Valeri		الكاردينال باتشو فالورى ، القاصد الرسولى
Julien Salviati		جوليان سالفياتى
Philippe Strozzi		فيليب ستروتسى
Pierre Strozzi		بيير ستروتسى
Thomas Strozzi	اولاده	توماس ستروتسى
Léon Strozzi		ليون ستروتسى ، عملة كابو (٢)
Roberto Corsini		روبرتو كورسينى ، حاكم القلعة
Palla Braccellai		باللا روتشيللاى
Alamanno Salviati	جمهوريون	الامانو سالفياتى
Francois Pazzi		فرانسوا پاتسى
Bindo Altoviti		بيندو التوفيتى ، هم لورنزو
Venturi		فنتورى ، رجل ثرى

(١) مجلس قضائى ، كان يتألف من ثمانية أعضاء .

(٢) prieur أو magistrat وهو منصب مدنى رقم ان شاغل له قد كان

من رجال الدين .

Tebaldeo	تيبالديو ، مصور
Scoronconcolo	سكورونكونكولو ، قاتل محترف
Les Huit	الثمانية
Guicciardini	جويتشيارديني
Giomo Le Hongrois	جومو الهنغاري ، حامل سلاح الدوق
Maffio	مافيو ، من العامة
Marie Soderini	ماريا سوديريني ، أم لورنزو
Cathrine Ginori	كاترينا جينوري ، خالته
La Marquise Cibo	الماركيزة تشيبو
Louise Strozzi	لويزة ستروتسي

سيدتان من البلاط - ضابط ألماني - صائغ - تاجر - معلمان
 وطفلان - أتباع - جنود - رهبان - أفراد من العاشية - منفيون -
 تلاميذ - خدم - عامة - . . . الخ ، الخ .



المكان : مدينة فلورنسا ، ومدينة فينتسيا

الفصل الأول

المشهد الأول

بستان . ضوء القمر . كوخ في الصدر ،
وآخر في المقدمة يدخل الدوق ولورنـزو
« متخفيين في معطفيهما » وجومو « يحمل
مصباحا في يده »

الدوق : إذا جعلتـنا ننتظر ربع ساعة آخر . سأمضي !
البرد قارس للغاية !

لورنـزو : صبرا ، يا صاحب السمو ، صبرا !
الدوق : كان ينبغي أن تخرج من عند أمها في منتصف
الليل . وها هو الليل قد انتصف دون أن تأتي !

لورنـزو : إذا لم تأت فقل اني رجل مغفل . وان أمها
العجوز امرأة شريفة !

الدوق : ويحيى ! إن ألف دوكا (١) قد سرقت مني ،
مع كل هذا !

لورنـزو : إننا لم ندفع غير نصف الأجر مقدما ، وأنا
كفيل بالصغيرة ! إن عينين واسعتين ، متيمتين ،
لا تخدعان . وأي شيء أهم عند الخبير من
خطيئة في مهدها ؟ إنه يرى في طفلة ذات خمسة

(١) عملة ذهبية قديمة ، سككت لأول مرة بمدينة فلورنسا في القرن الثالث عشر
الميلادي .

عشر عاما داهية المستقبل . ويدرس ، ويبدر
البذرة ، ويدس بطريقة أبوية عرق الرذيلة
الخفى ، في نصيحة صديق ، ومداعبة للذقن . .
فيقول كل شيء ، ولا يقول شيئا . . وفقا
لطبع الأبوين . . وفي رفق ، يُعود المخيلة
التي تمضى في تجسيد أشباحها ، والعبث بما يخيفها ،
وازدراء ما يحميها ! ويتم هذا بأسرع مما يظن .
وميزته الحقيقية في أن يضرب ضربا محكما
ويا لها من كثر ، هذه الفتاة ! إنها كل ما يمكن
أن يتيح ليلة ممتعة لسموك ! وما أشد حياءها !
إنها قطعة صغيرة تشتهي الفطائر ، ولكنها لا تريد
أن تلوث كفها ! إنها نظيفة كقطعة فلامندية !
إنها تمثل الطبقة الدنيا من البورجوازية . ثم إنها
ابنة قوم بسطاء لم تسمع لها رقة حالهم بتربية
قوية ، فلم تتأصل مبادئها ، ولم تكن سوى طلاء
خفيف ، ولكن : أية موجة عارمة ، في نهر
رائع ، تحت هذه القشرة من الجليد الهش الذي
يتكسر في كل خطوة ! ما من شجرة مزهرة
قد وعدت قط بثمار أبدع من هذه الثمرة !
وما تنشقَّت يوما ، في جو طفولي ، ألد من
ذلك عطرا للفجور !

المدوق : ويحي ! لست أرى الإشارة . وينبغي أن أذهب
إلى الحفل الراقص عند نازي ! إنه يزوج ابنته
اليوم .

جـومـو : هيا ، إلى الكوخ ، يامولاي ! ومادام الأمر
لا يتعدى خطف فتاة قد دفع لها نصف الأجر ،
فنستطيع أن نقرع زجاج النافذة .

الدوق : تعال من هنا . الهنغاري على حق (يتعدون .
يدخل مافيو)

مافيو : لقد كان يبدو لي في الحلم أنني أرى أختي تعبر
بستاننا ، ممسكة بمصباح مستور ، مرصع
بالأحجار الكريمة ! ولقد استيقظت فرعاً ،
ويعلم الله أن ذلك ليس إلا وهماً ، ولكنه وهم
أقوى من أن يقاومه النوم ، ولا يلوذ أمامه
بالفرار ! شكراً للسماء ! ها هي ذى نوافذ
الكوخ الذى تنام فيه الصغيرة ، مغلقة كالعادة ،
وأكاد ألمح ضوء مصباحها بين أوراق تبتنا
القديمة . الآن تتبدد مخاوفي الحمقاء . وتجعل
ضربات قلبي المتلاحقة مكاناً لاطمئنان جميل .
مجنون ! تمتلئ عيناى بالدموع كأن أختي
المسكينة في خطر حقيقى . . ماذا أسمع ؟ من
يتحرك هناك بين الأغصان ؟ (أخت مافيو تمر
من بعيد) هل أنا يقظ ؟ هذا شبح أختي ، وهى
تمسك بمصباح مستور ، وعلى صدرها قلادة
لامعة تتلألأ تحت أشعة القمر ! جابرييل !
جابرييل ! إلى أين تذهبين ؟

(يعود جومو والدوق)

جـومـو : إنه بالتأكيد أخوها الأبله ، سائراً في نومه .

سيقود لورنزو فتاتك الجميلة إلى القصر عن طريق الباب الصغير . أما نحن فماذا نخاف ؟

مافيو : من أنتما ؟ ياهذان ! قفا ! (يجرد سيفه)

جومو : إننا صديقاك ، أيها الريفى الشريف !

مافيو : أين أختى ؟ عم تبحثان هنا ؟

جومو : لقد أطلقت أختك من العش ، أيها الوغد الشجاع ! افتح سياج بستانك .

مافيو : جرد حسامك ، ودافع عن نفسك ، أيها السفاح !

جومو : (يثب عليه ويجرده من سلاحه) قف مكانك ! ليس بهذه السرعة أيها الأحمق !

مافيو : يا للعار ! ويا لفرط الشقاء ! لو كان في فلورنسا قوانين ، ولو كان شيء من العدالة لم يزل حيا على وجه الأرض ، بفضل ما هو حقيقسى ، ومقدس ، في الدنيا ، فاني ساطرح نفسى عند قدمى الدوق ، وسيأمر بشنقكما انتما الاثنين !

جومو : عند قدمى الدوق ؟

مافيو : نعم ، نعم ، إنى اعلم ان الاوغاد من نوعكما

يذبحون الاسر بلا عقاب ! ولكنى لومت - ولتسمعا - فلن اموت في صمت كالكثيرين

واذا لم يكن الدوق يعلم ان مدينته غابة مملوءة

باللصوص ، مملوءة بالقاتلين بالسم ، وبالفتيات

اللواتي تهتك أعراضهن ، فهذا واحد سيقول له

ذلك . آه مذبحة ! آه ! سلاح ودم ! ستقتص
لي العدالة منكما !

جومو : (والسيف في يده) هل أضرب ، يا صاحب السمو؟
الدوق : أوه ! تضرب هذا المسكين ! اذهب ونم ،
يا صديقي . وسنبعث اليك غدا ببعض الدوكات
(يخرج)

مافيو : إنه الكساندردي مديتشي !
جومو : انه هو نفسه . ايها الريفى العزيز . الشسجاع !
اياك والتباهى بزيارته إذا كنت حريصا على
اذنيك ! (يخرج)

المشهد الثانى

طريق . في مطلع النهار . أقنعة كثيرة تخرج من
بيت تضيئه الانوار .

تاجر اقمشة حريرية ، وصائغ ، يفتحان
دكانيهما .

تاجر الحرير : هيه ! هيه ! ايها الأب مونديللا ، هذه ريح
طيبة لاقمشتى (ينشر قطعه الحريرية)

الصائغ : (متثابا) إنه شىء يصدع الراس ! لعنة الله على
عرسهم ! إننى لم اغض عيني طيلة الليل !

التاجر : وزوجتى ايضا ، يا عزيزى ! لقد كانت تلك
الحبيبة الغالية تتقلب ، وتتقلب ، كئيبان الماء !

آه ! أجل ! عندما يكون المرء شابا ، لا ينام
على صخب الكمان !

الصائح : شابا ! شابا ! هذا فضل منك ! لا يكون المرء
شابا وله لحية كهذه ! ويعلم الله ان كانت
موسيقاهم اللعينة هذه تثير عندي رغبة في
الرقص ! (يمر طالبان)

الطالب الأول : ما من شيء يسلى أكثر من هذا . نندس أمام
الباب في وسط الجنود . ونراهم (٢) وهم يهبطون
الدرج في ملابسهم الملونة بجميع الألوان . انظر ؛
ها هو بيت عائلة نازي (ينفخ في أصابعه) إن
لوحتي (٣) تثلج يدي .

الطالب الثاني : وهل يسمحون لنا بأن نقرب ؟

الطالب الأول : وبأي حق يمنعونا ؟ إننا فلورنسيون . انظر إلى
هذا الزحام كله حول الباب . خيول وأتباع
وخدم ! والكل يروح ويجيء . وما علينا إلا أن
نتعرف عليهم قليلا . . . إنني أستطيع أن أذكر
أسماء الشخصيات الكبيرة كلها ، وما هو إلا أن
أتأمل الملابس كلها جيدا ، لأقول مساء في
المرسم : إن عندي رغبة فظيعة في النوم ! لقد
قضيت الليلة في الرقص عند الأمير الدوبرانديني
وعند الكونت سالفياتي ، وقد كان الأمير
يرتدي ملابس بهذه الطريقة أو تلك ؛ والأميرة

(٢) المدعوين ، في ملابسهم التنكرية .

(٣) لوحة الرسم . وسوف يتضح ان المتكلم كان يتعلم هذا الفن .

ترتديها بطريقة أخرى ، ولا أكون كاذبا !
هيا ، تعلق بذيل معطفى (يقفان أمام باب
البيت)

الصائح : هل تسمع الأحمقين الصغيرين ؟ وددت أن يفعل
واحد من صبيانى هكذا !

التاجر : لا بأس ، لا بأس ، أيها الأب مونديللا !
لا يخسر الشباب شيئا عندما تكون المتعة بالمجان !
والى لتفرح قلبى ، من هؤلاء الصغار ،
كل هذه العيون التى تتسع دهشة وإعجابا ! لقد
كنت هكذا ، أتشمم الهواء ، وأتنسم الأخبار .
يبدو أن ابنة نازى فتاة طروب ، جميلة ، وأن
ابن مارتيللى ولد سعيد الحظ . هذه أسرة
فلورنسية حقا ! أى مظهر هؤلاء السادة العظام
كافة ! أعترف بأن هذه المحافل تمتعنى عندما
أجلس هادئا في فراشى ، وركن من سستائه
مرفوع ، وأنظر من آن لآخر إلى الأضواء التى
تروح وتجيء في القصر ؛ وألتقط لحنا راقصا
صغيرا ، دون أن أدفع شيئا ؛ وأقول لنفسى ،
حسنا ، حسنا ؛ تلك هى أقمشى التى ترقص . .
أقمشتى الجميلة ، بفضل الله ، على الأجساد
الغالية لكل أولئك السادة الشجعان ! الأوفياء ،

الصائح : هناك يرقص أكثر من ثوب لم يدفع له ثمن ،
يا عزيزى ! وتلك هى الثياب التى يسكبون فوقها
الحمرة ، ويحكمونها على الجدران ، بأقل قدر

من الأسف ! وأن يلهو السادة الكبار ، فشىء
بسيط للغاية . لقد ولدوا لهذا . ولكن هناك
أنواعا كثيرة من اللهو ؛ هل تعرف ما أعنى ؟

التاجر

: نعم ، نعم ؛ كالرقص ، وركوب الخيل ،
ولعب الكرة ، وأشياء أخرى كثيرة . ماذا
تعرف أنت ، أيها الأب مونديللا ؟

الصانع

: يكفى هذا . إنى أعرف ما أقول . إنى أعرف
أن جدران هذه القصور كلها لم تبرهن يوما على
صلابتها خيرا من ذلك ، إنها — لكى تحمى
الآباء من مطر السماء — قد كانت تحتاج إلى
قدر من القوة أقل مما تحتاج إليه لتسند الأبناء
عندما تسكرهم خمرهم !

التاجر

: إن لكأس من الخمر أثرا طيبا ، أيها الأب
مونديللا . ادخل إلى دكانى لأريك قطعة من
المخمل .

الصانع

: نعم ؛ إن لها أثرا طيبا ، ومنظرا حسنا ، يا عزيزى
إن لكأس طيبة من الخمر المعتقة منظرا حسنا
في يد قد اكتسبتها بالعرق ! يرفعها المرء
على مهل وهو مبتهج ؛ وتقوى قلب الرجل
الشريف الذى يعمل من أجل عائلته . أما شباب
البلاط المتأنقون هؤلاء فهم جميعا دنان خمر
بلا حياء . ومن ذلك الذى يسرونه عندما تبلغ
بهم البهيمية حدا يجعلهم كالضواري ؟ لا أحد ،
بل ولا أنفسهم ؛ فهم بالحرى لا يسرون الله !

التاجر : ينبغي الاعتراف بأن الكرنفال قد كان متسما
بالخشونة ، وقد أتلّف لي بالونهم اللعين من
البضاعة ماقيمته خمسون من الفلورينات . حمدا
لله ! لقد دفعها آل ستروتسي .

الصائح : آل ستروتسي ! لعنة الله على أولئك الذين آتتهم
الجرأة فاعتقلوا ابن أخيه (٤) ! إن فيليب
ستروتسي أشجع رجل في فلورنسا .

التاجر : ان ذلك لم يمنع بيير ستروتسي من أن يجر فوق
متجرى بالونه اللعين ويلطخ لي - بثلاث بقع
كبيرة - ذارعا من المخمل المطرز . بالمناسبة ،
أيها الأب مونديللا : هل نتلاقى في مونتوليفيه (٥) ؟

الصائح : إنني لا أحترف السير وراء الأسواق ، ولكنني
سأذهب إلى مونتوليفيه التماسا للرحمة : إنه حج
مقدس يا عزيزي ، وفيه تغتفر الخطايا جميعا .

التاجر : وهو محترم جدا يا جاري العزيز ؛ ويربح فيه
التجار أكثر من أيام السنة الأخرى جميعا .
ويبتهج المرء حين يرى أولئك السيدات الورعات
وهن يلمسن ، ويختبرن الأقمشة كلها عند
خروجهن من القداس ! حفظ الله صاحب
السمو ! إن البلاط شيء عظيم !

(٤) كانت العادة في احتفالات المساخر هذه أن يسحبوا في الشوارع بالونا ضخما
يكتسح في طريقه السائرين ، وواجهات المتاجر . وقد اعتقل بيير ستروتسي لهذا
السبب .

(٥) كان الناس يجعون كل عام ، في أيام الجمعة من شهر مارس ، إلى كنيسة
سان مينيأتو التي كان يقيم فيها رهبان جبل أوليفيه . وكان التجار ينتهزون هذه
الفرصة ليقتعوا متاجرهم هناك .

: البلاط ! ألا فاعلم انه عبء على الشعب ! لقد

كانت فلورنسا — قبل وقت ليس ببعيد — بيتا صالحا ، جيد البناء ؛ أعمدته كل هذه القصور الكبيرة التي تسكنها عائلاتنا الكبيرة . ولم يكن أى عمود من هذه الأعمدة كلها يرتفع فوق غيره قيراطا واحدا . وكانت تضم إليها جميعا قبة قديمة ، ومتينة ؛ وكنا نتجول تحتها دون أن نخشى سقوط حجر فوق رءوسنا ! ولكن هناك مهندسين يعوزهما سداد الرأى ، قد أفسدا ذلك الحال ! وأقول لك — فيما بيننا — إنهما : البابا ، والامبراطور شارل (٦) . لقد بدأ الامبراطور بأن دخل البيت المذكور من ثغرة ملائمه للغاية . ثم رأوا ، بالمناسبة ، أن يأخذوا عمودا (٧) من الأعمدة التي أحدثك عنها ؛ وأعنى به قصر مديتشي ؛ وأن يقيموا هنالك برجاً للأجراس — هذا البرج الذى ارتفع في ليلة واحدة كأنه فطر تعشش فيه التعاسة ! وبعد ذلك ، يا عزيزى ؟ كان البناء يهتز مع الريح ؛ فقد كان له رأس شديد الثقل وساق ناقصة ؛ ووضعوا مكان العمود ، الذى أصبح برجاً للأجراس ، لطة كبيرة لاشكل لها ، مصنوعة من الوحل والبصاق ، وأطلقوا عليها اسم

(٦) الامبراطور الالماني شاول الخامس او شارلكان (١٥٠٠ - ١٥٥٨) .

(٧) يعنى قصرا .

القلعة (٨) ! واستقر الألمان في هذه الحفرة
اللينة كالجردان في قطعة من الجبن ! ومن الخير
أن تعلم أنهم يراقبوننا وهم يلعبون النرد ،
ويشربون نبيذهم الحامض (٩) ! ولقد صرخت
العائلات الفلورنسية كثيرا ؛ وقال الشعب ،
والتجار ، كلاما كثيرا ؛ وآل مديتشي يحكمون
بواسطة حاميتهم ، ويلتهمونا كما تلتهم القرحة
السامة معدة مريضة ! وبفضل الحراب التي
تتجول على الرصيف ، ينام في أسرة بناتنا ،
ويشرب زجاجات خمرنا ، ويحطم زجاج
نوافذنا ، نغل نصف مديتشي ، وجلف جعلته
السماء ليكون صبي جزار أو خادما يجسر
المحراث ؛ وندفع له أجرا على ذلك !

التاجر : ويحك ! ويحك ! لشد ماتنطلق في الحديث !
يبدو أنك تحفظ هذا كله عن ظهر قلب ؛
وليس من الخير أن يقال هذا في جميع الآذان ،
ياعزيزى مونديللا !

الصائغ : وماذا لو نفيت كالكثيرين غيري ؟ أعيش في
روما (١٠) ، كما أعيش هنا ! فليأخذ الشيطان

(٨) بنيت هذه القلعة لايواء العرس الألماني الذي بعث به شارل الخامس لحماية
آل مديتشي بعد إعادتهم إلى الحكم ، وما زالت موجودة باسم فروتسادا باسو
(القلعة السفلى) *

(٩) نبيذ الرين *

(١٠) كانت روما إحدى المدن التي يلجأ إليها المنفيون من فلورنسا رغم تحالف
البابا وعائلة مديتشي *

حفل الزفاف ، وأولئك الذين يرقصون فيه ،
وأولئك الذين يقيمونه ! (يعود إلى دكانه .
يختلط التاجر بالمتطلعين من الناس . يمر رجل
من الشعب مع زوجته)

الزوجة : إن جيوم مارتيللي رجل مهذب وغنى ، وإنه
ليسعد نيكولو نازي أن يكون له صهر مثله .
أنظر ! ما زال الرقص دائراً . . أنظر إلى كل

الرجل : ونحن ، متى نزوج ابنتنا ؟

الزوجة : كل شيء تغمره الأنوار ! ما أجمله حفلاً
يستمر فيه الرقص حتى هذه الساعة ! يقولون
إن الدوق هناك .

الرجل : أن يجعلوا من النهار ليلاً ، ومن الليل نهارة ،
فهذه وسيلة ملائمة لكى لا يروا شرفاء الناس !
وإنها لبدعة جميلة حقاً : هذه الحراب المشرعة
أمام باب يحتفلون وراءه بالزفاف ! فليحفظ الله
المدينة ! يخرج لها في كل يوم شيء جديد من
أولئك الألمان الكلاب وقلعتهم اللعينة !

الزوجة : انظر إلى القناع الجميل ! آه ! والثوب البديع !
واحسرتاه ! كلها أشياء تكلف غالياً ، ونحن
فقراء نعيش عيشة الكفاف

(يخرجان)

جندي : (إلى التاجر) ابتعد ، أيها الوغد ! دع الخيول
تمر .

التاجر : أنت الوغد ، أيها الألساني اللعين ! (يضربه
الهندي برمح)

التاجر : (وهو يتراجع) هكذا ينفذون المعاهدة ! إن
أولئك الأندال يضطهدون المواطنين ! (يعود
إلى مكانه)

الطالب : (لزميله) هل ترى ذلك الذي يخلع قناعه هناك ؟
إنه باللا روتشيلاي . رجل جرىء ومعتد
بنفسه ! وهذا الشخص الضئيل بجانبه ، هو
توماس ستروتي . ماساتشو (١١) كما يقولون .

تابع : (صائحاً) جراد صاحب السمو !

الطالب الثاني : فلنمض . ها هو الدوق يخرج .

الطالب الأول : هل تعتقد أنه سيأكلك ! (يشتد الزحام عند
الباب) .

الطالب الأول : هذا نيكوليني (١٢) . وهذا حاكم القلعة
(يخرج الدوق مرتدياً ثوب راهبة ، مع جوليان
سالفياتي مرتدياً نفس الزي ، وكلاهما مقنع) .

الدوق : (يركب الجواد) هل تجيء يا جوليان ؟

سالفياتي : كلا ! ليس الآن ، يا صاحب السمو (يحدّثه
في أذنه) .

الدوق : حسناً ، حسناً . . تشجع !

(١١) تصغير توماس .

(١٢) حقيقة تاريخية .

سالفياتي : إنها جميلة كعرائس الجان ! دعني أتصرف .
ولو استطعت أن أتخلص من زوجتي ... (يعود
إلى الحفل) .

الدوق : إنك مخمور ، ياسالفياتي . ويحك ! إنك تترنح !
(يرحل مع حاشيته) .

الطالب الأول : الآن وقد رحل الدوق ، فلن يمضي وقت طويل
إلا وينتهي الحفل (تخرج الأقنعة من كل جانب)

الطالب الثاني : أحمر وردى ، وأخضر ، وأزرق . لقد امتلأت
بالألوان عيناى ، ورأسى يدور !

رجل من الشعب : يبدو أن وقت العشاء قد طال ، فهاهما اثنان
لا يستطيعان أن يتماسكا (حاكم القلعة يمتطي
جواده . تسقط على كتفه زجاجة مهشمة)

الحاكم : أوه ! يا هذا ، سحقا لك ! من السفاح هنا ؟

قناع : إيه ! ألا تراه ، ياسيد كورسني ؟ انظر ! انظر
إلى النافذة . إنه لورنزو في ثوب الراهبة !

الحاكم : خسئت يالورنزاتشو ! لقد جرححت جوادى
(تغلق النافذة) لعنة الله على هذا المخمور ،
والأعيبه الصامته ! وغد ، لم يبتسم ثلاث مرات
في حياته ، ويقضى وقته في شقاوة تلميذ في
إجازة ! (يرحل . تخرج لويزه ستروتسى من
البيت ، وفي صحبتها جوليان سالفياتي . يمسك
لها الركاب تعتلى الجواد ، ويتبعها سائس ومربية)

سالفياتي : يالها من ساق جميلة ، أيتها الفتاة العزيزة ! إنك

شعاع من أشعة الشمس ، وقد أحرقت النخاع
في عظامي !

- لويزه : ليست هذه لغة فارس ، ياسيدى !
- سالفياتى : يالعينيك ، يامهجتى الحبيبة ! ويالهسا من قدم
جميلة خلىق بها أن تعرى !
- لويزه : دع قدمي ، ياسالفياتى !
- سالفياتى : كلا ، وحق باخوس ! (تضرب لويزه جوادها
فيمضى خبياً)
- قناع : (إلى سالفياتى) لقد ذهبت الصغيرة ستروتسى ،
ووجهها أحمر كاللهيب . . لقد أغضبتها ،
ياسالفياتى !
- سالفياتى : لا يهم ! غضب الفتاة الصغيرة ، ومطر الصباح
..... (يخرج)

المشهد الثالث

عند الماركيز تشيبو

الماركيز « في ثياب السفر » . الماركيزة .
أسكانيو . الكاردينال تشيبو « جالسا »

- الماركيز : (يقبل ولده) وددت ، يا صغيرى ، لو أستطيع
أن آخذك معي ، أنت والسيف الكبير الذى
يجرك وراءه وهو بين ساقيك . اصبر ، فإن

ماسا (١٣) ليست بعيدة ، وسوف أحضر لك
هدية حسنة .

الماركيظة : وداعا ، يالوران ؛ إلى عودة ، إلى عودة !

الكاردينال : هذه الدموع كثيرة جدا ، أيتها الماركيظة ! ألا
يقول من يراها إن أخي راحل إلى فلسطين ؟
أعتقد أنه لا يتعرض لخطر كبير في أراضيه !

الماركيظ : يا أخي ، لا تقل كلمة سوء عن هذه العبرات
الجميلة (يقبل زوجته)

الكاردينال : إنني أريد فقط ألا يتخذ الوفاء هذه الصورة
الواضحة للعيان !

الماركيظة : ألا يملك الوفاء دموعا على الإطلاق ، ياسيدى ،
الكاردينال ؟ أتكون كلها موقوفة على الندم
أو الخوف ؟

الماركيظ : كلا ، وحق السماء ! إن أفضلها للحب !
لا تجففى على وجهى هذه الدموع . لسوف
يتكفل بها هواء الطريق . دعيها تجف على مهل
أما هذا ! ألا تحملينى شيئا لأحبائك ، يا عزيزتى
؟ ألن أنقل عنك - كعادتى - بعض الكلمات
العاطفية ، الجميلة ، إلى صخور ضيعتى القديمة ،
وشلالاتها الصغيرة ؟

الماركيظة : آه ! شلالاتى الصغيرة ، المسكينة !

(١٣) ماسا - كارارا : على بعد ٩٥ كيلو مترا شمال غرب فلورنسا .

الماركيز : هذه هي الحقيقة ، يا عزيزتى . إنها كثيفة ،
كلها ، بدونك (بصوت أكثر انخفاضاً) لقد
كانت بهيجة في المصاى ، أليس هذا صحيحاً
ياريتشياردا ؟

الماركيزة : خذنى معك !

الماركيز : سأفعل هذا إن كنت مجنوناً ! وإنى لأكاد أن
أكونه بهيئتي هذه العسكرية القديمة ! كفاً
حديثاً عن ذلك . . إنها مسألة أسبوع واحد .
وسوف ترى عزيزتى ريتشياردا بسايتها وهي
هادئة ، وخالية ؛ ولن تترك أقدام مزارعى
الموحلة أثراً في ممراتها الحبيبة . واسوف أحصى
جذوع أشجارى القديمة التى تذكرنى بأبيك
ألبريك ، وكافة بواكير العشب في غاباتي ،
والفلاحين وثيرانهم ؛ فإن هذا كله من شأني .
وعندما أرى أول زهرة تتفتح فأنى سأجهز
كل شيء ، وآخذك معي .

الماركيزة : لقد كنت أحب دائماً أول زهرة تتفتح في
روضتنا الجميلة ، ان الشتاء طويل ! ويلوح
دائماً أن هذه الأزهار الصغيرة ، المسكينة ، لن
تعود أبداً !

اسكانيو : أي جواد سترحل به ، يا أبي ؟

الماركيز : تعال معي إلى الفناء لتراه (يخرج ، تظل
الماركيزة وحدها مع الكاردينال . صمت)

الكاردينال : أليس هذا هو اليوم الذي طلبت مني أن أسمع فيه اعترافك ، أيتها الماركييزة ؟

الماركييزة : أعفني منه ، يا كاردينال . سأعترف الليلة إذا كان صاحب النيافة خالياً ؛ أو غداً ، إذا أراد . . . إن هذه اللحظة ليست ملكاً لي (تقف عند النافذة ، وتشير إلى زوجها مودعة)

الكاردينال : لو كان التحسر مباحاً لخدم أمين للرب ، لحسدت أخي على حظه ! رحلة قصيرة ، بسيطة ، هادئة ، كهذه ! . . . زيارة لقطعة أرض من أراضيه ، لا تبعد إلا بضع خطوات من هنا ! . . . غياب يستغرق أسبوعاً واحداً . . . وحزن شديد — بل أريد أن أقول : حزن جميل — عند رحيله ! سعيد من يستطيع أن يحظى بحب كهذا بعد سبع سنوات ممن الزواج ! أليست سبع سنوات ، أيتها الماركييزة ؟

الماركييزة : بلى ، أيها الكاردينال ؛ إن ولدي في السادسة من عمره .

الكاردينال : هل كنت في عرس نازي بالأمس

الماركييزة : نعم ، كنت هناك .

الكاردينال : وكان الدوق يرتدي ثوب راهبة ؟

الماركييزة : ولماذا يرتدي الدوق ثوب راهبة ؟

الكاردينال : لقد قالوا لي أنه كان يرتدي ذلك الثوب ،

ولعلمهم قد كذبوا علي .

الماركيـزة : لقد كان يرتديه في الحقيقة . أواه ! يامالاسينا ؛
إننا في زمن مظلم بالنسبة إلى جميع الأشياء
المقدسة !

الكاردينال : يستطيع امرؤ أن يحترم الأشياء المقدسة ، وأن
يرتدي في يوم حماقة ، ثوب أديار معينة ، دون
أي قصد عدائي تجاه الكنيسة الكاثوليكية
المقدسة .

الماركيـزة : إن ما يُخشى هو المثال وليس القصد . انني
لست مثلك ، وقد أثارني ذلك . صحيح أنني
لا أعرف ما يستطيع ومالا يستطيع ، وفقاً
لقواعدكم السرية . الله يعلم إلى أين تقود !
وأولئك الذين يضعون الكلمات على سندانهم
ويشكلونها بمطرقة ومبرد ، لا يذكرون دائماً
أن هذه الكلمات تمثل أفكاراً ، وأن هذه
الأفكار تمثل أفعالاً ! .

الكاردينال : حسناً ، حسناً ! الدوق شاب صغير ، أيتها
الماركيـزة ، وأراهن على أن رداء الراهبات
الظريف ذاك إنما كان يناسبه إلى حد يشير
الاعجاب !

الماركيـزة : إنه لا يستطيع أن يفعل خيراً من هذا . ولم يكن
ينقصه إلا بضيع قطرات من دم ابن عمه ،
هيبوليت دي مديتشي (١٤) !

(١٤) رسمه كليمنت السابع كاردينالا ، وكان الثائرون على حكم الكساندر يعبونه ،
وقد اغتاله هذا بالسم في عام ١٥٣٤ .

الكاردينال : وطاقة الحرية (١٥) ! أليس هذا صحيحاً ، يا
أختي العزيزة ؟ لشد ما تكرهين هذا الدوق
المسكين !

الماركيزة : وأنت - يا ذراعه اليمنى ! - ألا يهلك أن
يكون دوق فلورنسا هو الحاكم الذي عينه
شارل الخامس ؛ وهو النائب المدني للبابا ، كما
أن باتشو نائبه الديني ؟ ألا يهلك ، يا أختي
زوجي لوران - أن تطلع شمسنا - نحن - على
قلعة الأشباح الألمانية ؟ وأن يتكلم قيصر هنا
بجميع الأفواه ؟ أواه ! حري بالأكليروس
أن يدق عند الحاجة أجراسه جميعاً ، ليكنتم
صوته ، ويوقظ النسر الامبراطوري - إن كان
نائماً - فوق أسطحنا الحزينة ! (تخرج)

الكاردينال : (وحده . يزيح الستار ، وينادي بصوت
خفيض) أنيولو !

(يدخل خادم) هل من جديد ، اليوم ؟

أنيولو : هذه الرسالة ، يا سيدي .

الكاردينال : اعطني إياها .

أنيولو : آه ! هذه خطيئة ، يا صاحب النياقة !

الكاردينال : ما من شيء يكون خطيئة عندما تطيع كاهناً
للكنيسة الرومانية (أنيولو يعطيه الرسالة) إنه

(١٥) طاقة حمراء تشبه ما كان يلبسه الفريجيون القدامى * وقد اتخذت بعد
ذلك شعاراً للحرية أيضاً في فلورنسا ، مع الشارة المثلثة الألوان ، إبان الجمهورية
الأولى *

لما يضحك أن أصغى إلى ثورة هذه الماركيزة الشقية ، وأن أراها منطلقة إلى موعد غرامي مع الطاغية العزيز ، وهي غارقة في دموعها الجمهورية ! (يفض الرسالة ، ويقرأ :) « إما أن تكون لي ، أو تكوني سبباً في شقائي ، وشقائك ، وشقا بيتينا » . إن أسلوب الدوق مختصر ، ولكن القوة لا تنقصه ، وأن تكون الماركيزة مقتنعة أم لا ، فذلك ما تصعب معرفته . إن شهرين من التودد الذي يكاد أن يكون متصلاً لهما شيء كثير بالقياس إلى ألكساندر ، ولا بد أن يكونا كافيين بالقياس إلى ريتشاردا تشيبو (يعيد الرسالة إلى الخادم) أعد هذه إلى غرفة سيدتك . إنك أبكم دائماً ، أليس كذلك ؟؟ أعتمد علي (يعطيه يده ليقبلها ، ويخرج) .

المشهد الرابع

ساحة في قصر الدوق

الدوق ألكساندر : في شرفة ، خدم يدرّبون خيولاً في الساحة .
يدخل فالوري وسير موريتشه .

السيدوق : (إلى فالوري) هل تلقى صاحب النيافة أنباء من بلاط روما هذا الصباح ؟

فالسوري : إن بول الثالث (١٦) يرسل إلى صاحب السمو
ألف بركة من بركاته ، ويعبر له عن أحـر
أمنيات النجاح !

السدوق : لا شيء غير الأمنيات ، يا فالوري ؟

فالسوري : إن صاحب القداسة يخشى أن يخلق السدوق
لنفسه متاعب جديدة بإفراطه في التسامح . إن
الشعب لم يعود جيداً على الحكم المطلق . وأعتقد
أن قيصر قد قال شيئاً كهذا لصاحب السمو
في رحلته الأخيرة .

السدوق : هذا والله جواد جميل ، يا سير موريتشه !
أوه ! يا له من كفل رائع !

سير موريتشه : بديع ، يا صاحب السمو !

السدوق : هذا لك إذن ، يا سيدي القاصد الرسولي ،
بضعة أغصان رديئة لم تقتضب ! إن قيصر
والبابا قد جعلاني ملكاً ، ولكنهما قد
وضعا في يدي صولجاناً كأنه فأس طولها
فرسخ ! ما هذا يا فالوري ؟

فالسوري : إنني قسيس ، يا صاحب السمو ؛ وإذا كانت
الكلمات التي يرغمني واجبي على نقلها
إليك بأمانة ، ينبغي أن تفسر بمثل هذه

(١٦) كان البابا بول الثالث (الكساندر فارنيز) من أسرة معادية لأسرة مديتشي*
وكان يحرص دائماً على تذكير الكساندر بفضل له عليه ، فهو الذي جعل منه دوقاً
بالاتفاق مع الامبراطور الالماني شارل الخامس *

القسوة ، فإن قلبي يمنعني من أن أضيف إليها
كلمة واحدة !

الدوق : نعم ، نعم ، اني اعرفك رجلا شجاعا . انك

والله القسيس الأمين الوحيد الذي رأيت في حياتي

فالورى : يامولاى ، ان الامانة لا تفقد ولا تكتسب تحت

أى رداء ، وبين الرجال اخيار اكثر مما بينهم
من الاشرار .

الدوق : لا تفسير ، اذن ؟

سير موريتشه : هل تسمح لي بالكلام يامولاى ؟ كل شئ عيسهل

تفسيره .

الدوق : حسنا ؟

سير موريتشه : ان فوضى البلاط تغضب البابا !

الدوق : ماذا تقول ؟

سير موريتشه : لقد قلت : فوضى البلاط ، يا صاحب السمو .

وليس لاعمال الدوق من يحكم عليها سواه !

ان البابا يعتبر لورنزودى مديتشى هاربا من
وجه عدالته .

الدوق : من وجه عدالته ؟ انه ، فيما اعلم ، لم يغضب

من الباباوات احدا قط سوى كليمنت السابع ،

ابن عمى الراحل الذى يثوى الساعة في الجحيم !

سير موريتشه : لقد سمح كليمنت السابع بالخروج من ولاياته

للعربيد الذى هشم ذات يوم ، وهو سكران ،

رؤس التماثيل في قوس قسطنطين . ولم يستطع
بول الثالث ان يصفح عمن يدعى مثالا للدعارة
الفلورنسية !

الدوق : آه ! بالطبع ! ان الكساندر فارنيز ولد لطيف !
واذا كانت الدعارة تغضبه ، فماذا يفعل بابنه
غير الشرعي ، بيير (١٧) فارنيز العزيز ، الذي
يعامل اسقف نانو (١٨) معاملة جميلة ! ان هذا
التجريح يطفو على السطح دائماً كلما تعلق الامر
بذلك المسكين رنزو ! اما انا فاجد في قطعه
رؤوس جميع اولئك الرجال المقدودين من
الصخر مدعاة الى الضحك . اننى احمى الفنون
كغيرى . وعندى اوائل الفنانين في ايطاليا .
والكنى لا افهم شيئاً من تقدير البابا لهذه التماثيل
التي سيحكم عليها بالتحريم غداً إذا صارت
لحماً وعظماً ؟

سير موريتشه : ان لورنزو ملحد . انه يسخر من كل شيء ،
واذا لم تكن حكومة صاحب السمو محوطة
باحترام عميق ، فلن يمكنها ان تكون حكومة
قوية ، ان الشعب يدعو لورنز باسم لورنزا تشو .
وهم يعرفون انه يوفر لك ملذاتك . وهذا يكفى !

الدوق : اسكت ! انك تنسى ان لورنزودى مديتشي

(١٧) ابن بول الثالث ، وحاكم بارم ويليغانس ، كان داعراً ، قاسى القلب ، وكان
الاسقف المذكور يعاني من مبادئه الكثير . وقد مات مقتولاً (١٤٩٠ - ١٥٣٧) .

(١٨) مدينة على نهر الادرياتيک ، بين بيسارو وانكون .

هو ابن عم الكساندر (يدخل الكاردينال تشيبو)
انصت قليلا يا كاردينال الى هذين السيدين الذين
يقولان ان البابا مستاء من حماقات ذلك المسكين
رنزو ، ويزعمان انها تسيء الى حكومتى .

الكاردينال : لقد القى الاستاذ فرانسيسكو مولترا في الاكاديمية
الرومانية خطابا مملا باللغة اللاتينية ، وهاجم فيه
من شوه قوس قسطنطين .

الدوق : اسمعوا ، انكم تثيرون غضبي ! رنزو ، رجل
يخشى منه ! اكثر الناس جبنا وتشردا ! القدم ،
شبح القواد ، الخائر العزيمه ! الحالم الذى يسير
ليلا ونهارا بلا سيف ، مخافة ان يلمح ظله
بجانبه ! الفيلسوف والكاتب والشاعر الردىء
الذى لا يستطيع ان ينظم قصيدة واحدة
فحسب ! كلا ، كلا ، انى لا اخاف الاشباح
.. حسنا ! فيم تؤذنى من الوغد العزيز أحاديثه
اللاتينية ، واقواله الغليظة ! انى احب لورنزو ،
وسيبقى هنا !

الكاردينال : اذا كنت أخاف هذا الرجل ، فليس خوفى على
بلاطك أو على فلورنسا ، ولكنه عليك أيها
الدوق !

الدوق : هل تمزح يا كاردينال ؟ وهل تريد أن أقول لك
الحقيقة ؟ (يحدّثه بصوت خفيض) كل ما أعرفه
عن أولئك الجمهوريين المشاغبيين الذين يتآمرون
حولى ، إنما أعرفه من لورنزو . إنه زلق كثعبان

الماء ! وهو يندس في كل مكان ، ويقول لي كل شيء . ألم يجد وسيلة لعقد الصلة بينه وبين كل أهل الجحيم من آل ستروتسي هؤلاء ؟ نعم : بالتأكيد ؛ إنه وسيطى . ولكن ثق أن وساطته هذه إن أضرت بأحد فلن تضرَّ بي . انظر ! (يظهر لورنزو في نهاية ردهة سفلى) انظر إلى هذا الجسد الصغير ، الهزيل ، في غداة ليلة حمراء ! انظر إلى هاتين العينين الثقيلتين كالرصاص ، وهاتين اليدين النحيلتين ، العليلتين اللتين تكادان ألا تقويا على حمل مروحة ، وهذا الوجه الحزين الذى يبتسم أحيانا ولكنّه لا يقوى على الضحك ! أهذا رجل يخشى منه ؟ هراء ! إنك تسخر منه ! حسنا ! تعال إلى هنا إذن ، يارنزو ، هذا سير موريتشه يريد أن يتحدث إليك .

لورنزو : (يصعد درج الشرفة) صباح الخير أيها السادة ، أصدقاء ابن عمى !

الدوق : اسمع الآن ، يالورنزو ؛ إننا نتحدث عندك منذ ساعة من الزمن . هل تعرف النبأ ؟ إنهم يهاجمونك باللاتينية ، يا صديقى ! وسير موريتشه يدعوك رجلا خطرا ، والكاردينال أيضا ! أما الرجل الطيب فالورى ، فهو أعف من أن ينطق باسمك !

لورنزو : خطرا على من ، يا صاحب السمو ؟ على فتيات

- المتعه أم على القديسين في الفردوس ؟
- الكاردينال : إن كلاب البلاط يمكن أن يصيبها السعار كغيرها من الكلاب !
- لورنزو : إن إهانة وجهها قسيس ، ينبغي أن تكون باللاتينية .
- سير موريتشه : إنه يوجهها باللغة التوسكانية إلى من يستطيع ردها !
- لورنزو : إنني لم أكن أراك ياسير موريتشه . معذرة ؛ لقد كانت الشمس في عيني . ولكنك تبدو في صحة جيدة ، وردائك يبدو لي جديدا .
- سير موريتشه : كذائك ! لقد صنعتته من عباءة قديمة لجسدي (١٩) !
- لورنزو : يا ابن عمي ؛ عندما تنال كفايتك ، من إحدى غانيات الضواحي ، فابعث بها إلى سير موريتشه . إن الحياة بغير امرأة تؤذى رجلا مثله ، قصير العنق ، أشعر اليدين !
- سير موريتشه : إن من يعتقد أن له الحق في السخرية ، ينبغي أن يعرف كيف يدافع عن نفسه ، ولو كنت في مكانك لحملت سيفاً !
- لورنزو : لو كانوا قد قالوا لك انني جندي ، فقد أخطأوا . إنني عاشق مسكين للمعرفة .

(١٩) أي أن ذكاء لورنزو ليس إلا اثرا باهتا لذكاء جده « لوران المحبوب » الذي كان رجل دولة لامعا ، وكان سفيراً في بلاط كل من البابا وشارل الثامن ملك فرنسا .

سير موريتشه : إن ذهنتك سيف من الفولاذ إلا أنه لين ! إنه سلاح حقير للغاية ! وكل يستخدم أسلحته (يستل سيفه)

فالسوري : السيف مجرد أمام الدوق !

الدوق : (ضاحكا) دعهما ، دعهما ! هلم ، يارنزو ؛ أريد أن أكون شاهدك . اعطوه سيفاً .

لورنزو : ماذا تقول ، يامولاي ؟

الدوق : عجباً ! هل يتبدد انشراحك سريعاً هكذا ؟ هل ترتعد ، يا بن العم ؟ تباً لك ! إنك تلحق العار باسم مديتشي ! إنني لست إلا نفعلاً ، ولكنني أجدر بالحفاظ عليه منك ، وأنت الولد الشرعي ! سيفاً ! سيفاً ! إن أحداً من آل مديتشي لا يسمح مطلقاً بأن يستثار هكذا . اصعدوا إلى هنا ، أيها الخدم ! سيراه البلاط كله ، وقد كنت أتمنى أن تسراه فلورنسا كلها !

لورنزو : إن صاحب السمو يسخر مني .

الدوق : لقد كنت أسخر منذ قليل ، ولكنني الآن أشعر بالحنين ! سيفاً ! (يأخذ سيف واحد من الأتباع ويقدمه إلى لورنزو)

فالسوري : يامولاي ، إن هذا دفع للأشياء إلى أبعد مما ينبغي ! إن تجريد سيف أمام سموك جريمة يعاقب عليها ، في داخل القصر .

الدوق : من يتكلم هنا عندما أتكلم ؟
فالورى : لا يمكن أن يكون صاحب السمو قد أراد إلا أن
يمزح قليلا ؛ ولم يكن سير موريتشه نفسه يفكر
في شيء آخر .

الدوق : أفلا ترى أنني مازلت أمزح ؟ ومن يفكر في
شيء جدى هنا ؟ أرجوك أن تنظر إلى رنزو .
إن فرائضه ترتعد ! وقد كان حريا بأن يشجب
لونه لو استطاع ذلك . أى مظهر ، يا لطفى !
أعتقد أنه سيقع (يترنح لورنزو . يعتمد على
السياج ثم يسقط فجأة على الأرض) .

الدوق : (ينفجر ضاحكا) وأنا أقول لكم ذلك ! إن
أحدا لا يعرفه خيرا منى . إن منظر السيف وحده
يصيبه بالمرض ! هيا ، يا عزيزتى لورنزيتا ؛
دعهم يحملوك إلى أمك ! (يرفع الحدم
لورنزو) .

سير موريتشه : جبان مضاعف ! ابن فاجرة !
الدوق : اسكت ! ولترن ماتقوله ياسير موريتشه . إنه
أنا من يقوها لك الآن ؛ لا أريد أن تقال كلمات
كهذه أمامى !

فالورى : الشاب المسكين ! (سير موريتشه وفالورى
يخرجان)

الدوق : لقد أردت أن أعرف كيف لم أكن أصدق .

الكاردينال : هم ! شيء غريب جدا !

الدوق : ولهذا بالضبط أصدقه . هل تتصور أن واحدا
من آل مديتشي يجلب العار على نفسه علانية
بقصد المتعة ؟ ثم إنها ليست أول مرة يصيبه فيها
ما أصابه . إنه لم يستطع أن يرى سيفاً قط !
الكاردينال : غريب جدا ! غريب جدا ! (يخرجان)

المشهد الخامس

أمام كنيسة سان مانياتو في مونتوليفية
الجمهور يخرج من الكنيسة
إمراة : (إلى رفيقتها) هلي تعودين إلى فلورنسا هذا
المساء ؟
رفيقتها : إنني لا أبقى هنا أبداً أكثر من ساعة واحدة .
ولا أجيء إلى هنا أبداً غير يوم الجمعة واحد .
إنني لست غنية بالقدر الذي يسمح لي بأن أتوقف
في السوق . والمسألة عندي مسألة إيمان لا غير .
وكل ما أحتاج إليه أن يكون هذا كافياً لخلاصي
سيدة من البلاط : (لأخرى) لكم كان وعظه حسناً ! إنه هو
الذي تعترف ابنتي على يديه (تدنو من أحد
المتاجر) اللون الأبيض واللون الذهبي يناسبان
المساء ، ولكن ؛ هل يصلحان بالنهار ؟
(التاجر والصائغ أمام دكائيهما ، مع
بعض الفرسان)

الصائغ : القلعة ! لن يحتمل الشعب أبداً أن يرى فجأة

برج بابل الحديد هذا يرتفع فوق المدينة بين
أشنع رطانة في الوجود ! ولن يورق غصن
للألمان في فلورنسا أبداً . ولسوف يحتاج تطعيمها
بهم إلى رباط قوى !

التاجر : هيا ، أيها السيدات . فلتأخذن مقعداً تحت
ظلتي . يا صاحبات العصمة .

فارس : إنك تنتسب إلى الدم الفلورنسي القديم ، أيها
الأب موندريالا ! إن كراهية الطغيان
ما زالت ترعش أصحابك نرق نقوشك الثمينة ،
في باطن مشغلك !

الصانع : هذا حق ، يا صاحب السعادة ، ولو أنني
كنت فناناً كبيراً لأحببت الأمراء لأنهم ،
وحدهم ، يستطيعون أن يباشروا الأعمال
الكبيرة . إن كبار الفنانين لا وطن لهم . وأنا
أصنع علب القربان المقدس ، ومقابض السيوف

فارس آخر : ألا ترى ، على ذكر الفنانين ، ذلك المهازير
الكبير الذي يكثر من حركاته أمام بعض
المغفلين ، في تلك الحانة الصغيرة ؟ إنه يمدق
على المنضدة بكأسه . وإذا لم أكن مخطئاً ، فهو
ذلك المدعي تشيليني (٢٠) .

الفارس الأول : هيا بنا إلى هناك ، إذن ، ولندخل . إنه يغرى
بالانصبات إليه ، مع كأس من الحمر مشعشة

(٢٠) بتقنييتو تشيليني ، الصانع الفلورنسي المشهور (١٥٠٠ - ١٥٧١) وقد
سبقت الإشارة إليه . وقد كان نابغا بقدر ما كان متهوسا . كما كانت له مغامرات
عاطفية كثيرة تضمنتها كتاب اعترافاته .

في الرأس ؛ ولعل حكاية طريفة تروى الآن
(يخرجان . يجلس رجلان)

الأول : هل كانت هناك ثورة ، في فلورنسا ؟
الثاني : لا شيء تقريباً ، لقد قتل بعض الشباب المساكين
في « السوق القديم » .

الأول : يا له من حزن يصيب العائلات !
الثاني : إنها محن لا بد منها ! ماذا تريد أن يفعل الشباب
بحكومة كحكومتنا ؟ يرتفع الهتاف على صوت
النفير بأن قيصر في بولونيا ، ويردد الأغرار أن
« قيصر في بولونيا » وهم يلمزون بعيونهم في
إهتمام ظاهري ، دون أن يكفروا فيما يفعلون !
وتزداد سعادتهم في اليوم التالي عندما يعلمون ،
ويرددون ، أن البابا في بولونيا مع قيصر . ثم
ماذا ؟ أفراح شاملة ! ولا يرون أكثر من هذا
وذاث صباح يستيقظون وقد خدرت أعصابهم
تماماً أبخرة الحمر الامبراطورية ؛ فيرون وجها
مشثوماً بالنافذة الكبرى في قصر آل باتسي !
ويسألون عمن يكون هذا الشخص ، فيقال
لهم إنه الملك (٢١) ! لقد أنجب البابا

(٢١) كان الفلورنسيون قد طردوا عائلة مديتشي من الحكم في عام ١٥٢٧ ولكن
البابا وشارل الخامس فرضا عليهم الكساندر دى مديتشي بالقوة ، بعد أن احتشد
الجيش في بولونيا ، وحاصر فلورنسا التي أرغمتها الفتن الداخلية والخيانات على
الرضوخ . ويشبه هذا الحديث خطاب ديموستين الذي عاب فيه على الاثينيين
اكتفاءهم بترديد مثالب فيليب المقدوني التي غزا بلادهم في عام ٣٣٨ ق م دون
اتخاذ أى شيء ايجابي ضده .

والامبراطور نغلاً يملك حقوق الحياة والموت
على أبنائنا ، وهو لا يستطيع أن يذكر اسم أمه !

الصائح : (يقترب) إنك تتكلم بدافع من وطنيتك ، يا
صديقي ؛ وأنصحك بأن تحتسرس من ذلك
الأعجف ! (يمر ضابط ألماني) .

الضابط : اخرجوا من هنا أيها السادة . إن سيدات يردن
الجلوس

(تدخل سيدتان من سيدات البلاط ، وتجلسان)

السيدة الأولى : أهذا من فيتسيا (٢٢) ؟

التاجر : نعم ، يا سيدتي العظيمة ، هل أقطع لك بضعة
أذرع منه ؟

السيدة الأولى : إذا سمحت . أعتقد أنني رأيت جوليان
سالفياي يعبر الطريق .

الضابط : إنه يروح ويجيء عند باب الكنيسة . إنه شخص
ظريف .

السيدة الثانية : إنه شخص وقح ! أرني جوارب من الحرير .

الضابط : لن تجدي عنده جوارب صغيرة تناسبك .

السيدة الأولى : أسكت ، أنت . إنك لا تعرف غير الكلام !
ما دمت ترى جوليان فاذهب واخبره بأن عندي
ما أقوله له .

الضابط : سأذهب إليه وأحضره (يخرج)

(٢٢) قماش « الدانتيل » الدقيق الذي تشتهر به مدينة البندقية .

السيدة الأولى : ضابطك هذا غبي ، لا يرضى ، ماذا تفعلين به ؟

السيدة الثانية : ستعرفين أنه لا يوجد خير من هذا الرجل إلا (تبتعدان . يدخل عمدة كابو) .

العمدة : أعطني كوباً من شراب الليمون ، أيها الرجل الطيب (يجلس)

أحد الرجلين : ها هو عمدة كابو . إنه رجل وطني ! (يعود الرجلان إلى الجلوس) .

العمدة : أنتما قادمان من الكنيسة أيها السيدان ؟ ما رأيكما في العظة ؟

الرجل : كانت جميلة ، يا سيدي العمدة .

الرجل الثاني : (إلى الصائغ) إن هذا النبل الذي يتميز به آل ستروتسي عزيز عند الشعب لأنه لا يتسم بالكبرياء . أليس شيئاً جميلاً أن نرى سيداً عظيماً يوجه الحديث إلى جيرانه بأسلوب لطيف ؟ إن لهذا كله أثراً أكبر مما نظن .

العمدة : إن كانت الصراحة في القول واجبة ، فقد وجدتُ العظة أجمل مما ينبغي !

لقد كنت أعظ أحياناً ، ولم أكن أبالي كثيراً باهتزاز زجاج النوافذ ، ولكن دمة صغيرة على خد رجل طيب قد كان لها عندي قيمة كبيرة على الدوام !

(يدخل سالفيا)

سالفياي : قيل لي إن هنا سيدات يطلبنني توأ . ولكنني لا أرى هنا رداء سوى ردائك أيها العمدة ! هل تراني خدعت ؟

التاجر : إنك لم تخدع ، يا صاحب السعادة ؛ لقد انصرفن ، ولكنني أعتقد أنهن سيرجعن بعد قليل . هذه عشرة أذرع من القماش ، وأربعة أزواج من الجوارب ، لهن .

سالفياي : (يجلس) ها هي امرأة جميلة تمر . . أين رأيتهما يا ترى ؟ آه ! في فراشي بالطبع !

العمدة : (إلى الرجل) أعتقد أنني رأيت توقيعك على خطاب موجه إلى الدوق .

الرجل :^{٢٣} : إنني أقولها بصوت عال : إنه الملتبس الموجه من المنفيين (٢٣) .

العمدة : أبينهم أحد من عائلتك ؟

الرجل : : إثنان ، يا صاحب السعادة . أبي وعمي . ولم يعد هناك رجل غيري في البيت !

الرجل الثاني : (إلى الصائغ) يا له من لسان بذيء يملكه هذا السالفياي !

الصائغ : لا عجب في ذلك . إنه رجل نصف ضائع ، يعيش عائلة على آل مديتشي هؤلاء ؛ وهو متزوج ، بوضعه هذا ، من امرأة سيئة السمعة في كل مكان ! ويريد أن يقال عن جميع النساء

(٢٣) كان الكساندر قد نفى من المدينة من اتهموا بالاشتراك في ثورة عام ١٥٢٧ .

اللواتي يستطيع تجريحهن ، ما يقال عن إمرأته ا .

سالفيا تي : أليست هذه لويزه ستروتسي التي تمر على هذه الربوة ؟

التاجر : هي نفسها ، يا سيدى ؛ إنني لا أجهل من سيداتنا النييلات غير القليل . إنها تعطي يدها لأختها الصغرى إذا لم أكن مخطئاً .

سالفيا تي : لقد إلتقيت بلويزه هذه ليلة الأمس ، في حفل عائلة نازي . إن لها ساقاً جميلة حقاً ، ولا بد أن ننام معاً في أول فرصة !

العمدة : (يلتفت إليه) ماذا تعنى ؟

سالفيا تي : إنه شيء واضح ؛ لقد قالته لي ، لقد كنت أمسك لها بالركاب ، ولا أكاد أفكر في شيء رديء . ولا أدري كيف أمسكت بساقها سهواً ، وهكذا حدث كل شيء .

العمدة : يا جوليان ، لا أدري إذا كنت تعرف أنك تتكلم عن أختي !

سالفيا تي : أعرف هذا جيداً جداً ! إن جميع النساء قد جعلن لينمن مع الرجال ، ويمكن حقاً أن تنام أختك معي .

العمدة : (ينهض) هل أدين لك بشيء أيها الرجل الطيب ؟ (يلقي بقطعة من النقد على المنضدة ويخرج) .

سالفيا تي : أحب كثيراً هذا العمدة الطيب الذي أنساه

حديث عن أخنه بقية نقوده ! ألا يقال إن كل
فضيلة فلورنسا قد هاجرت إلى بيت عائلة
ستروتسي ؟ ها هو ذا يعود . حملق بعينيك
ما شئت فإنك لن تخيفني ! (يخرج)

المشهد السادس

شاطيء الأرنو

ماري سوديريني . كاترينا

كاترينا : ها هي الشمس تبدأ في المغيب . إن سحابات
كبيرة ، أرجوانية ، تتخلل أوراق الشجر .
والضفدع يذق تحت أعواد البوص جرسه
البلوري الصغير . ما أبدع آيات السماء المتألفة
كلها ، والضجيج البعيد لهذه المدينة !

ماري : لقد حان وقت العودة ، فاعقدي وشاحك حول
عنقك .

كاترينا : لم يحن بعد ، إلا ان تكوني قد ابتردت . انظري ،
يا امه (٢٤) الحبيبة ، كم السماء جميلة !
وكم هذا كله رحيب وهادئ ، وكيف ان
الله في كل مكان ! ولكنك تحنين راسك .
انك قلقة منذ الصباح .

ماري : انني لست قلقة ولكنني حزينة . ألم تسمعيهم

(٢٤) ان كاترينا جينوري هي اخت ماري في الحقيقة ، وقد كانت متزوجة من
ليوناردو جينوري . وهي تدعوها بامها لفارق السن بينهما .

يرددون تلك الحكاية المشؤمة عن لورنزو ؟
هذا هو حديث فلورنسا !

كاترينا : أوه ، يا أمي ! ليس الجبن جريمة أبدا ، وليست
الشجاعة فضيلة . ولماذا نؤخذ الضعفاء على
ضعفهم ؟ ان مسئولية المرء عن ضربات قلبه
امتياز مؤسف . ولماذا لا يكون لهذا الغلام مالنا
جميعا من حق ، نحن النساء ؟ يقال ان المرأة التي
لا تهاب شيئا لا تستحب !

ماري : هل تحبين رجلا هيابا ؟ ان حمرة الخجل تملو
وجهك ، يا كاترينا ان لورنزو هو ابن اختك ،
ولكن ، تصوري انه ينتمي الى عائلة أخرى
فكيف كنت ستحكمين عليه ؟ اية امرأة يمكنها
ان تعتمد على ذراعه لتمتطي جوادا ؟ وأي رجل
يصافحه ؟

كاترينا : انه شيء مؤلم ، ولكنه ليس بالشيء الذي الومه
عليه . قد لا يكون قلبه قلب رجل من عائلة
مديتشي ، ولكن ، واحسرتاه ! انه ليس قلب
رجل شريف كذلك !

ماري : دعينا لا نتحدث عنه أكثر من ذلك ، يا كاترينا ،
انها لقسوة كافية بالنسبة الى الام ألا تستطيع
التحدث عن ابنها !

كاترينا : أواه ! من فلورنسا هذه ! لقد فقدناه هنالك !
ألم اكن ارى في عينيه احيانا نار طموح شريف !
الم يكن شبابه فجر شمس مشرقة ! واليوم ،

لا يزال يلوح لى في اوقات كثيرة ان وميضها
سريعا إننى اقول لنفسى ، رغما عني ،
ان كل شيء لم يمت فيه . !

مارى : أواه ! ان هذا كله لغز محير ! وداعة شديدة ،
وحب جميل للوحدة ! لقد كنت أقول عندما
اراه عائدا من كلياته (٢٥) ، متأبطا اسفاره
الضخمة ، ان عزيزى رنزو لن يكون محاربا
أبدا . ولكن حبا مقدسا للحقيقة كان يلتزم على
شفتيه ، وفي عينيه السوداوين . وكان يهتم بكل
شيء ، ويقول بغير انقطاع : « إن هذا فقير ،
وهذا معوز ، فماذا اعمل ؟ » .. وذلك
الاعجاب بعظماء كاتبه المفضل بلوتارك (٢٦)
كاترينا ، كاترينا ، كم من مرة قبلته فيها على
جبينه وانا افكر في ابي الوطن (٢٧) ؟

كاترينا : لا تحزني .

مارى : اقول انى لا اريد ان اتحدث عنه ، ولكننى
اتحدث بغير انقطاع . ان هناك اشياء معينة
لا تكف الامهات عن ترديدها إلا في الصمت
الأبدى ! ولئن كان ولدى دنيثا ، فاسقا ،
وكان دم آل سود يرينى باهتا في هذه القطرة

(٢٥) ان لورنزو لم يلتحق بأية كلية . وهذه لمحة من حياة دى موسيه فى باريس .

(٢٦) مؤلف كتاب « حياة مشاهير اليونان وروما » وقد عاش فى القرن الاول
الميلادى .

(٢٧) كوزموى مديتشى . وقد كان وطنيا صادقا ، وحميا للفنون (١٢٨٩ -
١٤٦٤) .

الواهية ، الساقطة من احشائي ، فاني لم أياس
بل تعلقت بأهداب الامل ، وكنت محقة في
ذلك . اواه ! يا كاترينا ، انه لم يعد يمتاز حتى
بالجمال . وقد تصاعد الى وجهه دنس قلبه
كلفحة مؤذيه ! والابتسامة - هذه الاشارة
الحلوة التي تجعل الشباب اشبه بالازهار - قد
هربت من وجنتيه اللتين في لون الكبريت ،
وتركت عليهما سخرية بغیضة ، مدممة ،
واحتقارا لكل شيء !

كاترينا

: انه يكون جميلا احيانا ، في كآبته الغريبة .

ماري

: الم يكن مولده يدعو الى العرش ؟ الم يكن
يستطيع ان يرفع معه يوما الى هذا معرفة عالم ،
واجمال شباب في الدنيا ، وان يتوج احلامى
الغالية كلها بأكليل من الذهب ؟ الم يكن ينبغي
أن اتوقع هذا ؟ اواه ! يا كاترينا ، هناك
احلام معينة ينبغي الا يراها المرء ابدا ، لكى
ينام نوما هادئا . وما أقسى ان تعيش في قصر
سحري تتردد فيه أناشيد الملائكة ، وان تنامى
فيه وولدتك يهددك ، ثم تستيقظ في مكان
خرب (٢٨) ، مخضب بالدم ، غاص بأثار
القصف والخلاعة ، وبالخطام البشرى ، بين
ذراعي شبح رهيب يقتلك وهو لا يزال يدعوك
امه !

(٢٨) كانت ماريلا سوديرينى قد هاجرت من فلورنسا خوفا من الغزو الفرنسى .
وبعد عودتها ترك لها آل مديتشى بيتا حقيرا خلف قصرهم لتعيش فيه مع اولادها
واقارب آخرين .

كاترينا : ان ظلالا صامته قد شرعت تمشي في الطريق .
فلنرجع ياماريا ، فان أولئك المنفيين جميعا
يخيفونني .

ماري : المساكين ! انهم لا ينبغي ان يثيروا غير اشفاقنا
عليهم ! اواه ! الا يستطيع ان ارى شيئا واحدا
لا يغرس شوكة في قلبي ؟ الا يستطيع ان افتح
عيني بعد ؟ واحسرتاه ! ياعزيزتي كاترينا ،
ان هذه ايضا فعله لورنزو . لقد وضع أولئك
المواطنون التعساء جميعا ثقتهم فيه . وليس هناك
واحد من بين جميع ارباب العائلات : أولئك
المطرودين من وطنهم ، لم يخنه ولدى ! ان
رسائلهم ، الموقعة باسمائهم ، تعرض على
الدوق ! وهكذا يحول حتى ذكرى اسلافه
المجيدة الى استغلال حقير ! ان الجمهوريين
يتوجهون اليه باعتباره السليل العريق لحاميهم .
ان بيته مفتوح لهم ، وآل ستروتسي انفسهم
يجيئون اليه . اي فيليب المسكين ! انها ستكون
خاتمة سيئة لشعرك الابيض ! اواه ! الا أستطيع
ان ارى فتاة قد عدت حياءها ، وبائسا محروما
من اسرته ، دون ان يصرخ ذلك في وجهي
قائلا : انت ام مصائبنا ! متى اكون هناك (٢٩)
(تضرب الارض بقدميها)

(٢٩) تعني : متى اموت وادفن في هذا التراب !

كاترينا : اماه المسكينة ، ان الدموع تملأ عينيك (تبتعدان .
لقد غابت الشمس . جماعة من المنفيين تلتقى
في وسط حقل) .

احد المنفيين : الى اين تذهب ؟

آخر : الى بيزا (٣٠) . وانت ؟

الاول : الى روما .

آخر : وانا الى فينيسيا . وهاهما اثنان في طريقهما الى
فيرارا . ماذا يكون مصيرنا ونحن مبعدون ،
بعضنا عن بعض ، هكذا ؟

رابع : وداعاً ، يا عزيزي ، الى اوقات احسن (يمضي)

الثاني : وداعاً . أما نحن فنستطيع أن نسير معا حتى صليب
العذراء (يخرج مع آخر . يصل مافيو) .

المنفى الأول : هذا أنت ، يامافيو ! أية مصادفة جاءت بك
إلى هنا ؟

مافيو : إنني معكم . اعلموا أن الدوق قد خطف أختي .
وقد سللت سيفي فأطبق على عنقي نمر ذو
أطراف حديدية ، وجردني من سلاحي ثم
تلقيت الأمر بمغادرة المدينة ، وكيسا مملوءا
بالدوكات .

المنفى الثاني : وأختك ، أين هي ؟

مافيو : لقد أشاروا لي إليها هذا المساء ، وهي خارجة

(٣٠) كان حاكم بيزا هو : جاك دي لازاردي مديتشي ، وكان الجمهوريون يتوهمون
انه يعطف على قضيتهم *

من المسرح في ثوب لم يكن عند الامبراطورة
ثوب مثله . ساعها الله ! لقد كانت ترافقها
امرأة عجوز ، وقد تركت ثلاثا من أسنانها
عند باب الخروج . إننى لم أسدد في حياتى لكمة
أرضتني الى هذه الدرجة !

المنفى الثالث

: إنهم يتمرغون جميعا في وحولهم وأقذارهم ،
ونحن نموت قانعين !

الرابع

: سيكتب إلينا فيليب ستروتسي من فيتسيا ،
وسندهش جميعا ذات يوم ، . عندما نجد جيشاً
تحت إمرتنا !

الثالث

: عاش فيليب ! لن تموت حرية إيطاليا مابقيت
شعرة واحدة في رأسه (يفصل جزء من
الجماعة . يتعاق المنفيون جميعا)

صوت

: إلى أوقات أحسن !

آخر

: إلى أوقات أحسن ! (منفيان يعتليان جسرا
تستكشف منه المدينة)

الأول

: وداعا ، يا فلورنسا ، ياطاعون إيطاليا ! وداعا ،
أيها الأم العقيم التي لم تعد تملك لأطفالها لبنا !

الثاني

: وداعا ، يا فلورنسا الفاسدة ، والشبح الرهيب
لفلورنسا القديمة ! وداعا ، يا حماة لا تسمى !

المنفيون جميعا : وداعا ، يا فلورنسا ! ملعونة أئداء نساك !
ملعونة زفرائك ! ملعونة صلواتك ، وخبز
حنطتك ، وهواء شوارعك ! اللعنة على آخر
قطرة من دمك الفاسد !

الفصل الثاني

المشهد الأول

عند عائلة ستروتسي

فيليب

: (في مكتبه) عشرة من المواطنين المنفيين ، في هذا الحى فقط ! الشيخ جاليا تسو ، ومافيو الصغير ، منفيان ! وأخته (١) تفسد ، وتصبح بغيا ، في ليلة واحدة ! يا للصغيرة المسكينة ! متى تكون تربية الطبقات الدنيا قويمة بالقدار الذى يمنع الفتيات الصغيرات من أن يضحكن وآباؤهن ييكون ؟ أ يكون الفساد قانونا من قوانين الطبيعة ، إذن ؟ وهذا الذى يسمى بالفضيلة ؟ أ يكون ثوب الأحد ، الذى يلبسه للذهاب للصلاة ؟ وبقية الأسبوع يلزم من النافذة ، وينظرون — وهن يطرزن الثياب — إلى الشباب العابرين ! أيتها الانسانية التعسة ! أى اسم تحملينه ، إذن ؟ أهو اسم جنسك أم عمادك ؟ ونحن — الحالمين العجائز — أية خطيئة أصلية غسلناها على وجه الانسانية منذ أربعة أو خمسة آلاف عام أصاب الاصفار فيها وجوهنا وأسفارنا ؟ سهل عليك في سكون مكتبك ، أن تخط بيد خفيفة خطا دقيقا ، واضحا ، كشعرة الرأس ، على هذه

(١) أخت مافيو (١ : ١ ، ٦ : ١) .

الورقة البيضاء ! سهل عليك أن تشيد قصورا
ومدائن بهذا الفرجار الصغير ، وشيء من المداد !
ولكن المهندس الذى يملك في مكتبه ألوفاً من
الرسوم البديعة لا يستطيع أن يرفع من الأرض
أول حجر في بنائه ، عندما يشرع في العمل
بظهوره المقوس وأفكاره الجامدة ! ولكنه شيء
مرير ، مع ذلك ، ألا تكون سعادة البشر إلا
حلماً ! أما أن يكون الشر محتوماً ، وأبدياً ،
وتغييره مستحيل ، فلا ! لماذا يتلفت حوله
الفيلسوف الذى يعمل من أجل الجميع ؟ هذا
هو الخطأ ! إن أصغر حشرة تمر أمام عينيه
تحجب عنه الشمس ! هيا ، إذن ، بمزيد من
الجرأة ! الجمهورية ! هذه هي الكلمة التى نحتاج
إليها ! وإذا لم تكن سوى كلمة فإنها شيء له
قيمتها ، مادامت الشعوب تنهض عندما تشق
الهواء ! . . آه ! صباح الخير ، يالئون (يدخل
عمدة كابو)

- العمدة : إنني قادم من « مولد » مونتوليفيه .
- فيليب : هل كان جميلاً ؟ هذا أنت أيضاً ، يا بير ؟
- اجلس ، إذن . عندي ما أقوله لك (يدخل
بير ستروتسي)
- العمدة : كان جميلاً جداً ، وقضيت فيه وقتاً طيباً إلا
أن حادثة قد عرضت لي ، وأجد صعوبة في
تقبلها .

- بيير : حقاً ؟ ما هي ، إذن ؟
- العمدة : تصور أنني دخلت دكاناً لكي آخذ كوباً من الليمون ، ولكن ؛ لا . إنه شيء لا يجدي ومن الحق أن أذكره .
- فيليب : أي شيء يجثم على صدرك ؟ إنك تتكلم كمن يعاني ألماً !
- العمدة : لا شيء . لا أكثر من كلمة مؤذية . ما من أهمية تعلق على كل هذا .
- بيير : كلمة مؤذية ؟ عمن ؟ عنك ؟
- العمدة : ليس عني بالتحديد . إنني حري بأن أهتم جيداً بما يقال عني .
- بيير : عمن ، إذن ؟ تكلم ، إذا سمحت .
- العمدة : أنا مخطيء . والمرء لا يتذكر أشياء كهذه عندما يعرف الفرق بين رجل شريف ، وسالفياتي ما !
- بيير : سالفياتي ؟ ماذا قال ذلك الوغد ؟
- العمدة : الحق معك . إنه وغد حقير ! أية أهمية لما يقول ؟ رجل لا يستحي ، وخدام للبلاط ، وامرأته أكبر عاهرة فيما يقال ! لقد حدث ما حدث ولن أذكره بعد الآن !
- بيير : أذكره ، وتكلم ، ياليون ، إنه يؤجج رغبتني في قطع أذنيه ! عمن إن كان يقول ؟ عني ؟
- عن أبي ؟ آه ! قسماً بدم المسيح ! إنني لا أحبه

مطلقاً هذا السالفياتي ، ولا بد أن أعرف !
هل تسمعي ؟

العمدة : سأقول لك إذا كنت مصرّاً على ذلك . لقد
تحدث أمامي ، في دكان ، عن أختنا ،
بطريقة مهينة حقاً !

بيير : يا إلهي ! وبأية ألفاظ ! هيا ، تكلم !

العمدة : بأقبح ألفاظ !

بيير : يالك من قسيس شيطان ! تراني نافذ الصبر ،
وتتلمس الكلمات ! قل الأشياء كما هي ،
فالكلمة كلمة ، بالطبع ، والله لا يمنع !

فيليب : بيير ، بيير ! إنك تسيء إلى أخيك !

العمدة : لقد قال انه سينام معها ! هذه هي الكلمة
التي قالها : وانها قد وعدته بذلك !

بيير : انها ستنام . . . آه ! الموت له ! كم الساعة
الآن ؟

فيليب : إلى أين تذهب ؟ هل جبلت من ملح البارود ؟
أي شيء ستفعله بهذا السيف ؟ إنك تحمل
جنبك سيفاً (٢) !

بيير : لن أفعل شيئاً ، ولنذهب للعشاء . لقد أعد
الطعام (يخرجون) .

(٢) لا بد أن بيير قد انتزع سيفاً معلقاً على أحد الجدران ، ونسى أنه يحمل
سيفاً آخر .

المشهد الثانى

مدخل كنيسة

يدخل لورنزو وفالورى

فالورى

: كيف لا يجرىء الدوق إلى هنا ؟ آه ! ياسيدى ،
لكم تسر هذه الروائع التى تزخر بها الكنيسة
الرومانية رجلا مسيحيا ! وأى رجل يمكن أن
يكون هنا جامد الأحساس ؟ ألا يجد الفنان هنا
نعيم قلبه ؟ والمحارب ، والقس ، والتاجر ،
ألا يلتقون هنا بكل ما يحبون ؟ هذا التوافق الرائع
بين آلات الأرغن ، وهذا الرياش النضير من
المخمل ، والستائر المزركشة ، وهذه اللوحات
عمل الأساتذة الأوائل ، والعطور الهادئة ،
الحميلة ، التى تؤرجحها المباخر ، والأناشيد
العذبة التى تنشد بهذه الأصوات الفضية . . . إن
هذا كله يمكن أن يصدم باجتماعه الدنيوى مشاعر
الراهب الصارم ، عدو المتعة ، ولكن ؛ لأجمل
عندى من ديانة تستحب بمثل هذه الوسائل (٣) .
ليست الديانة طيرا جارحا ، ولكنها حمامة
حانية ، تبسط جناحيها في رفق على كل ما يحلم
به الناس وما يحبونه !

لورنزو

: مامن شك في أن ماتقوله صحيح تماما ، وزائف
تماما ، ككل شىء في الدنيا . !

(٣) سبق ان ابدى شاتوبريان مثل هذا الرأى فى كتابه « عبقرية المسيحية »
(١٨٠٢) .

تيبالد يوفريتشا : (يدنو من فالورى) آه ! ياسيدى ، ما أجمل
أن أرى رجلا كنيافتك يتحدث هكذا عن
التسامح والحماسة المقدسة ! اغفر لمواطن مغمور،
يحترق بهذه النار الألهية ، أن يشرك على هذه
الكلمات القليلة التى سمعها الآن . إن أعظم
سعادة يمكن أن يشتهيها المرء ، هى أن يجد
ما يقبله على شفى رجل نبيل !

فالورى : أأست فريتشا الصغير ؟

تيبالديو : إن لأعمالى أهمية قليلة ، فإننى أعرف كيف
أحب الفنون أكثر مما أعرف كيف أمارسها .
ولكن شبابى قد انقضى كله فى الكنائس ؛
ويلوح لى أننى لا أستطيع أن أعجب بغير
رفائيل (٤) وفناننا الإلهى بوناروتى (٥) . إننى
أقف أياما أمام أعمالهما ، وأنا فى دهشة ليس لها
نظير ! إن ألحان الأرغن تكشف لى عن فكرهما
وتجعلنى أنفذ إلى أعماقهما ! إننى أنظر إلى
أشخاص لوحاتهما وهم راكعون فى قداسة ،
وأصغى كما لو كانت أناشيد الجوقة خارجة من
أفواههم المنفرجة . وتمر نفحات البخور
العطرى بينهم وبينى فى سحابة خفيفة ، وأعتقد

(٤) من أبرز فنانى عصر النهضة • كان يعمل فى بيروت وفلورنسا قبل أن يصبح
كبير المهندسين ، والمشرف على عمائر الفاتيكان (١٤٨٣ - ١٥٢٠) •

(٥) ميكل أنجلو ، الفنان الأشهر ، صاحب تمثال موسى وقبة القديس بطرس فى
الفاتيكان وأعمال الفريسك فى كنيسة سلسيتين ومقبرة عائلة مديتشي (١٤٧٥ -
١٥٦٤) •

أننى أرى فيه مجسد الفنان . إنه — هو أيضا —
دخان حزين ، رقيق ، لا يكون إلا عطرا عديم
الحدوى إذا لم يصعد إلى الرب !

فالمورى : إنك فنان حقيقى . تعال إلى قصرى . وليكن
ملك شىء تحت مظفك . عندما تجىء . إنى
أريد أن تشتغل لحسابى .

تيبالديسو : إن صاحب النياقة يسبغ على شرفا أكبر مما
أستحق . وأنا خادم جد متواضع لديانة العصور
المقدسة .

لورنزو : لماذا تسترد ماتعرضه من خدمة ؟ يلوح لى أنك
تحمل رسما بين يديك .

تيبالديسو : هذا صحيح ، ولكنى لا أجروء على إظهاره
لأمثالكما من كبار العارفين . إنه تخطيط ركيك
لحلم رائع !

لورنزو : هل تصور أحلامك ؟ سأعرض عليك بعض
أحلامى .

تيبالديسو : إن تحقيق الأحلام هو حياة المصور . لقد أعاد
أكبر المصورين أحلامهم إلى الحياة بكل قوتها ،
ودون أن يغيروا شيئا منها . لقد كان خيالهم
شجرة مملوءة بالعصارة . وكانت براعمها تتحول
دون مشقة إلى أزهار ، والأزهار إلى ثمار ،
وسرعان ماتنضج هذه الثمار في شمس محسنة ،
وعند نضجها تنفصل من تلقاء نفسها ، وتسقط
على الأرض ، دون أن تفقد ذرة واحدة من

غبار بكوريته . وا أسفاه ! إن أحلام الفنانين
الصغار نباتات يصعب تغذيتها ، وهم يروونها
بالدموع المريرة لكي تثمر ثمرا قليلا ! (يظهر
لوحته)

فالسورى : رسم جميل ، دون مجاملة ، وإن لم يكن من
الدرجة الأولى حقيقة . ولماذا أجمال رجلا
لا يفتخر هو نفسه بما يعمل ؟ ولكن لحيتك
لم تنبت بعد ، أيها الشاب .

لورنزو : أهو منظر ريفي ، أم صورة شخصية ؟ ومن أى
جانب ينبغي أن ننظر إليه ؛ أبالطول أم بالعرض ؟

تبادلديو : سيادتكم تسخر مني ! إنه مشهد الكامبوسانتو (٦)

لورنزو : كم تبلغ المسافة من هنا إلى الأبد ؟

فالسورى : لا يجمل بك أن تسخر من هذا الغلام ! انظر
كيف يبدو الحزن في عينيه الواسعتين ، مع
كل كلمة من كلماتك !

تبادلديو : الأبد هو الايمان . وأولئك الذين وهبهم الله
أجنحة يبلغونه باسمين .

فالسورى : إنك تتكلم كتلميذ لرفائيل (٧) .

تبادلديو : ياسيدى ، لقد كان أستاذى ، ومنه تعلمت .

لورنزو : تعال إلى بيتي . سأجعلك تصور المتسافيرا (٨)

(٦) احدى مقابر فلورنسا ، وهي مقامة فوق ربوة عالية .

(٧) كان رفائيل يصور العنراء والملائكة باسمين دائما .

(٨) بقى فلورنسية .

وهي عارية .

تيبالديو : إننى لا أقدر ريشتى ، ولكننى أحترم فى !
لورنزو : لقد خلقها ربك وتستطيع أن تصورها ! هل
تصور من أجلى منظرا لفلورنسا ؟

تيبالديو : نعم ، ياسيدى .
لورنزو : كيف تصورها ؟
تيبالديو : أقف ناحية الشرق . على الشاطئ الأيسر من
الآرنو . إن المشهد يكون أكثر اتساعا وملاءمة
في ذلك الموضع (٩) .

لورنزو : وتصور فلورنسا بميادينها وبيوتها وشوارعها ؟
تيبالديو : نعم ، ياسيدى .
لورنزو : لماذا إذن لاتستطيع أن تصور عاهرة ، إذا
كنت تستطيع أن تصور مكانا رديئا ؟
تيبالديو : لم يعلمونى قط أن أتكلم هكذا عن أمى .
لورنزو : ماذا تسمى أمك ؟
ليبالديو : فلورنسا ، ياسيدى .

لورنزو : فما أنت الا نعل ، لأن أمك ليست إلا بغيا !
تيبالديو : إن جرحا داميا يمكن أن يخلف الفساد في أصح
الأبدان . غير أنه من القطرات الثمينة ، من دم
أمى ، يخرج نبات عطري يشفى جميع الأمراض !

(٩) فوق المرتفعات التى تهيم على فلورنسا .

إن الفن — هذه الزهرة القدسية — يحتاج أحيانا
إلى قمامة تسمد التربة ، وتخصبها !

لورنزو : ماذا تعنى بذلك ؟

تبادلديو : لقد كانت الشعوب المسالمة ، والسعيدة ،
تستضيء أحيانا بنور نقى ولكنه ضعيف . وهناك
أوتار كثيرة في قيثارة الملائكة ، ويستطيع النسيم
أن يهمس على أضعفها ، وأن يخرج منها مجتمعة
إيقاع جميل ، عذب ؛ ولكن الوتر الفضى
لا يهزه إلا ريح الشمال . إنه أجمل الأوتار
وأنبهها . ولكن لمسة يد خشنة هي التى تناسبه .
إن الحماسة أخت الألم !

لورنزو : تعنى أن الشعب البائس يصنع الفنانين الكبار !
يجدر بى أن أكون الكيمياء الذى يستخدم
إنبيقتك عن طيب خاطر ، فإن دموع الشعوب
تسقط فيه لآلىء ! قسما . إنك تعجبني ! تستطيع
الأسر أن تحزن ، والشعوب أن تقتلها التعاسة ،
لكى ينصب هذا خيال السيد ! أيها الشاعر
المدهش ! كيف توفق بين هذا كله بتقواك ؟ !

تبادلديو : إننى لا أسخر أبداً من شقاء الأنسر . إننى أقول
إن الشعر أعذب أنواع الألم ، وأنه يحب إخوته .
إننى أشفق على الشعوب المعذبة . ولكنى أعتقد
حقاً أنها تصنع الفنانين الكبار . إن ميادين القتال
تخرج المحاصيل . والأرض التالفة تنتج القمح
الذى تنعم علينا به السماء !

لورنزو : إن معطفك مهلهل ، فهل تريد معطفا يحمل
شارتي (١٠) ؟

تيبالديو : إنني لا أنتسب إلى أحد . وعندما يريد الفكر أن
يكون حرا ، ينبغي أن يكون الجسد حرا كذلك .

لورنزو : أريد أن آمر خادمي بأن يضربك بضع
ضربات بالعصا !

تيبالديو : لماذا ، ياسيدي ؟

لورنزو : لأن هذا يخطر لي ! هل أنت أعرج منذ مولدك ،
أم نتيجة لحادث ؟

تيبالديو : إنني لست أعرج . ماذا تعني بذلك ؟

لورنزو : إنك أعرج أو مجنون !

تيبالديو : لماذا ، ياسيدي ؟ إنك تسخر مني .

لورنزو : إذا لم تكن أعرج ، فكيف تبقى — إلا أن تكون
مجنونا — في مدينة يستطيع فيها أول خادم عند
واحد من آل مديتشي أن يقتلك مصداقا
لأفكارك عن الحرية ، دون أن يجدوا في ذلك
عيبا ؟

تيبالديو : إنني أحب أمي فلورنسا ، ولهذا أبقى على أرضها .
إنني أعرف أن أي مواطن يمكن أن يقتال في
وضوح النهار ، وفي عرض الطريق ، بناء على
نزوة أولئك الذين يحكمونها ، ولذلك أحمل
هذا الحنجر في حزامي .

(١٠) أي : أن تكون من اتباعي .

لورنسزو : هل تطعن الدوق بالخنجر إذا طعنك الدوق ،
مثلا ارتكب الكثير من جرائم القتل ، في حفلاته
الماجنة ، ليلهو ؟

تيبالديو : سأقتله ، إذا هاجمنى .

لورنسزو : هل تقول هذا لى ، أنا ؟

تيبالديو : لماذا يحقد على أحد من الناس ؟ إننى لا أؤذى
أحدا . إننى أقضى أيامى في الرسم . وفي يوم
الأحد أذهب إلى « كنيسة البشارة » أو « سانت
مارى » . ولما كان الرهبان يعتقدون أن لى
صوتا حسنا ، فإنهم يلبسونى رداءً أبيض ،
وطاقيه حمراء ، وأقوم بدورى في جوقات
المنشدين ، وأؤدى في بعض الأحيان دورا مفردا
صغيرا ، وتلك هى المناسبات الوحيدة التى أواجه
فيها الناس . وفي المساء أذهب إلى بيت خطيبتى ،
وعندما تكون الليلة جميلة أقضيها في شرفتها .
إن أحدا لا يعرفنى ، وأنا لا أعرف أحدا ، فمن
ذا يفيدته حياتى أو موتى ؟

لورنسزو : هل أنت جمهورى ؟ هل تحب الأمراء ؟

تيبالديو : إننى فنان . إننى أحب أمى وخطيبتى .

لورنسزو : تعال غدا إلى قصرى . إننى أريد أن أكلفك
بتصوير لوحة قيمة ليوم عرسى (١١) (يخرجون)

(١١) انه يعنى دائما بيوم عرسه ذلك اليوم الذى سيقتل فيه الكساندر (انظر :
(١ ، ٣)

المشهد الثالث

عند الماركية تشييو

الكاردينال : (وحده) نعم ؛ سأطيع أوامرك ، يافارنيز (١٢)
فليحبس قاصدك الرسول (١٣) نفسه ، باستقامته ،
في دائرة وظيفته الضيقة . وبيد ثابتة سأهز
الأرض الزلقة التي لا يجرؤ على السير فوقها !
إنك تنتظر ذلك مني . لقد فهمت هذا . وسأعمل
دون أن أتكلم ، كما أمرت . لقد كنت تعرف
من أنا عندما وضعتني بالقرب من ألكساندر
دون أن تقلدني منصبا يجعل لي سلطانا عليه .
لسوف يأخذ حذرته من غيري ، وهو يطيعني
في غفلته ! فليستنفذ قوته ضد أشباح رجال ،
ينفخها ظل من القوة ! وسوف أكون الحلقة
الخفية التي تربطه — وهو مقيد الرجلين واليدين —
بالسلسلة الحديدية التي يمسك بطرفيها روما
وقيصر ! وإذا لم تكن عيناي تخدعاني فإنه ،
في هذا البيت ، توجد المطرقة التي سأستخدمها !
إن ألكساندر يجب زوجة أخى (١٤) ، وأستطيع
أن أصدق أن هذا الحب قد أرضى غورها ،
ولكنني لست على يقين مما يمكن أن يترتب

(١٢) البابا بول الثالث .

(١٣) الكاردينال باتشو فالورى (انظر : ١ ، ٤)

(١٤) لم يكن هذا الكاردينال أخا لزوج ريتشاردا . وقد جعل له المؤلف هذه
القربة لكي يضاعف من حسوة ذلك الأسلوب الميكافيللى في معالجة الامور .

عليه من نتائج ، إلا أنني متأكد مما تريده منه .
ومن يدري إلى أى مدى يمكن أن يصل تأثير
امرأة متحمسة حتى على ذلك الرجل الغليظ ،
على ذلك الدرع الحى (١٥) ؟ إن خطيئة عذبة
كهذه ، في سبيل غرض بديع كهذا ، لهى شىء
مغر ؛ أليس كذلك ، ياريتشياردا ؟ وأن
تضمي قلب الأسد ، هذا ، إلى قلبك الضعيف
الذى اخترقته السهام الدامية ، كقلب سان
سيباستيان (١٦) ، وتحدثي وعيناك دامتان ،
عما يعاينه الوطن من آلام ، بينما يدس الطاغية
المعبود يديه الخشتين في شعرك المرسل ، وتعملى
على إطلاق الشرارة المقدسة من صخرة ، فذلك
شىء يستحق التضحية بالأمانة الزوجية ، وبعض
التفاهات الأخرى ! إن فلورنسا تستفيد من هذا
كثيرا ، ولا يفقد أولئك الأزواج الطيبون
شيئا ! ولكنه لم يكن ينبغى أن تجعلى كاهن
اعترافها !

هاهى ذى مقبلة وكتاب صلواتها في يدها .
اليوم ، إذن ، يتضح كل شىء . دعى شرك
يسقط في أذن الكاهن فحسب . ولسوف يستطيع

(١٥) كان الكساندر يرتدى تحت ملابسه درعا متينا سيكون له دوره فى المأساة .

(١٦) توجد لوحات كثيرة من عصر النهضة فى ايطاليا تمثل استشهاد القديس
سيباستيان ، وخاصة لوحة المصور مانيتينيا (١٤٣١ - ١٥٠٦) الموجودة فى متحف
اللوفر بباريس .

النديم أن يستفيد منه ، إلا أنه ، يقينا ، لن يبوح
بشيء ! (تدخل الماركيزة)

الكاردينال : (يجلس) ها أنذا مستعد (تركع الماركيزة بالقرب
منه على كرسي اعترافها)

الماركيزة : اغفر لي يا أبى ، فقد أخطأت .

الكاردينال : هل قلت « أعترف » (١٧) ؟ نستطيع أن نبدأ ،
أيتها الماركيزة .

الماركيزة : إني أعترف بنوبات غضب ، وشكوك تتنافى
مع الدين ، وتسيىء إلى البابا أبينا المقدس .

الكاردينال : استمرى .

الماركيزة : لقد قلت بالأمس في جماعة من الناس ، بمناسبة
الحديث عن أسقف فانو ، إن الكنيسة الكاثوليكية
المقدسة قد كانت مباعة .

الكاردينال : استمرى .

الماركيزة : لقد أصغيت إلى أقوال تتعارض مع الأمانة التي
أقسمت عليها لزوجي .

الكاردينال : من وجه إليك هذه الأقوال ؟

الماركيزة : لقد قرأت رسالة مكتوبة بنفس المعنى .

الكاردينال : من كتب إليك هذه الرسالة ؟

الماركيزة : إني أعترف بما فعلت وليس بما يفعله الآخرون .

الكاردينال : يا ابنتي ، يجب أن تجيبي عن سؤالى إذا أردت

(١٧) Confiteor وهي صلاة تسبق الاعتراف عند الكاثوليك وتبدأ بهذه الكلمة .

أن يكون في مقدورى أن أمنحك الغفران وأنا
مطمئن كل الاطمئنان . أخبرني قبل كل شيء ،
إذا كنت قد أجبت على تلك الرسالة .

الماركيـزة : لقد أجبت عليها بصوتى ، ولكننى لم أجـب
بالكتابة .

الكاردينال : ماذا قلت فى إجابتك ؟

الماركيـزة : لقد سمحت للشخص الذى كتب إلىّ بأن يلقانى
كما أراد .

الكاردينال : كيف تم هذا اللقاء ؟

الماركيـزة : لقد اعترفت الآن بالأصغاء إلى أقوال تتعارض
مع شرفى .

الكاردينال : كيف أجبت عنها ؟

الماركيـزة : لقد أجبت بما يناسب امرأة تحترم نفسها .

الكاردينال : ألم تظهرى شيئا يفهم منه أنه قد أقنعك أخيرا ؟

الماركيـزة : لم أفعل ، يا أبى .

الكاردينال : هل أظهرت للشخص المعنى عزمك على عدم
الأصغاء إلى أقوال كهذه فى المستقبل ؟

الماركيـزة : نعم ، يا أبى .

الكاردينال : هل يعجبك هذا الشخص ؟

الماركيـزة : إن قلبى لا يعرف شيئا من ذلك ، فيما أرجو .

الكاردينال : هل أخبرت زوجك ؟

- الماركيزة : كلا ، يا أبى . إن الزوجة الشريفة لا ينبغي أن
تثير الاضطراب في بيتها بحكايات من هذا النوع
- الكاردينال : ألا تخفين عنى شيئاً ؟ ألم يقع بينك وبين الشخص
المعنى شىء تترددين في الافضاء به إلى ؟
- الماركيزة : لا شىء ، يا أبى .
- الكاردينال : مامن نظرة رقيقة ؟ مامن قبلة مختلصة ؟
- الماركيزة : كلا ، كلا ، يا أبى .
- الكاردينال : يقيناً ، يا ابنتى ؟
- الماركيزة : يا أخا زوجي ؛ يلوح لي أنني لم أعتد أن أكذب
أمام الله !
- الكاردينال : لقد رفضت أن تخبرني بالاسم الذي طلبته
منك الآن . ولا أستطيع أن أمنحك الغفران
دون أن أعرفه !
- الماركيزة : لماذا ؟ قد تكون قراءة خطاب ، لا قراءة
توقيع ، هي الخطيئة . ما أهمية الاسم في المسألة ؟
- الكاردينال : إنه يهم أكثر مما تظنين !
- الماركيزة : يامالاسبينا ؛ إنك تريد أن تعرف أكثر مما ينبغي !
لا تمنحني الغفران إذا شئت ، وسأأخذ لي كان
اعتراف من أول قسيس قادم^٣ ، وسيمنحني^٤
إياه ! (تنهض)
- الكاردينال^٥ : ما هذا العنف ، أيتها الماركيزة ! ألسنت
أعرف أنه هو الدوق الذي تريد أن تتحدثي
عنه ؟

الماركيـزة : الدوق ! . حسناً ! إذا كنت تعرف ذلك ،
فلماذا تريد أن ترغمني على ذكره ؟

الكاردينال : لماذا ترفضين أن تذكريه لي ؟ إن هذا يدهشني !

الماركيـزة : وماذا تريد أن تفعل به ، يا كاهن اعترافي ؟

هل تصر على معرفته بهذه القوة لكي تعيده على
مسامح زوجي ؟ نعم ؛ يقيناً ! يخطيء المرء
عندما يتخذ كاهن اعترافه من بين أقربائه . إن
السماء تشهد على أنني — وأنا راقعة أمامك —
أنسى أنني زوجة أخيك . ولكنك تهتم بأن
تذكرني بهذا ؛ فكن حريصاً ، يا تشيبو ، كن
حريصاً على خلاصك الأبدي ، أيها الكاردينال

الكاردينال : عودي إذن إلى هذا المكان ، أيتها الماركيـزة ،
فليس هناك ضرر كبير كما تعتقدين .

الماركيـزة : ماذا تعني ؟

الكاردينال : أعني أن كاهن الاعتراف ينبغي أن يعرف
كل شيء لأنه يستطيع أن يوجه كل شيء ؛
وأن أختاً الزوج لا ينبغي أن يقول شيئاً . .
بشروط معينة .

الماركيـزة : أية شروط ؟

الكاردينال : كلا ، كلا ؛ إنني مخطيء . لم تكن هذه هي
الكلمة التي أردت أن استخدمها . لقد أردت
أن أقول ان الدوق . رجل ذو سلطان ، وإن
شفاقاً معه يمكن أن يلحق الأذى بأكثر العائلات
غنى وجاها ؛ ولكن سرّاً كبيراً إذا ما وضع

بين يدين متمرستين ، يمكن أن يصبح مصدر
خير وفير .

الماركيةزة : مصدر خير ! . . ويدان متمرستان ! . . إنني
أقف جامدة كتمثال ، حقاً ! ماذا تضمر أيها
الكاهن تحت هذا الكلام الذي يحمل أكثر
من معنى ؟ إن هنالك عبارات معينة تمر سريعاً
على شفاهكم ، ولا نعرف كنهها !

الكاردينال : عودي إذن ، واجلسي ، يا ريتشيارددا . إنني
لم أمنحك الغفران بعد .

الماركيةزة : تكلم أنت دائماً ، فانه ما من دليل على أنني
أريده .

الكاردينال : احترسي أيتها الماركيةزة ! عندما يريد أحد
أن يواجهني متحدياً ، فلا بد أن يكون له درع
درع متين ولا عيب فيه ! إنني لا أريد أن أهدد
على الإطلاق ، ولا أملك إلا كلمة واحدة
أقولها لك : اتخذني كاهن اعتراف آخر !
(يخرج)

الماركيةزة : (وحدها) هذا شيء لم يسمع به من قبل !
يمضي وهو يعصر كفيه ، وعيناه تشتعلان غضباً
ويتحدث عن يدين متمرستين ، وعن التوجيه
إلى أشياء معينة ! ما الحكاية إذن ؟ لئن كان
يريد أن يعرف سري ليخبر به زوجي ، فهذا
شيء أفهمه . ولكن : إذا لم يكن ذلك ما يرمى
إليه ، فماذا يريد أن يجعل مني ؟ عشيقة الدوق؟

أن يعرف كل شيء — هكذا يقول — وأن يوجه كل شيء ! ولكن هذا مستحيل ! . . إن هناك سرّاً آخر ، هذا مؤكد . إنني أعرفه . تلك حرفة خليق بها لورنزا تشو ! أما هو ! . . لا بد أن لديه فكرة خفية أكبر من هذا ، وأعمق . أواه ! كيف يخرج الرجال من ذواتهم فجأة ، بعد عشر سنوات من الصمت ! إنه شيء مخيف ! والآن ، ماذا أفعل ؟ هل أحسب ألكساندر ؟ كلا ؛ إنني لا أحبه . كلا ؛ يقيناً ! لقد قلت : « كلا » في اعترافي ، ولم أكذب . لماذا يكون لوران في ماساً ، ؟ ولماذا يلاحقني الدوق ؟ لماذا أجبت بأنني لا أريد أن ألقاه ثانية ؟ لماذا ؟ . . أواه ! لماذا يكون في ذلك كله مغناطيسية ، وسحر غامض يجذبني ؟ (تفتح نافذتها) ما أجملك يا فلورنسا ، ولكن : ما أشد حزنك أيضاً ! هنالك أكثر من بيت قد دخله ألكساندر ليلاً ، متخفياً تحت معطفه ! إنه فاسق ، كما أعلم ! ولماذا تختلطين بهذا كله ، يا فلورنسا ؟ من الذي أحبه إذن ؟ أنت ؟ أم هو ؟

أنبولو : (يدخل) سيدتي ؛ إن صاحب السمو قد دخل الفناء .

الماركيزة : شيء غريب ! لقد تركني مالا سبينا وأوصالي كلها ترتعد !

المشهد الرابع

في قصر سوديريني

ماري سوديريني . كاترينا . لورنزو « جالسين »

كاترينا : (ممسكة بكتاب) أي تاريخ أقرأ لك ، يا أمي ؟

ماري : إن عزيزتي كاتينا (١٨) تسخر من أمها المسكينة !
هل أفهم شيئاً من كتبك اللاتينية ؟

كاترينا : ليس هذا الكتاب باللاتينية ولكنه مترجم عنها .
إنه التاريخ الروماني .

لورنزو : إنني متبحر في التاريخ الروماني . لقد كان
يوجد ذات يوم نبيل شاب اسمه تاركمان
الابن (١٩) .

كاترينا : آه ! هذه قصة دامية !

لورنزو : آه ! هذه قصة خرافية ! لقد كان بروتس (٢٠)
مخبولاً ، يعثره جنون الفكرة الثابتة ، ولا
أكثر من ذلك . وكان تاركمان دوقاً حكيماً ،

(١٨) تصغير لاسم كاترينا .

(١٩) هو سكستوس (ابوه تاركمان ، آخر ملوك روما ، وقد مات في عام ٤٩٤ ق.م)
وقد تسلل الى خيمة لوكريس - زوجة احد قواد أبيه ، في حصار مدينة أرديا -
واغتصبها قهراً ، فانتحرت . وكان هذا الحادث سبباً في اشتعال الثورة والاطاحة
بتاركمان ، واقامة النظام الجمهوري . وقد قتل سكستوس في عام ٤٩٦ ق.م .

(٢٠) لوشيس جونيوس بروتوس : قائد الثورة على حكم تاركمان ، وأسس
الجمهورية . وكان تاركمان قد قتل أباه وأخوته ، ولم ينج هو من الموت الا باصطناع
الجنون ، فسمى (بروتس) أي العبيط .

يذهب خفية ليرى إن كانت الفتيات الصغيرات
ينمن جيداً !

كاترينا : هل تتحدث بالسوء عن لوكريس أيضاً ؟
لورنزو : لقد استمتعتُ بلذة الخطيئة ، وعظمة الموت !
لقد تركت نفسها تؤخذ حية ، كعصفورة في
المصيدة ، ثم غيبت سكينها الصغيرة برفق
في بطنها !

ماري : إذا كنت تحتقر النساء ، فلماذا تتعمد تحقيرهن
أمام أمك وأختك ؟

لورنزو : إنني أحترمكما ، أنت وهي . وفيما عدا
ذلك ، يثير العالم كله تقززي !

ماري : هل تعرف الحلم الذي حلمته الليلة ، يا بني ؟
لورنزو : أي حلم ؟

ماري : إنه آلم يكن حلماً قط ، لأنني لم أكن نائمة .
لقد كنت وحدي في هذه القاعة الكبيرة . وكان
مصباحي بعيداً عني ، على هذه المنضدة المجاورة
للنافذة . وكنت أحلم بالأيام التي كنت فيها
سعيدة ؛ أيام طفولتك يا عزيزي لورنزينو !
وكنت أنظر إلى هذا الليل المظلم ، وأقول
لنفسي : إنه لن يعود إلا نهاراً ، وهو الذي
كان فيما مضى ، ، يقضى الليالي في الدروس
والتحصيل ، وكانت الدموع تملأ عيني ، وكنت
أهز رأسي وأنا أشعر بتساقطها ! وسمعت فجأة

خطوات بطيئة في الردهة . واستدرت : وكان
رجلاً مقبلاً نحوى في حلة سوداء . وتحت
ذراعه كتاب (٢١) . . . لقد كان إياك يا رنزو
وهتفت قائلة : « لكم تبكر في عودتك » ! . .
ولكن الشبح اتخذ مجلسه بجوار المصباح
دون أن يجيبني ، وفتح كتابه . وعرفت فيه
عزيزي لورنزو ، كما كان في الماضي ! .

لورنزو : هل رأيته ؟

ماري : كما أراك .

لورنزو : ومتى ذهب ؟

ماري : عندما جذبت الجرس في عودتك هذا الصباح

لورنزو : شبحي ، أنا ! وذهب عندما رجعت ؟

ماري : لقد نهض والكتابة بادية عليه . واختفى كبخار
المصباح !

لورنزو : كاترينا ، كاترينا ! اقرئي لي حكاية بروتس !

كاترينا : ماذا ألم بك ؟ إنك ترتعد من رأسك حتى
قدميك !

لورنزو : فلتجلسي يا أماء مساء اليوم في المكان الذي
كنت تجلسين فيه الليلة . وإذا عسا شبحي ،

(٢١) لقد كان موسيه يعاني من ظاهرة مرضية وهو في مدينة فينتسيا ، فكان يرى
شبحاً شبيهاً به ، في حلة سوداء ، يسير بجانبه في الطريق ، وفي « ليلة ديسمبر »
يقول موسيه : كنت وأنا تلميذ أسهر الليل في قاعتنا المنعزلة . وكان يجيء ويجلس
إلى منضدتي غلام شاحب الوجه - في حلة سوداء - يشبهني كاخ لي . . .

فقل لي له انه سيري شيئاً يذهله عما قريب !
(طرق على الباب) .

كاترينسا : إنه عمي بندو ، وبابتستافنتوري (يدخل
بندو وفتتوري) .

بندو : (إلى ماري بصوت خفيض) سأبذل محاولة
أخيرة .

ماري : سترككم . وأرجو أن توفق ! (تخرج
مع كاترينا)

بندو : لورنزو ؛ لماذا لا تكذب الرواية الفاضحة
التي تروي عنك ؟

لورنزو : أية رواية ؟

بندو : يقولون إنك قد أغمى عليك عندما رأيت سيفاً !

لورنزو : هل تصدق ذلك ، يا عمي ؟

بندو : لقد رأيتك تتدرب على استخدام السلاح في
روما ، ولكنه لا يدهشني أن تصبح أحقر
من كلب ، في حرفتك التي تمارسها هنا !

لورنزو : الرواية حقيقية ؛ لقد أغمى علي . صباح
الخير ، يا فتتوري . بأي سعر تباع اليوم ؟
كيف حال التجارة ؟

فتتوري : يا سيدي ؛ إنني أقف على رأس مصنع للحديد ؛
أما أن أدعي تاجراً ، فهذه إهانة لي !

لورنزو : هذا صحيح . لقد أردت أن أقول فقط ، إنك

قد اعتدت في الكلية هذه العادة البريئة ،
ألا وهي بيع الحرير (٢٢) .

بنـدو : لقد افضيت الى السيد فتورى بالمسائل التي تهـم
الآن عددا كبيرا من الاسر ، في فلورنسا . انه
صديق فاضل للحرية . وأنتظر ، يالورنـزو ،
ان تعامله باعتباره كذلك . لقد مضى وقت
المزاح ، وقد كنت تقول لنا احيانا ان هذه الثقة
المتناهية التي يضعها فيك الدوق ليست سوى
فخ من جانبك . أهذا حق ام كذب ؟ هل انت
من انصارنا ام لست كذلك ؟ هذا ما يجب ان
نعرفه . ان العائلات الكبيرة كلها ترى ان الحكم
الاستبدادي الذي يمارسه آل مديتشي ليس
حكما عادلا ولا محتملا . فبأي حق نترك هذا
البيت المتعجرف يرتفع على اطلال امتيازاتنا في
سكون ؟ ان معاهدة التسليم لاتراعى ، ونفوذ
الألمان يبدو مطلقا ، يوما بعد يوم ، وقد حان
الوقت لانهايه ، وحشد الغيورين على الوطن .
هل تلجى هذا النداء ؟

لورنـزو : ما رأيك ، ياسيد فتورى ؟ تكلم ، تكلم ، فيها

(٢٢) في مسرحية السيد البورجوازي لموليير (٤ : ٥) يقول الخادم : « هو ،
تاجر ؟ محض افتراء ! انه لم يكن تاجرا قط ! كل ما في الامر انه كان مفضالا
للمغاية ، خدوما للنهائية ، ولانه كان يعرف كل شيء من الالتمشة ، فقد كان يتغيرها
من هنا ومن هناك ، ويحضرها الى بيته ، ثم يعطيها لأصدقائه بالثمن » ؛ وهنا يشير
موسيه الى ازدهار رجال الصناعة الذين كانت لهم السيطرة ابان حكومة يوليو الملكية
في فرنسا (١٨٣٠) لطائفة التجار في ذلك العهد .

هو عمى يسترد أنفاسه . انتهز هذه الفرصة
إذا كنت تحب بلدك !

فتسورى : ياسيدى ، اننى افكر نفس التفكير ، وليس
عندى كلمة واحدة اضيفها .

لورنزو : مامن كلمة واحدة ؟ مامن كلمة واحدة صغيرة ،
رنانة ؟ فأنت لا تعرف البلاغة الحقيقية ! انهم
يدورون دورة كبيرة حول كلمة صغيرة ،
لا هى بالقصيرة جدا ولا بالطويلة جدا ، ولكنها
كروية كالنحلة . ويطوحون بالذراع الايسر
الى الوراء بطريقة تطوى معاطفهم طيات ملؤها
وقار وتخفف من وطأته الرشاقة . انهم يطيلون
دورتها التى تتسع كوتر جهير . وتنطلق النحلة
الصغيرة فى طنين ممتع ، ويكاد يكون فى مقدورنا
ان نلتقطها فى راحة اليد كأطفال الشوارع !

بنـدو : انت وقح ! اجب او اخرج من هنا !

لورنزو : اننى من انصاركم ، يا عمى . الا ترى مـن
تصفيف شعري اننى جمهورى بقلبي ؟ انظر
الى الطريقة التى اسوى بها لحيتى ، ولاتدخلك
الريبة فى ذلك لحظة واحدة ، فان حب الوطن
يتنفس تحت ثيابي التى تلامس جلدى (طرق
على الباب الخارجى . تمتلئ الساحة بالخدم
وبالحياة) .

خادم : (داخلا) الدوق ! (يدخل الكساندر)

لورنزو : ياله من عطف زائد ، ياسيدى الامير ! تتنازل
وتزور بنفسك خادما مسكينا ؟

السدوق : من هذان الرجلان ؟ ان عندى ما اقله لك .

لورنزو : يشرفنى ان اقدم الى سموك عمى بندو التوفيقى ،
الذى يأسف لان رحلة طويلة الى نابولى لم تمكنه
من ان يرتقى على قدميك في فرصة اقرب من
هذه ! وهذا السيد الآخر هو بابتستافتورى
الشهير الذى يصنع الحرير حقيقة ولكنه لا يتاجر
فيه ابدا ! ارجو الا يثير اضطرابك حضور
الامير العظيم ، غير المتوقع ، الى هذا البيت
المتواضع ، ياعمى العزيز ، وانت ايضا ياسيدى
المحترم فنتورى . ان ماتطلبانه سيستجاب أويحق
بكما ان تقولوا ان توسلاتي لا قيمة لها عند مولاي
الجليل !

السدوق : ماذا تطلب يا بندو ؟

بندو : يا صاحب السمو ، يؤسفنى ان ابن اخى

لورنزو : ان لقب سفير في روما لا يحمله أحد في اللحظة
الحاضرة . وقد كان عمى يطمع في الحصول
عليه من مكارمكم ، وليس في فلورنسا رجل
واحد يمكن ان يقارن به في ولائه
واحترامه الواجبين لآل مدينتى !

السدوق : حقا ، يارنزو ؟ حسنا ! ليكن ذلك ياعزيزى
بندو . تعال الى القصر في صبيحة الغد .

بنسـدو : يا صاحب السمو ، اننى مضطرب . كيف اعترف بفضل . . ؟

لورنـزو : ولما كان السيد فنتورى لا يبيع الحرير مطلقا ، فانه يطلب امتيازاً لمصانعه .

الدوق : أى امتياز ؟

لورنـزو : شعاراتك على الباب مع البراءة . اسمح له بها يامولاي ، اذا كنت تحب من يحبونك .

الدوق : حسنا ! هل انتهينا ؟ اذهب ايها السيدان . صحبتكما السلامة !

فنتورى : يا صاحب السمو ! . . انك تملؤني غبطة وسرورا . . اننى لا استطيع ان اعبر . . .

الدوق : (الى حراسه) دعوا هذين الشخصين ينصرفان .

بنسـدو : (إلى فنتورى بصوت خفيض ، وهو يخرج) هذه خدعة دنيئة !

فنتورى : (بنفس اللهجة) ماذا تعترزم ان تفعل ؟

بنسـدو : (بنفس اللهجة) ماذا تريدني ان افعل ؟ اننى معين .

فنتورى : (بنفس اللهجة) شئ فظيع ! (يخرجان)

الدوق : لقد ملكتُ تشييبو .

لورنـزو : انى مستاء لذلك .

الدوق : لماذا ؟

لورنـزو : لانه سيكون ظلما للآخرىات .

السدوق : كلا ، في الحقيقة ، انها تضايقتني الآن ! قل لي
اذن ، يانديمي ، من هذه المرأة الجميلة التي
تنسق ازهارها على هذه النافذة ؟ اني اراها
دائما عند مروري ، منذ وقت طويل .

لورنزو : اين هي ؟

السدوق : هناك امامنا ، في القصر .

لورنزو : اوه ! لا شيء هناك .

السدوق : لا شيء ؟ اتدعو هاتين الذراعين لا شيء ؟ اية
فينسوس هذه !

لورنزو : انها بجارة لنا .

السدوق : اريد ان اكلم هذه البجارة . اوه ، حقا ! انها
كاترينا جينوري ، اذا لم اكن مخطئا .

لورنزو : كلا !

السدوق : اني اعرفها جيدا ، انها خالتك . ويحيى ! لقد
كنت نسيت هذا الوجه ، هاتها اذن على العشاء .

لورنزو : ذلك شيء عسير للغاية ! انها الفضيحة بعينها .

السدوق : هراء ! هل يعسر علينا مثل ذلك ؟

لورنزو : سأطلب ذلك منها ، اذا شئت . ولكنني انذرك
بانها متحذقة ! انها تتحدث باللاتينية .

السدوق : حسنا ! إنها لا تمارس الحب باللاتينية ! تعال من
هنا إذن . سراها أحسن ، من هذا الرواق .

لورنزو : مرة أخرى ، يا حبيبي . إنني لا أملك وقتا لكى

أضيعه في هذه الساعة . يجب أن أذهب الى بيت ستروتسى .

الدوق : ماذا ! إلى بيت ذلك المجنون العجوز ؟

لورنسزو : نعم ؛ إلى بيت ذلك الشقى العجوز ! إلى بيت ذلك الرجل البغيض ! يبدو أنه لا يستطيع أن يبرأ من تلك النزوة الغريبة ، فهو يفتح كيس نقوده دائماً لكل هذه المخلوقات الدنيئة التى تدعى بالمنفيين ! ويجمع عنده كل يوم أولئك المتضورون جوعاً ، قبل أن يتعلوا أحذيتهم ، يأخذوا عصيهم ! وأعتزم الآن أن أمضى إلى هناك بأسرع ما أستطيع ، فأكل عشاء ذلك المجرم العجوز ، وأؤكد له صداقتى القلبية من جديد ! وسوف تكون عندى الليلة حكاية طيبة أحكيها لك ، وفعلة صغيرة ، رائعة ، تستطيع أن توقظ في ساعة مبكرة من صباح الغد بعض أولئك الأوغاد !

الدوق : ما أسعدنى بك ، يانديمى ! أعترف بأننى لا أفهم كيف يستقبلونك .

لورنسزو : لا بأس ! تستطيع ذلك لو عرفت كيف يسهل الكذب بوقاحة على جلوف ، غليظ ! إن هذا يدل على أنك لم تحاول قط . بالمناسبة ، ألم تقل لى إنك تريد أن تعطى صورتك لا أذكر لمن ؟ إن عندى مصورا سأجيئك به . إنه محسوب .

الدوق : حسناً ، حسناً ! ولكن ؛ تذكر حالتك ! لقد

جئت أزورك من أجلها . على اللعنة ! إن لك
خالة تعجبني !

لورنزو : وتشيبو ؟

الدوق : أقول لك حدث عني خالتك ! (يخرجان)

المشهد الخامس

هو في قصر آل ستروتسي

فيليب ستروتسي : العمدة . لويزه (تطرز) . لورنزو « مضطجع
على أريكة »

فيليب : أسأل الله ألا يكون شيء من ذلك ! فكم من
عداوات دائمة ، لا يحمد لها أوار ، لم تبدأ بعد .
على نحو آخر ! كلمة تقال . بخار أكلة يتصاعد
هذيانا على شفقي فاجر ، غليظتين ! هذه هي
حروب العائلات . وهكذا تنسحب الحناجر !
يهان امروء فيقتل . وكما قتل يقتل . وسرعان
ما تتأصل العداوات ؛ ويهدد الناس أبناءهم
في توايت جدودهم ؛ وتخرج أجيال بأسرها
من باطن الأرض وسيوفها في أيديها . !

العمدة : ربما أكون قد أخطأت بتذكر هذه الكلمة
الحبيثة ، وهذه الرحلة اللعينة إلى مونثوليفيه .
ولكن ؛ ما الوسيلة إلى احتمال أبناء سالفياتي
هؤلاء ؟

فيليب : آه ! ياليون ، إنني أسألك : أي شيء كان يتغير

بالنسبة إلى لويزه ، وإلينا ، إذا لم تقل شيئا
لأولادى ؟ ألا تستطيع الفضيلة التى تتحلّى بها
واحدة من آل ستروتسى أن تنسى كلمة قالها
سالفياتى ما ؟ هل ينبغي على ساكن قصر من
الرخام أن يعرف الكلمات البذيئة التى يكتبها
العامة على جدرانها ؟ ماذا تهم كلمة قالها جوليان
ما ؟ ستقل فرصة ابنتى فى العثور على زوج
كريم ؟ سيقبل ما يحمله لها أبنائها من احترام ؟
سأذكرها أنا ، أبوها ، عندما أمنحها قبلة
المساء ؟ أين نحن ، إذن ، إذا كانت سفاهة
أول قادم تجرد من أغمادها سيوفا كسيوفنا ؟
لقد ضاع الآن كل شيء ؛ فها هو بير قد
تملكه الغضب لكل ما قصصته علينا . لقد هجر
البيت ومضى إلى بيت عائلة باسقى ؛ والله يعلم
ما يمكن أن يحدث ! ولو التقى بسالفياتى فسوف
يراق الدم ؛ دمي ، دمي ، على أرض فلورنسا !
أواه ! لماذا كنت أبا ؟ !

العمدة

: لو كان أحد قد نقل إلى كلاً ما قيل عن أختى ،
أيا كان ، لكنت أدركت له ظهري ، وانتهى
كل شيء ! ولكن ذلك الرجل قد كان يوجه
حديثه إلى ، وكان من البذاءة بحيث تصورت
أن السفية لم يكن يعرف عن يتحدث . ولكنه
كان يعرف جيدا !

فيليب

: نعم ؛ إنهم يعرفون ، أولئك الأرذال ! إنهم
يعرفون جيدا أين يضربون ! إن جذع الشجرة

القديم إنما هو من خشب صلب للغاية ، ولن
يقطعوه ! ولكنهم يعرفون العرق الدقيق الذى
يختلج في باطنه عندما يهاجمون أضعف أغصانه !
عزيزتى لوزيه ! أواه ! ماذا يكون العقل ،
إذن ؟ إن هذه الفكرة تجعل يدي ترتعدان .
يا أيها الأله العادل ! أليكون العقل هو الشيخوخة؟

: إن بير عنيف أكثر مما ينبغي .

العمدة

: بير المسكين ! كيف تصاعد الدم إلى وجهه !
وكيف كان يرتعد وهو يسمعك وأنت تذكر
الاهانة التى ألحقت بأخته ! إننى - أنا - المجنون
لأننى تركتك تتكلم ! لقد كان بير يذرع
الغرفة بخطوات سريعة وهو مضطرب ، غاضب ،
فاقد الصواب ! لقد كان يذهب ويجيء كما
أفعل الآن . وكنت أنظر إليه في صمت . وإنه
لمشهد جميل ، أن يتصاعد الدم النقي إلى وجهه
لا عيب فيه ! وكنت أقول في خاطرى : إيه ،
يا وطنى ! ها هو ذا واحد ، وهو أكبر أبناءى !
إيه ! ياليون ؛ هذه فرصتى الجميلة ، فأنا واحد
من آل ستروتسى !

فيليب

: قد لا يكون هناك خطر كبير كما تظن . . فمن
غير المحتمل أن يلتقى بسالفياتى هذا المساء .
وغدا ، سترى كل شيء ونحن أكثر هدوءا .

العمدة

: لا يكن عندك شك في هذا : إن بير سيقترله
أو يقتل نفسه (يفتح النافذة) أين هما الآن ؟

فيليب

هذا هو الليل ، والمدينة يلفها ظلام عميق . إن
هذه الشوارع المظلمة تخيفني . . إن الدم يهرق
في مكان ما ! إني على يقين من ذلك !

: اهسداً !

العمدة

: إن الطريقة التي خرج بها ولدي بيير تؤكد لي
أنني لن أراه إلا منتقما أو قتيلا . لقد رأيته
ينتزع سيفه مقطب الجبين . وكان يعض شفتيه ،
وكانت عضلات ذراعه مشدودة كالأقواس !
نعم ، نعم ؛ إنه الآن قد مات أو انتقم لنفسه ؛
ولا شك في هذا !

فيليب

: هدىء من روعك ، واغلق هذه النافذة .

العمدة

: حسنا ، يا فلورنسا ! فلتعرفي إذن لون دمي
النبيل على أرض شوارعك ! إن أربعين من
أبنائك يحملونه في عروقهم . وأنا ، رب هذه
الأسرة الكبيرة ، سينحني رأسي الأبيض أكثر
من مرة فوق هذه النوافذ ، وأنا أعاني أحزان
الأبوة ! أكثر من مرة ، سيجف في شمس
ميادينك هذا الدم الذي ربما كنت ترتوين به
الساعة دون مبالاة ! ولكن : لا تسخرى في
هذه الليلة من ستروتسي العجوز الذي يخاف على
ولده ! كوني ضئيلة بأسرته ، فلسوف يجيء
اليوم الذي تحصين فيه أفرادها ، وتقفين في
النافذة معه ، ويحقق قلبك أيضا عندما تسمعين
صليل سيوفنا !

فيليب

لويزه : أبى ! أبى ! إنك تخيفنى

العمدة : (إلى لويزه بصوت خفيض) أليس هذا توماس الذى يتجول تحت هذه المصابيح ؟ لقد بدا لي أننى عرفته بقامته القصيرة . ها هو قد رحل .

فيليب : أيتها المدينة المسكينة ! التى ينتظر الآباء فيها عودة أبنائهم هكذا ! أيها الوطن المسكين ! أيها الوطن المسكين ! كثيرون ، فى هذه الساعة ، قد أخذوا معاطفهم ، وسيوفهم ، وأوغلوا فى هذا الليل المسد لهم (٢٣) . وأولئك الذين ينتظرونهم لا يشعرون بالقلق ، فهم يعلمون أنهم سيموتون غدا بفعل الشقاء ، إذا لم يقتلهم البرد فى هذه الليلة ! ونحن ، فى هذه القصور الفاخرة ، ننتظر حتى نهان لكى نجرد سيوفنا ! إن لغو رجل مخمور يثيرنا ، ويشرد فى هذه الشوارع المظلمة أبناءنا وأصدقاءنا ، ولكن المصائب العامة لاتزيل الغبار عن أسلحتنا ! ويعتقد الناس أن فيليب ستروتسى رجل شريف لأنه يفعل الخير دون أن يمنع الشر . والآن : أى شيء لا أعطيه أنا الأب ليكون فى هذه الدنيا واحد يستطيع أن يعيد إلى ولدى ، ويقتص بقوة القانون للاهانة التى وُجّهت إلى ابنتى ! ولكن : لماذا يمنعون الشر الذى يصيبنى ، وأنا لم أمنع ذلك الشر الذى يصيب

(٢٣) يقصد المنفيين الذين كانوا يعيشون فى احوال صعبة .

الآخرين ، وقد كنت أستطيع ذلك ؟ لقد
حكفت على الكتب ، وحلمت لوطني بما كان
يعجبني في العصور القديمة ، وكانت الجدران
تصرخ مطالبة بالثأر حولي ؛ وكنت أغلق أذني
في تأملاتي ! وكان ينبغي أن يجيء الطغيان
ويلطمني على وجهي ليرغمني على أن أقول :
فلنعمل ! وقد شابت ناصية انتقامي ! (يدخل
بيير ، مع توماس وفرنسوا باتسي)

: انتهى الأمر ! لقد مات سالفياتي ! (يعانق أخته)

بيير

: يا للفظاعة ! إنك مخضب بالدم !

لويزه

: لقد انتظرناه على ناصية شارع القواسين ،
وأوقف فرنسوا جواده ، ثم طعنه توماس في
ساقه ، أما أنا ...

بيير

: اسكت ! اسكت ! إنك تجعلني أرتعد . إن
عينيك تبرزان من محجريهما ، ويداك بشعتان ،
وجسمك كله يهتز ، وأنت صاحب كالموت !

لويزه

: (ينهض) أنت جميل يا بيير ! أنت عظيم
كالانتقام !

الورنزيو

: من يقول هذا ؟ أنت هنا ، يا الورنزياتشو ؟
(يدنو من أبيه) متى إذن تغلق بابك في وجه
هذا التعس ؟ ألا تعلم من يكون هذا ، فضلا
عن حكاية مبارزته مع موريتشه ؟

بيير

: هون عليك ؛ إنني أعرف هذا كله . وإذا كان

فيليب

لورنزو هنا فلأن عندي أسبابا وجهية لاستقباله .
سوف نتحدث عن ذلك في وقت مناسب .

بيير : (بين أسنانه) هم ؟ ! أسباب لاستقبال هذا
الوغد ! وددت أن أجد ذات صباح سببا وجهيا
حدا كذلك لأرغامه علي القفز من النوافذ ! قل
ماشئت . فإنني أختنق في هذه الغرفة عندما
أرى جذاما كهذا يتسرغ علي مقاعدنا !

غيليسب : اسكت ! إنك طائش ! وأسأل الله ألا تجر
علينا فعلتك التي فعلتها الليلة وخيم العواقب !
يجب أن تختبئ أولاً .

بيير : أختبئ ! ولماذا أختبئ . بحق جميع
القديسين ؟

لورنزو : (إلى توماس) وهكذا طعنته في ساقه ؟ . . .
حدثني قليلاً ، إذن . . . (يقود إلى نافذة
مفتوحة ، ويتبادلان الحديث بصوت خفيض)

بيير : كلا . يا أبي ، لن أختبئ . لقد كانت الإهانة
علانية ، وقد وجهها إلينا في وسط ميدان ،
وقتلته في وسط شارع ، ويجدر بي أن أقول
هذا للمدينة كلها في صبيحة الغد !
مندمتي يختبئ الناس لأنهم قد ثأروا لكرامتهم
نخليق بي أن أتجول كما أشاء ، وسيفي مجرد ،
ودون أن أزيل عنه قطرة واحدة من الدم !

غيليسب : تعال من هنا . يجب أن أتحدث إليك . ألم تجرح

يا بني ؟ ألم يصبك شيء في كسلي هذا ؟
(يخرجان) .

المشهد السادس

في قصر السدوق

الدوق « نصف عار » . تيبالدو « يصوره » . جومو يعزف
على الجيتار .

جومو : (مغنياً) عندما أموت فانشودتي

ستحمل قلبي إلى حبيبتى

فتبعث إلى جهنم بالصلاة

وبالكهانة ، والعظائم . . .

ما كانت الدموع إلا مساء قراحاً

فقل لها أن تفرغ دنا مستباحاً

وأن تغنى جوقة وهي تشرب خمري

وسوف أجيبها من باطن قبوري

السدوق : كنت أعرف أن عندي شيئاً أريد أن أسألك عنه .

قل لي أيها الهنغاري . أى شيء فعله بك ذلك

الغلام الذي رأيتك تضربه بالعصا ، بطريقة

تبعث على السرور ؟

جومو : لا أستطيع أن أقول ، حقيقة ، ولم يعد هو

يستطيع !

السدوق : لماذا ؟ هل مات ؟

جومو : إنه ولد شقي ، من بيت مجاور ، يدالي — وأنه

مار — أنهم يوارونه التراب

الدوق : عندما يضرب عزيزي جومو ، فضربتـه قاضية !

جومو : هذا فضل منك . ولكنني رأيتك أكثر من مرة تقتل رجلاً بضربة واحدة !

الدوق : حقاً ؟ وهل كنت ثملاً ، إذن ؟ إنني متـى سررت كانت أصغر ضرباتي ، جميعها ، قاتلة (إلى تيبالديو) ماذا بك ، يا عزيزي ؟ هل ترتعد يدك ؟ إنك تحولُ عينيك بفضاعة !

تيبالديو : لا شيء ، يا مولاي ، شكراً لسموك !

(يدخل لـورنزو)

لـورنزو : أهناك تقدم ؟ هل أنت راض عن محسوبي ؟ (يأخذ درع الدوق من فوق الأريكة) إن لك درعاً جميلاً ، يا حبيبي ! ولكنه يسخن على جسدك حتماً .

الدوق : الحقيقة أنه لو كان يضايقني ما أرتديته . ولكنه سلك من الفولاذ ، ولا يستطيع أحدٌ مبرد أن يقطع منه عقدة واحدة ؛ وهو ، في الوقت نفسه ، خفيف كالحرير ، ولعله لا يوجـد له نظير في أوروبا كلها ، ولهذا لا أتركـه إلا نادراً ، بل إنني لا أتركه أبداً ، عـلى الأصح .

لـورنزو : إنه خفيف جداً ، ولكنه متين جداً كذلك . هل

تعتقد أنه يقاوم الحنجسر ؟

السدوق : مؤكدا !

لورنزو : الواقع أنني أفكر في ذلك الآن . إنك ترتديه تحت صدارك دائماً . وقد كنت بالأمس في المؤخرة ، وراءك ، أثناء الصيد ، وكنت أحس به جيداً عندما أمسكت بك من خاصرتك . هذه عادة حكيمة .

السدوق : ليس لأنني أحترس من أحد . إنها عادة كساة تقول . مجرد عادة تعودها جندي .

لورنزو : إن ثوبك رائع ! ويالخطر هذين القفازين ! لماذا تقف نصف عار ، إذن ؟ إن هذا الدرع خليق بأن يكون له أثره في صورتك ، وقد أخطأت عندما تركته .

السدوق : إن المصور هو الذي أراد ذلك . ثم إنه يحس دائماً أن يكون العنق مكشوفاً . أنظر إلى الصورة القديمة .

لورنزو : أين جيتاري ؟ يجب أن أصاحب جوممو بأجن مرتفع (يخرج)

تيبالديسو : إن أزيد اليوم ، يا صاحب السمو .

جسومو : (عند النافذة) ماذا يفعل لورنزو ! ها هو يقف متأملاً أمام البشر التي في منتصف الحديقة . يخيل إلي أنه لا ينبغي أن يبحث عن جيتاره هناك !

- الـدوق : أعطنى ثيابى . أين درعى ، إذن ؟
- جـومو : لست أجده ! لقد بحثت عنه جيداً ! لقد سرق !
- الـدوق : لقد كان لورنزينو ممسكاً به منذ أقل من خمس دقائق ، ولا بد أنه قد ألقى به فى ركن وهو خارج ، فالكسل عادته الحميدة !
- جـومو : انه شيء لا يصدق . فلم يعد للدرع وجود أكثر من وجوده فى يدي !
- الـدوق : انك تحلم ! هذا مستحيل !
- جـومو : أنظر بنفسك ، يا صاحب السمو . ليست القاعة واسعة إلى هذا الحد !
- الـدوق : لقد كان رنزو ممسكاً به هناك ، على هذه الأريكة (يعود لورنزو) ماذا فعلت بدرعى ؟ إننا لا نجده .
- لـورنزو : لقد أعدته إلى مكانه الذى كان فيه . انتظر . . . كلا ؛ لقد وضعته على هذا الفتى ؛ كلا ، على الفراش . . . إننى لا أعرف شيئاً عنه ، ولكننى وجدت جيتارى (يغنى وهو يعزف) صباح الخير ، يا سيدتى الرئيسة . . .
- جـومو : فى بئر الحديقة ، كما يبدو ؟ لقد كنت تنحنى فوقها الآن باهتمام شديد !
- لـورنزو : إن البصق فى بئر لصنع دوائر هو متعة الكبرى . وليس لي بعد الشراب ، او النوم ، شاغل آخر (يستمر فى العزف والغناء :)

صباح الخير ، يا رئيسة قلبي . . .

السدوق : إن ضياع هذا الدرع شيء لم يسمع به من قبل ! أعتقد أنني لم أخلعه مرتين في حياتي ، إذا لم يكن ذلك لكى أنام .

لورنزو : نخل عنك إذن ، نخل عنك إذن ! سيجده خدمك .

السدوق : عليك اللعنة ! أنت الذي ضيعه !

لورنزو : لو أنني كنت دوق فلورنسا لشعرت بالقلق على شيء آخر سوى دروعي . بالمناسبة ؛ لقد تحدثت عنك مع الحالة العزيزة ، وكل شيء على خير ما يكون . تعال إذن ، واجلس هنا قليلاً حتى أحدثك في أذنك .

جومو : (إلى الدوق ، بصوت خفيض) إنه شيء غريب على الأقل . لقد سرق الدرع !

السدوق : سنهتدي إليه (يجلس بجانب لورنزو)

جومو : (جانباً) ليس بالشيء الطبيعي أن يترك الجماعة ليصق في البشر ! اني أريد أن أهتدي إلى ذلك الدرع لكى أنتزع من رأسي فكرة قديمة تدور فيه من آن لآخر . حقاً ! يا له من لورنزا تشو ! الدرع فوق فوقتي ! !

المشهد السابع

أمام القصر

يدخل سالفياتي مخضباً بالدم ، وهو يعرج ، ورجلان
يسنداناه

سالفياتي : (يصرخ) ألكساندر دى مديتشي ! افتح
نافذتك وانظر قليلاً كيف يعاملون خدمك !

الدوق : (بالنافذة) من هناك ، في الطين ؟ من يتمرغ
عند جدران قصري ، ويصرخ هذا الصراخ
الشنيع ؟

سالفياتي : لقد ذبحني آل ستروتسي ، وسأموت عند
بابك !

الدوق : من يكونون آل ستروتسي ، ولماذا ؟

سالفياتي : لأنني قلت إن شقيقتهم تحبك ، يا سيدي
الدوق الشريف ! لقد وجد آل ستروتسي أن
شقيقتهم قد أهينت عندما قلت أنك تعجبها ،
فاغتالني ثلاثة منهم ! ولقد تعرفت على بيير
وتوماس ، ولا أعرف الثالث !

الدوق : دع أحداً يساعدك للصعود إلى هنا ؛ وقسماً
بهرقل ، سيقضى القتلة الليلة في السجن ،
ويشنقون في صباح الغد ! (سالفياتي
يدخل القصر) .

الفصل الثالث

المشهد الأول

غرفة نوم لورنزو

لورنزو . سكورونكونكولو (١) « يلعبان بالسيف »

سكورونكونكولو : سيدي ؛ هل أخذت كفايتك من اللعبة ؟

لورنزو : كلا : اصرخ أشد من ذلك . هيا ؛ ادفع
هذه الضربة ! مت ! خذ ، أيها التعس !

سكورونكونكولو : أنقذوني من السفاح ! إنه يقتلني ! إنسه
يقطع عنقي !

لورنزو : مت ! مت ! مت ! . . اضرب بالقدم .

سكورونكونكولو : إلي ، يا حاملي أقواسي ! النجدة ! إنسه
يقتلني ! لورنزو الجهنمي !

لورنزو : مت ، أيها الحقيير ! سأسفك دمك ، أيها

الخنزير ، سأسفك دمك ! في القلب ، في
القلب . لقد تمزقت أحشاؤه . . اصرخ ، اضرب
أقتل ! افتح بطنه ! فلنقطعه إرباً ، ونأكل ،
نأكل منه حتى المرفق ! لنبش في حلقه !
إقلبه ، إقلب ! فلننهض ! فلننهض ونأكل !
(يسقط منهكاً) .

(١) اسم الشهرة لقاتل بالاجر كان يدعى ميشيل دي توفالاتشينو .

سكورونكونكولو : (يحفف جبينه) لقد ابتكرت لعبة خشنة ، يا
سيدي . وإنك لتمضي فيها كنمر حقيقي ،
وَألف مليون من الرعود القواصف ! إنك
تزار مثل كهف تملؤه الفهود والأسود !

لورنزو : يا يوم الدم ، يا يوم عرسي (٢) ! أيتها
الشمس ! الشمس ! مضى زمان طويل وأنت
جافة كالرصاص . إنك تموتين عطشاً ، أيتها
الشمس ! لسوف يسرك دمى ! إيه ، يا ثأري !
إن أظافرك تنمو منذ وقت طويل ! يا أسنان
أوجولين (٣) ! لا بد لك من الجمجمة !

سكورونكونكولو : هل تهذي ؟ هل أنت محموم ؟
لورنزو : الجبان . الجبان . الفاجر . الضئيل . . الآباء
والبنات . . الوداع ، الوداع الذي لايتهى (٤)
إن شواطئ الأرنو تملؤها مشاهد الوداع ! إن
الصبية يكتبونها (٥) على الجدران . . اضحك
أيها العجوز (٦) ، اضحك في طاقتك البيضاء !
ألا ترى أن أظافري تنمو ؟ . . آه ! الجمجمة !
الجمجمة ! (يغشى عليه)

-
- (٢) انظر آخر ما قاله لورنو للمصور في المشهد الثاني من الفصل الثاني .
(٣) طاغية ايطالى عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر . وقد صوره
دانتي في النشيد الثالث والثلاثين من « الجحيم » وهو ينهش رأس عدوه رود جيرى ،
تعبيراً عن الحقد المميت !
(٤) انه يتخيل المنهيين في هذيانه .
(٥) يكتبون أن لورنو جبان وفاجر . . الى آخر هذه الصفات .
(٦) اوجولين السابق ذكره . وقد كانت الطاقة البيضاء شعار حزب الجبلين الذى
كان ينتمى اليه .

سكورونكونكولو : سيدى ؛ إن لك عدوا (يصب ماء على وجهه)
سيدى ؛ ليس هذا بالشىء الذى يثيرك . قد
تكون لى مشاعر سامية أو لا تكون ، ولكنى
لن أنسى أبدا أنك حصلت لى على عفو معين ،
وبغيره كنت أصبح فى مكان بعيد (٧) !
سيدى ؛ إن كان لك عدو فاذكره ، وسوف
أخلصك منه دون أن يظهر على نحو ما !

لورنزو : لاشىء هناك . أقول لك إن متعتى الوحيدة هى
أن أخيف جيرانى !

سكورونكونكولو : إنهم يتعودون ضوضاءنا حتما ، ونحن ندب فى
هذه الغرفة ، ونقلب كل شىء فيها رأسا على
عقب ! وأعتقد أنك تستطيع أن تذبح ثلاثين
رجلا فى هذا الرواق ، وأن تدرجهم على
أرضيتك ، دون أن يلحظ أحد أن شيئا جديدا
يحدث فيه ! وإذا كنت تريد أن تخيف الجيران
فأنت مخطىء باتباع هذه الوسيلة . صحيح أنهم
قد خافوا أول مرة ، ولكنهم يقنعون الآن
بغيتهم ، ولا يكلفون أنفسهم عناء ترك
مقاعدهم أو فتح نوافذهم !

لورنزو : هل تعتقد ؟

سكورونكونكولو : إن لك عدوا ، ياسيدى ! ألم أرك تضرب بقدمك
الأرض ، وتلعن يوم مولدك ؟ أليس لى أذنان ؟

(٧) يذكر فاركى أن لورنزو كان قد طلب العفو عن سكورونكونكولو ، بعد الحكم
عليه بالاعدام فى جريمة قتل ، ونجح فى سعادته .

ألم أسمع كلمة صغيرة ، جليلة ، تتردد في
ثورتك بوضوح : الانتقام ؟ صدقي ياسيدى .
لقد هزل جسمك ، ولم تعد تمزح كما كنت من
قبل . . . صدقي ، ما من شيء يسوء هضمه
كالكرهية الشديدة ! ألا يوجد دائما ، بين كل
رجلين تحت الشمس ، واحد يزجج ظله الآخر ؟
إن طبيبك في جرايى فدعنى أبرئك (يستل سيفه)

لورنزو : هل أبرأك هذا الطبيب يوما ؟

سكورونكونكولو : أربع مرات أو خمسا ! كان في بادوا ، ذات
يوم ، آنسة صغيرة ، وكانت تقول لى . . .

لورنزو : أرنى هذا السيف . آه ! سلاح طيب ، يافى !

سكورونكونكولو : جربه ، وسترى !

لورنزو : لقد خمنت على . إن لى عدوا . ولكنى لن
أستخدم له سيفاً سبق استخدامه للآخرين . إن
ذلك السيف الذى سيقتله لن يجد هنا إلا تدشينا ،
وسيحتفظ باسمه !

سكورونكونكولو : ما اسم الرجل ؟

لورنزو : ماذا يهم ؟ هل أنت مخلص لى ؟

سكورونكونكولو : إننى من أجلك . . .

لورنزو : إننى أقولها لك فيما بيننا . سأضرب الضربة في
هذه الغرفة . ولهذا السبب عينه أعود جيرانى
الأعزاء ، كل يوم ، على هذا الضجيج حتى
لا تأخذهم الدهشة آنذاك . اسمع جيدا ،

ولا تخطيء . إذا أنا قتلتك من أول طعنة ، فلا
تفكر في لمسه . ولكنني لست أكبر من برغوث ،
وهو سفاك للدماء ! وإن دافع عن نفسه فإنني
أعتمد عليك في الإمساك بيديه ، ولا أكثر من
ذلك ، أسمع ؟ إنه يخصني أنا . سأخطرك في
الوقت المناسب .

سكورونكونكولو : فليكن !

المشهد الثاني

في قصر سستروثسي

يدخل فيليب ويسير

يسير : عندما أفكر في ذلك أود أن أقطع يدي اليمنى !
ينجو مني ذلك الوغد ! ضربة محكمة كهذه ،
وينجو مني ! من لا أقدم إليه خدمة عندما أقول
للناس : هناك سالفياتي واحد ، على الأقل ،
ملقى في الشوارع ؟ ولكن الهزأة قد فعل ما فعله
العناكب . . لقد تهاوى على الأرض ، وهو
يشي أطرافه المعقوفة ، واصطنع الموت مخافة أن
يقتل !

فيليب : فيم يهملك أن يعيش ؟ لقد كان انتقامك منه
كاملا . ويقال إنه قد جرح بطريقة تجعله
يذكره مدى حياته !

يسير : نعم ، أعرف هذا جيدا . وهذه طريقتك في
النظر إلى الأشياء ! اسمع ، يا أبي ، إنك رجل

وطنى حقا ، ولكنك رب عائلة أكثر من ذلك ،
فلا ترج بنفسك في كل هذا .

فيليب : ماذا يدور في رأسك أيضا ؟ ألا تستطيع أن تحيا
ربع ساعة دون أن تفكر في الأذى ؟

بيير : نعم ؛ إننى لا أستطيع أن أحيا ربع ساعة هادئا
في هذا الجو المسموم ! إن السماء ثقيلة فوق
رأسى كأنها قبة سجن ، ويبدو لى أننى أستنشق
في الشوارع سخریات قاسية ، وفواق السكارى !
وداعا . هناك مايشغلنى الآن .

فيليب : إلى أين تذهب ؟

بيير : لماذا تريد أن تعرف ؟ سأذهب إلى بيت عائلة
باتسى .

فيليب : انتظرنى ، إذن . سأذهب الى هناك أيضا .

بيير : ليس الآن ، يا أبى ، فالوقت لايناسبك .

فيليب : حدثنى بصراحة !

بيير : هذا سر بيننا . إننا خمسون رجلا هناك - آل

روتشيلاي وآخرون - قد ضاقوا ذرعا بابن

الحرام !

فيليب : هكذا ؟

بيير : هكذا تحدث الانهيارات أحيانا بفعل حصاة
في حجم عقلة الأصبع !

فيليب : ولكن ؛ ألم تتفقوا على شىء ؟ ما من خطسة ؟

ما من احتياطات قد اتخذت ؟ أيها الأطفال ،
أيها الأطفال ! إنه لعب بالحياة وبالموت ! إنها
أسئلة قد هزت العالم ! وأفكار قد شيبت آلاف
الرؤوس ، ودحرجتها كحبات الرمل عند
قدمي الجلال ! مشروعات تنظر إليها الأقدار
في صمت وفرع ، وترك للانسان أن يتمها
دون أن تجرؤ على لمسها ! إنكم تتحدثون عن
هذا كله وأنتم تلعبون بالسلاح ، وتشربون
كأسا من نبيذ أسبانيا ، كأنما هي مسألة جواد
أو كرفال ! هل تعرفون ماذا تكون جمهورية
ما ؟ وماذا يكون الصبي في قلب مشغله ، والعامل
في حقله ، والمواطن في موقعه ، وحياة مملكة
بأسرها ؟ إنها سعادة البشر ، ورب العدالة !
أيها الأطفال ، أيها الأطفال ! هل تعرفون العد
على أصابعكم ؟

يسير : إن ضربة مبضع ، سديدة ، تشفى من جميع
الآلام .

فيليب : تشفى ! تشفى ! هل تعرف أن أصغر ضربة
بالمبضع ينبغي أن يسدها الطبيب ؟ هل تعرف
أنك تحتاج إلى خبرة طويلة كالحياة ، وعلم
واسع كالدنيا ، لكى تسحب من ذراع مريض
قطرة واحدة من الدم ؟ أما أهنت أنا أيضا ،
في الليلة الماضية ، عندما وضعت سيفك
المجرد تحت معطفك ؟ ألسنت أبا عزيزتى لوزيره ،

كما أنك أخوها ؟ ألم يكن ذلك انتقاما عادلا ؟
ومع ذلك : هل تعرف ما كلفني إياه ؟ آه !
الآباء يعرفون ذلك ، وليس الأبناء ! سنتحدث
عن ذلك يوم تصير أبا . !

بيير : ينبغي أن تعرف كيف تكره ، أنت يامن تعرف
كيف يحب !

فيليب : وأى شيء عمله لله آل باتسي هؤلاء ؟ إنهم
يدعون أصدقاءهم للمجيء إلى دارهم للتأمر
كما يدعون للعب النرد . وعندما يدخل
أصدقاءهم ساحتهم يتزلقون في دم جدودهم (٨)
فأى عطش تعانيه سيوفهم ، إذن ؟ ماذا تريدون ؟
ماذا تريدون ؟

بيير : ولماذا تناقض نفسك ؟ ألم أسمعك مائة مرة -
تقول مانقوله نحن ؟ ألا نعرف ما يشغلك عندما
يرى خدمك حال استيقاظهم نوافذك مضاءة
بمصاييح الأمس ؟ إن من يقضون الليالي بلا نوم
لا يموتون صامتين !

فيليب : إلى أى شيء تقصدون ؟ أجبني .

بيير : إن آل مديتشي طاعون ! ومن لدغه ثعبان لا
شأن له بطبيب ، فما عليه إلا أن يكوى جرحه !

فيليب : وعندما تسقطون هذا الحاكم الحالي ، فمن
تريدون أن تضعوا في مكانه ؟

(٨) جدود آل باتسي ، وقد اعدموا ، أو قتلوا غيلة ، في أعقاب مؤامرتهم التي
انتهت بمقتل جولييان دي مديتشي في عام ١٤٧٨ .

بيير : إننا واثقون دائماً بأننا لن نجد أسوأ منه !

فيليب : إننى أقولها لكم . عدوا على أصابعكم .

بيير : إن رؤس الهيدرا يسهل عدها .

فيليب : وهل تريدون أن تعملوا ؟ هل تقرر ذلك ؟

بيير : إننا نريد ألا تقوم قائمة لسفاحي فلورنسا ؟

فيليب : أهو شيء لا محيد عنه ؟ هل تريدون أن تعملوا ؟

بيير : وداعاً ، يا أبى . دعنى أذهب وحدى .

فيليب : منذ متى يظل النسر العجوز في العش عندما

تذهب أفراخه لتتقضم على الفريسة ؟ يا أولادى !

يا شبابى الشجاع ، الجميل ! يامن يملكون القوة

التي فقدتها ، وهم اليوم ماكانه فيليب الصغير !

بالأمس ! دعوه يكن قد هرم من أجلكم !

خذنى معك ، يا بنى ! إننى أراكم على وشك

العمل ، ولن أطيل في حديثى إليكم . لن أقول

إلا كلمات قليلة . وربما كنت أحمل شيئاً طيباً

في هذا الرأس الذى علاه المشيب . . كلمتان

وينتهى حديثى . إننى لا أهدى أيضاً ، ولكن

أكون عبثاً عليكم ؛ فلا ترحل بدونى ، يا بنى .

انتظر حتى آخذ معطفى .

بيير : تعال ، يا أبى الجليل . إننا سنقبل طرفاً

ردائك . إنك حبرنا ، فتعال لكى ترى أحلام

حياتك وهى تمشى تحت الشمس ! لقد نضجت

الحرية ، فتعال يابستاني فلورنسا العجوز ، لكي
تري ذلك الغرس الذي تحبه خارجا من الأرض !
(يخرج جان)

المشهد الثالث

طريق

ضابط المائي وجنسود ، توماس ستروتسي في
وسطهم

الضابط : إذا لم نجده في بيته ، وجدناه عند عائلة باتسي .

توماس : سر في طريقك ، ولا تتعب ذهنك ! ستعرف
ماذا يكلفك ذلك !

الضابط : لا أريد تهديدا ! إنني انفذ أوامر السدوق ،
ولا أخشى أحدا !

توماس : غبي ! من يعتقل واحدا من آل ستروتسي بناء
على امر واحد من آل مديتشي ! (يتجمع
الناس حولهما)

رجل من العامة : لماذا تعتقل هذا السيد ؟ نحن نعرفه جيدا . انه
ابن فيليب .

آخر : اطلق سراحه ونحن نضمنه .

الأول : نعم ، نعم ، إننا نضمن آل ستروتسي . دعه
يمض أو احرص على اذنك

الضابط : ابتعد ، ايها الوغد ! افسحوا طريقا لعدالة

الدوق ، اذا لم تكونوا تحبون ضربات الحراب !
(يصل بيير وفيليب)

بيير : ماذا حدث ؟ ماهذه الضوضاء ؟ ماذا تفعل.
عندك ، ياتوماس ؟

الرجل : امنعه ، يافيليب ، امنعه من اقتياد ولدك الى
السجن !

فيليب : الى السجن ؟ وبأمر من ؟

بيير : الى السجن ؟ هل تعرف من الذى تتعرض له ؟

الضابط : اقبضوا على هذا الرجل ! (الجنود يعتقلون بيير)

بيير : دعوني ، ايها الاشقياء ، او اشق بطونكم
كالخنازير !

فيليب : بأمر من تعمل ، ياسيدى ؟

الضابط : (يظهر امر الدوق) هذا هو التفويض الذى
احمله . ان معى امرا باعتقال بيير وتوماس
ستروتسى (الجنود يدفعون الشعب الذى يقذفهم
بالحجارة)

بيير : بأى شىء يتهموننا ؟ ماذا فعلنا ؟ ساعدوني ،
ايها الاصدقاء . فلنضرب هذا الوغد (يجرد
سيفه . تصل فرقة اخرى من الجنود) .

الضابط : تعالوا الى هنا . ساعدوني (بيير قد جرد من
من سلاحه) تقدموا ! ومن يقترب اكثر من
اللازم ، سددوا اليه طعنة رمح في بطنه !

سيعلمهم هذا كيف يتدخلون في شئونهم
فحسب !

بيسير : انكم لا تملكون حق اعتقالى دون امر من الثمانية.
اننى اتوجس من اوامر الكساندر ! اين امر
الثمانية ؟

الضابط : اننا نقتاد كما اليهم .

بيسير : ان كان اليهم فليس عندى ما أقوله . ما التهمة
الموجهة الى ؟

وجل من الشعب : كيف يافيليب ترك اولادك يقتاون الى محكمة
الثمانية ؟

بيسير : اجب ! ما التهمة الموجهة الى ؟

الضابط : ليس هذا من شأني (يخرج الجنود مع بيروتوماس

بيسير : (وهو يخرج) لا يهمك أى شىء ، يا ابي .
سيعيدني الثمانية لأتعشى في البيت ، وسيدفع
النغل مصروفات القضية !

فيليب : (وحده ، وهو يجلس على دكة) ان لى أولاداً
كثيرين ، ولكن ليس الى وقت طويل ، اذا
سارت الامور بهذه السرعة ! اين نحن اذن ،
اذا كان انتقام - هو في عدالته كصفاء هذه
السماء - يعاقب كأنه جريمة ! ماذا ! اكبر
ابنين لأسرة قديمة قدم المدينة ، يسجنان كقطاع
الطريق ! وتنال افظع اهانة جزاءها ، ويضرب
سالفياي ، فتتحرك الرماح ! اخرج من الغمد

اذن ، يا حسامى ! واذا اصبحت الجهاز التنفيذى
القضائى ، المقدس ، درعا للفاسقين ، والسكارى
فليقم كل من البلطة والخنجر - سلاح
السفاحين - بحماية الرجل الصالح ! يا ايه -
المسيح ! يصفع شرف آل ستروتسى فى مكان
عام ، وتنعقد محكمة لتحضى سفاهات شخص
بذىء ! يلقي سالفياى مابقفازه الملطخ بالخمير
والدم فى وجه انبل اسرة فى فلورنسا ، وعندما
ينال جزاءه يستل للدفاع عن نفسه سيف الجلاد !
يانو الشمس ! لقد كنت اهاجم الافكار
الثورية قبل اقل من ربع الساعة ، وهذا هو
الخبر الذى يعطونى اياه لآكله وكلمات السلام
على شفتى ! هلما ! تحركا يا ذراعى ! واستقم
لتعمل ايها الجسد الهرم الذى احنته الشيخوخة
والدراسة ! (يدخل لورنزو)

لورنزو : هل تطلب الصدقة يا فيليب ، وانت جالس على
قارعة هذا الطريق ؟

فيليب : اننى اطلب الصدقة من عدالة البشر ! اننى شحاذ
جائع الى العدل ، وشرفى مهلهل !

لورنزو : أى تغيير سيحدث فى العالم إذن ، واى ثوب
جديد سيكسو الطبيعة إذا علا قناع الغضب ،
من فيليب الشيخ ، وجهه الجليل ، الهادىء ؟
ايه ، يا ابي ! ماهذه الشكايات ؟ ومن أجل من
تنثر على الارض اثنى الآلىء التى وجدت تحت

الشمس : دموع رجل لا يخشى من شيء ،
ولا يعيبه شيء ؟

فيليب : يجب ان نتخلص من عائلة مديتشي ، يالورنزو !
انك مديتشي ، انت نفسك ، ولكن باسمك
فقط . واذا كنت قد عرفتك جيدا ، واذا
كانت الملهاة الشنيعة التي تمثلها قد وجدت
متفرجا محايدا ، وامينا ، فليخرج الرجل من
اهاب المهرج ! اذا كنت قد اتصفت بشيء
من الانحلاص يوما ، فلتكن كذلك اليوم !
لقد سجن بير وتوماس . !

لورنزو : نعم ، نعم ، اعرف ذلك .

فيليب : اهذا جوابك ؟ اهذا وجهك ، ياربلا بلا سيف ؟

لورنزو : ماذا تريد ؟ قل ماتريده ، وسأجيبك .

فيليب : العمل ! كيف ؟ لا اعرف ! اية وسيلة تستخدم ،

وأية رافعة توضع تحت قلعة الموت هذه لاقتلاعها
والالقاء بها في النهر ؟ ما العمل ، وما الحل ،
وأى رجال يجب البحث عنهم ؟ . . ذلك ما لا
أعرفه ايضا . ولكن : الى العمل ! العمل !
العمل ! لقد حان الوقت يالورنزو ! السمت
رجالا مقدوفاً في حقه ، يعاملونه مثل كلب ،
ومخلوق حقير ، خائر العزيمة ؟ فاذا كنت قد
ابقيت بابي ، ويدي ، وقلبي مفتوحة لك رغم
كل شيء ، فتكلم لأرى ان كنت قد اخطأت !
الم تحدثني عن رجل يدعى لورنزو ايضا .

ويستخفي وراء لورنزو هذا الواقف امامي؟
ألا يجب ذلك الرجل وطنه ، ويخلص لأصدقائه؟
لقد كنت تقول هذا ، وقد صدقته . تكلم ،
تكلم ، لقد حان الوقت !

لورنزو : فلتسقط الشمس على رأسي . اذا لم اكن كما
تريد !

فيليب : يا صديقي ، ان الهزوء برجل عجوز ، يائس ،
يجلب الشقاء ، فهيا الى العمل اذا كنت صانعاً
فيما تقول ! ان عندي وعداً منك ، وقد
استقبلتك بناء على هذه الوعود . ان الدور الذي
تلعبه كدور الوحل والجذام ، وما كان الابن
الضال ليلعبه في يوم من ايام الجنون ، وقد
استقبلتك رغم هذا ! وعندما كانت الاحجار
تصرخ عند مرورك ، وكانت كل خطوة من
خطواتك تفجر ينابيع من الدم البشري ، ناديتك
باسم الصديق ، المقدس ، واصطنعت الصمم
لكي اصدقك ، والعمى لكي احبك ! لقد
تركتُ ظلي سمعتك الرديئة ينسحب على شرفي ،
وارتاب في ابنائي عندما وجدوا على يدي ذلك
الاثر الشنيع الناتج عن لمس يدك ! فكن شريفاً
لأنني كنت هكذا ، واعمل فإنك شاب وأنا
رجل هرم !

لورنزو : إن بيير وتوماس مسجونان ، فهل هذا كل
شيء ؟

فيليب

: بحق السماء والأرض ! نعم ؛ هذا كل شيء !
ولا شيء ، تقريبا ، أن يجلس على دكة
الصوص فلذتان من كبدي ! رأسان قد قبلتهما
مرات بعدد شعر رأسي الأبيض ، وسوف
أجدهما في صباح الغد مسمرين على باب القلعة !
نعم ؛ هذا كل شيء ، ولا أكثر ، في الحقيقة !

لورنزو

: لا تحدثني بهذه اللهجة . إنني فريسة حزن ،
أحلك ليلة بجانبه ضوء باهر ! (يجلس
بجانب فيليب)

فيليب

: أن أترك ولدي يموتان ، فهذا هو المستحيل ،
هل تفهم ولو قطعوا ذراعي ، وساقى ، لتجمعت
كالشعبان هذه الأشياء المتتورة من فيليب ،
وقامت للأخذ بالثار ! إنني أعرف هذا كله
جيذا ! الثمانية ! محكمة رجال من الرخام !
شابة أشباح تمر فوقها . من آن لآخر ، ريح
الشك الموحشة التي تحركها لحظة ثم تتضاءل حتى
تصير كلمة بغير استئناف ! كلمة ، كلمة ،
أيها الضمير ! وأولئك الرجال يأكلون ، وينامون
ولهم زوجات وبنات ! آه ! فليقتلوا ، وليذبوا
ولكن : ليس أبنائي ، ليس أبنائي !

لورنزو

: إن بيير رجل ، وسوف يتكلم ، ويطلق سراحه .

فيليب

: يا عزيزي بيير ، يا ولدي البكر !

لورنزو

: عد إلى بيتك ، والتزم الهدوء . أو افعل خيرا

من هذا ، واترك فلورنسا . إننى أضمن لك كل
شيء إذا تركت فلورنسا .

فيليب : أنا ، منفى ! أنا ، على سرير فندق ، في ساعتى
الآخيرة ! يا إلهى ! وهذا كله من أجل كلمة
قالها سالفياتى !

لورنزو : اعلم أن سالفياتى قد كان يريد أن يغوى ابنتك
ولكن ليس لحسابه وحده . إن لألكساندر مكانا
في فراش هذا الرجل . إنه يمارس فيه حق
الولاية على الفجور !

فيليب : ونحن لنعلم ! لورنزو ، لورنزو ! إنك رجل
قوى ، فحدثنى . إننى ضعيف ، وقلبي مشغول
بأكثر مما يحتمل ! إننى منهمك ، كما ترى !
لقد فكرت هنا كثيرا ، ودرت حول نفسى كثيرا
كحصان المعصرة ، ولم أعد أصلح للقتال !
قل لى ماتريده ، وسأفعله !

لورنزو : عد إلى بيتك ، ياسيدى العزيز .

فيليب : إنه لمن المؤكد أننى سأذهب إلى بيت عائلة
باتسى . إن هناك خمسين شابا قد عقدوا عزمهم
جميعا . لقد أقسموا على العمل ، وسوف
أتحدث إليهم بشهامة ، كواحد من آل
ستروتسى ، وأب ، وسيفهموننى . وسأدعو
الليلة للعشاء أعضاء أسرتى الأربعين ، وأذكر
لهم ما يحدث لى . سترى ! سترى ! إن شيئا
لم يعمل بعد ، وليأخذ آل مديتشى حذرهم !

وداعا ؛ سأذهب إلى بيت عائلة باتسي ، وقد كنت في طريقى إلى هناك مع بير عند اعتقاله .

لورنزو : توجد شياطين كثيرة ، يافيليب . وليس هذا الشيطان الذى يغويك في هذه اللحظة بالذى نخشاه أقل مما نخشاها جميعا !

فيليب : ماذا تعنى ؟

لورنزو : احترس منه ، إنه أجمل من غبريال ! الحرية ، الوطن ، سعادة البشر ؛ هذه الكلمات كلها ترن عند اقترابه كأوتار قيثارة . إنه رنين القشور الفضية في أجنحته المشتعلة ! إن دموع هينيسه تخرسب الأرض ، وفي يده يمسك بأكليل الشهداء ! إن كلماته تنقى الهواء حول شفثيه ، وطيرانه سريع فلا يستطيع أحد أن يقول إلى أين يمضى . احترس منه ! لقد رأيت يعبر السماء مرة واحدة في حياتي . . . وكنت عاكفا على كتبي ، وجعلت لمسة يده شعري يرتجف كريشة خفيفة . أما أن أكون قد أصغيت إليه أم لا ، فدعنا لانتكلم عن ذلك !

فيليب : إننى أجد صعوبة في فهمك ، ولا أدري لماذا أخاف أن أفهمك .

لورنزو : أليس في رأسك غير هذا : أن تنقذ ولدك ؟ سل ضميرك . أما من فكرة أخرى أكبر من هذا ، وأكثر إزعاجاً ، تشدك إليها كعربة تسبب الدوار ، في وسط هذا الشباب ؟

فيليب : آه ! بلى ؛ فليكن الظلم الذي أنزل بأسرتي
إشارة الحرية ! إننى سأذهب من أجل نفسي ،
ومن أجل الجميع .

لورنزو : إحترس ، يا فيليب ، لقد فكرت في سعادة
البشرية .

فيليب : ما معنى هذا ؟ هل أنت ريح نتنه في باطنك ،
كما أنت في ظاهرك ؟ أهذا ما تحتويه ، يا من
حدثنى عن شراب ثمين كان قنينته ؟

لورنزو : إننى ثمين عندك حقاً ، لأننى سأقتل ألكساندر !
فيليب : أنت ؟

لورنزو : أنا ؛ غداً أو بعد غد ! عد إلى بيتك ، وحاول
أن تنقذ ولديك . وإذا لم تستطع ذلك فاتركهما
لعقاب خفيف . إننى أعلم يقيناً أنه ما من
انخطار أخرى عليهما . وأكرر لك انه ،
في مدى أيام قليلة من الآن ، لن يكون فى
فلورنسا وجود لألكساندر دى مديتشي ، أكثر
من وجود الشمس في منتصف الليل !

فيليب : إذا كان هذا حقاً ، فلماذا أكون مخطئاً
عندما أفكر في الحرية ؟ ألن تجيء الحرية
بعد أن تضرب ضربتك ، إذا ضربتها ؟

لورنزو : فيليب ، فيليب ، احترس ! إنك تحمّل
ستين عاماً من الفضيلة فوق رأسك الأبيض ؛
وهي أغلى كثيراً من أن تقامر بها .

فيليب : إذا كنت تخفى تحت هذا الكلام الغامض
شيئاً أستطيع أن أفهمه فتكلم . إنك تثيرني
بشكل غريب !

لورنزو : لقد كنت ، يا فيليب ، شريفاً كما ترانى .
لقد آمنت بالفضيلة ، وبالعظمة البشرية ،
كما يؤمن شهيد بربه . لقد سكبت على إيطاليا
المسكينة دموعاً أغزر مما سكبته نيوبى على
بناتها (٩) ! .

فيليب : ثم ماذا ، يا لورنزو ؟

لورنزو : لقد كان شبابي نقياً كالذهب . وقد تجمعت
الصاعقة في صدري خلال عشرين عاماً من
الصمت ، ولا بد أن أكون شرارة من
البرق حقاً ، لأننى لا أدري لماذا نهضت فجأة
في ذات ليلة ، وأنا جالس بين أطلال
الكوليزيوم (١٠) القديم ، ورفعت نحو
السماء ذراعي اللتين بللهما الندى ، وأقسمت
على أن يموت بيدي واحد من طغاة وطنى .
لقد كنت تلميذاً هادئاً ، ولم أكن أشغل
نفسى حينذاك بغير الفنون ، والعلوم .
ويستحيل على أن أقول كيف صدر منى

(٩) فى الاساطير اليونانية ان ابولو وديانا قد قتلا ابنا نيوبى السبعة ، وبناتها
السيخ لأنها سخرت من أمها لاتونيا التى لم يكن لها سوى طفلين .

(١٠) ملعب الكوليزيوم فى روما . شرع هسبازيان فى بنائه ، واتممه تيطس فى عام
٨٠ بـم وكان يتسع لثمانين ألف متفرج .

هذا القسم الغريب . لعل هذا ما يشعر به
المرء عندما يصير عاشقاً !

فيليب : لقد كنت أثق بك دائماً ، ومع ذلك أعتقد
أننى أحلم !

لـورنزو : وأنا أيضاً . لقد كنت سعيداً حينذاك . لقد
كنت ساكن القلب واليدين . وكان اسمى
يؤهلنى للعرش (١١) ، ولم يكن ينبغى علي إلا أن
أترك الشمس تشرق ، وتغرب ، لكي
أرى جميع الآمال البشرية مزدهرة حولي . ولم
يكن الناس قد فعلوا بي خيراً ولا شراً . ولكننى
كنت رجلاً فاضلاً ، ولشقاى الأبدى أردت
أن أكون رجلاً عظيماً ! ويجب أن أعترف
بأنه لو كانت الأقدار قد دفعتنى إلى أن أقرر
قتل طاغية — أياً كان — فالكبرياء قد دفعتنى
إلى ذلك أيضاً ! ماذا أقول لك أكثر
من هذا ؟ لقد كان قياصرة الدنيا جميعاً
يرغموننى على التفكير في بروتس (١٢) ! .

فيليب : إن كبرياء الفضيلة كبرياء نبيلة . لماذا تنكرها
على نفسك ؟

(١١) لقد كان لورنزو دى مديتشى ، بحكم مولده الشرعى ، احق بالولاية من
الكساندر .

(١٢) ماركوس جونيوس بروتس . سليل بروتس الاول (انظر : ٢ ، ٤) وهو
الذى قتل يوليوس قيصر ، وقال فيما بعد قولته الشهيرة : « أيتها الفضيلة ، ما أنت
إلا كلمة » (٨٦ — ٤٢ ق م . تقريباً) .

لـسـورنـزو : لن تعرف أبداً — إذا لم تكن مجنوناً — طبيعة
الفكرة التي اختمرت في رأسي . ولكي
تفهم العاطفة المحمومة التي جعلت مني لورنزو
الذي يكلمك ، ينبغي أن يوضع عقلي ومشاعري
عاريين تحت مضغ . إن تمثالاً يهبط عن
قاعدته ليسير بين الناس في الميدان العام ،
قد يشبه ما كنته يوم بدأت أعيش في هذه الفكرة
يجب أن أكون بروتس !

فيليب : إنك تدهشني أكثر فأكثر !

لـسـورنـزو : لقد أردت في أول الأمر أن أقتل كليمنت
السابع . ولم أستطع أن أقتله لأنني نفيت من
روما (١٣) قبل ذلك . وبدأت مهتمتي من
جديد مع ألكساندر . وكنت أريد أن أعمل
بمفردي . دون مساعدة من أي رجل . لقد
كنت أعمل من أجل الإنسانية . ولكن كبريائي
ظلت وحيدة بين جميع أحلامي المتعلقة بحب
الإنسانية . وكان ينبغي أن أبداً — بالمخادعة —
صراعاً فريداً مع عدوي ! لم أكن أريد أن أثير
الحماس ، أو أكتسب بالثرثرة شهرة رجل
أشل مثل شيشرون (١٤) ! لقد أردت أن أصل

(١٣) بسبب حادثة التماثيل (انظر ١ ، ٤)

(١٤) الخطيب الروماني الأشهر والقليل الذي استحق أن يطلقوا عليه لقب
« أبي الوطن » . وقد كان يفضل اللجوء إلى القانون على استخدام القوة ، إلا أنه
لم يكن يكتفي بالكلام دون العمل كما يتهمه لورنزو عندما يصفه بأنه « أشل »
(١٠٦ - ٤٣ ق م) .

إلى الرجل ، وأن ألتصق بالطغيان الحى ، وأن
أقتله ، وأحمل بعد ذلك سيفى المخضب بالدم
على المنبر ، وأترك بخار دم ألكساندر يتصاعد
إلى أنوف الخطباء ليدفىء أدمغتهم المتورمة !

فيليب : ما أقسوى عزيمتك يا صديقى ! ما أقسوى
عزيمتك !

لـورنزو : لقد كانت المهمة التى فرضتها على نفسى شاقة
مع ألكساندر . لقد كانت فلورنسا ، كما
هى اليوم ، غارقة فى الحمر والدم ! كان
الامبراطور والبابا قد صنعا دوقاً من صبرى
جزار (١٥) ! ولكى أرضى ابن عمى كان
ينبغى أن أصل إليه محمولاً على دموع الأسر !
ولكى أصبح صديقه . وأنا لثقتة ، فقد
كان ينبغى أن أقبل على شفتيه الغليظتين
بقايا قصفه ومجونه ، جميعاً ! لقد كنت
نقىاً كزنبقة ، ولكننى لم أراجع أمام هذه
المهمة . ودعنا لا نتحدث عما صرت إليه
من جراء ذلك ! إنما يجب أن تدرك ما قاسيت .
وثمة جراح لا تنكأ بلا عقاب ! لقد أصبحت
شريراً ، وجباناً ، ومدعاة للخجل والحزى !
وماذا يهم ؟ ليست هذه هى المسألة .

فيليب : إنك تطاطبىء الرأس ، وعيناك تدمعان !

(١٥) لقد كانت ملامح وجه ألكساندر تشبى بخصته الى درجة جعلت المصورين يعجزون
عن اخفاء هذه الخسة !

لـورنزو : كلا ؛ إننى لست خجلاً على الإطلاق . إن
أقنعة المصيص لا تتخرج بحمرة الخجل !
ولقد فعلت ما فعلت ، وستعرف فقط أننى قد
نجحت فيما أقدمت عليه . سيجىء ألكساندر
بعد قليل إلى مكان معين لن يخرج منه على
قدميه ! لقد أشرف جهدي على غايته . وثق ،
يا فيليب ، أن الثور الوحشى عندما يذبحه
الراعي فوق العشب لا تكون حوله حبال
ولا عقد أكثر مما نسجته حول غريمي ابن
ابن الحرام ! إن ذلك القلب الذي ما كان
ليصل إليه سلاح في مدى عام ، هو الآن عار
تحت يدي (١٦) ، وما علي إلا أن أسقط
خنجري لينفذ إليه ! سيتم كل شيء ! والآن :
هل تعرف ما يحدث لي ، وما أريد أن أحذرك
منه ؟

فيليب : إنك بروتسناً ، إذا كان ما تقوله حقاً !
لـورنزو : لقد اعتقدتُ أننى بروتس ، يا عزيزي المسكين
فيليب . لقد تذكرت العصا الذهبية المكسوة
بلحاء الشجر (١٧) . والآن أعرف الرجال ،
وأنصحك ألا تتدخل .

(١٦) إشارة إلى صرقة الدرع (٦ ، ٢) .

(١٧) كان لوشيوس بروتس يصطنع البله لينجو من عدوه تاركان (انظر : ٢ ، ٤)
وعندما اصطعبه أبناء تاركان إلى معبد دلفي ليضعكوا منه ، أهدى أبولو سبيكة
ذهبية مغبوءة فى قصبة من لحاء الشجر ، تعبيراً عن أصالة معدنه الذى تخفيه
الظواهر . وإلى هذا المعنى يشير لورنزو .

فيليب : لماذا ؟

لورنزو : آه ! لقد عشتَ في عزلة تامة ، يا فيليب ، وظللتَ ساكناً على شاطئ المحيط البشري ، أشبه ما تكون بفنار ساطع ، ورأيت في المياه إنعكاس ضوءك الخاص . وكنت في أعماق وحدتك تجد المحيط عظيماً تحت قبة السماء الباهرة . ولم تكن تحصي كل موجة ، ولم تكن تلقى بالمسبار ، بل كانت تفعمك الثقة بعمل الرب . أما أنا فقد غطست في أثناء ذلك ، وأوغلت في بحر الحياة هذا المتلاطم الأمواج ، وجبت فيه - تحت ناقوسي الزجاجي - كافة الأعماق . وبينما كنت تعجب بالسطح ، زأيت أنا حطام السفن الغارقة ، وعظام الموتى ، واللويثان(١٨) !

فيليب : إن حزنك يحطم قلبي !

لورنزو : إنني أتحدث إليك هكذا لأنني أراك مثلما كنتُ ؛ وأراك على وشك أن تفعل ما فعلت . إنني لا أحتقر الناس . وخطأ الكتب والمؤرخين هو أنهم يظهرونهم لنا مختلفين عن حقيقتهم . إن الحياة تشبه مدينة يمكن أن نظل فيها خمسين أو ستين عاماً دون أن نرى شيئاً غير المتزهات والقصور ، فما ينبغي أن ندخل الأوكار ، أو نتوقف - في طريق عودتنا إلى بيوتنا - أمام

(١٨) ذكر هذا الحيوان البحري الهائل في أسفار العهد القديم .

نوافذ الأحياء الوضيعة ! إليك ما أراه ، يا فيليب :
إذا كانت المسألة هي إنقاذ ولدك فإنني أطلب
إليك أن تظل ساكنا . هذه خير طريقه لارجاعهما
إليك بعد شيء من التأنيب . أما إذا كانت المسألة
هي محاولة القيام بشيء من أجل الناس فإنني
أنصحك بأن تقطع ذراعيك لأنه لن يمضي وقت
طويل حتى ترى أنه لا يوجد من يملك ذراعين
سواك !

فيليب : إنني أرى أن الدور الذي تلعبه قد أوحى إليك
بمثل هذه الأفكار . وإذا كنت أفهمك جيدا ،
فأنت قد اتخذت سبيلا بشعا للوصول إلى غرض
عظيم ؛ وتعتقد أن كل شيء يشبه ما رأيت .

لورنسزو : لقد استيقظت من أحلامي ، ولا أكثر من ذلك !
إنني أذكر لك مافي ذلك من خطر . إنني أعرف
الحياة . وإنها لمطبخ للشروع . فاقنع بهذا ، ولا
تضع يدك بداخله إذا كنت تحترم شيئا !

فيليب : كفى ! ولا تحطم عصا شيخوختي كعود من
البوص ! إنني أؤمن بكل ما قدعوه أحلاما ..
إنني أؤمن بالفضيلة ، والعفة ، والحرية .

لورنسزو : وها أنذا في الطريق ، أنا ولورنزاتشو ، والأطفال
لا يرمونني بالوحل ، وأسرة البنات لا يزال
يدفنها عرقى ، والآباء لا يأخذون مداهم ،
ومكانسهم — عندما أمر بهم — ليقتلوني !
وسوف يتحدث الجيل السابع ، في هذه البيوت

العشرة الآلاف عن الليلة التي دخلتها فيها .
وما من بيت واحد . يلفظ - عند رؤيتي -
حرّاًثاً ليشقني نصفين كعود متعفن من الحطب !
إن الهواء الذي تستنشقه . يا فيليب ، أستنشقه
أنا كذلك . ومعطفي الحريري المزركش ينسحب
بيطء على الرمل الناعم . في المترهات . وما من
قطرة سم تسقط في الشكولاتة التي أشربها ! ماذا
أقول ؟ آه ، يا فيليب ! إن الأمهات الفقيرات
يرفعن خمار بناتهن في خجل . عندما أقف على
عتبات أبوابهن . إنهن يرينني جمالهن . وهن
يبتسمن ابتسامة أحقر من قبلة يهوذا ، بينما
أعصر كفى في غضب ، وأنا أمسك ذقن الطائفة
الصغيرة . وأهز في جيبى أربع أو خمس
قطع ذهبية حقيرة !

فيليب : ينبغي على من يغوى إنساناً ضعيفاً ألا يحتقره .
ولماذا يغويه وهو يتهمه ؟

لورنزو : هل أنا شيطان ؟ يانور السماء ! عندما شرعت
أمثل دورى كهروتس عصرية ، كنت أخطر
في ثيابى الحديدية ، ثياب أخوة الرذيلة العظمى ،
كما يخطر الطفل ، ابن عشرة أعوام ، في درع
مارد من مرده الأساطير ! كنت أعتقد أن
الفساد ندبة ، وأن الوحوش وحدهم يحملونها
على الجبين ! وكنت قد بدأت أقول بأعلى صوتي
إن أعوام فضيلتي العشرين قد كانت قناعاً

خائفا ! يا فيليب ! لقد دخلت الحياة عندئذ ،
ورأيت الناس كلهم يفعلون ذلك مثلى ، عند
اقترابى ! لقد كانت الأقنعة كلها تسقط أمام
نظرتى ! لقد خلعت البشرية ثوبها وأرتنى عريها
الشنيع كما تريه لشريك يلائمها ! لقد رأيت
الناس كما هم ، وقلت لنفسى : لمن أعمل ،
إذن ؟ وعندما كنت أذرع شوارع فلورنسا ،
وشبحتى على جانبي (١٩) ، كنت أنظر حولى
وأبحث عن الوجوه التى تمنحنى الشجاعة ، وأسأل
نفسى : عندما أضرب ضربتى ، هل ياترى
سيستفيد منها ذلك الذى هناك ؟ لقد رأيت
الجمهوريين فى مكاتبهم ، ودخلت المتاجر ،
وسمعت ، وترقبت ، لقد جمعت أحاديث
أناس من الشعب ، ورأيت الأثر الذى كان
يحدثه الطغيان فيهم . لقد شربت ، فى المآدب
الوطنية (٢٠) الخمر التى تولد الكناية والاستعارة .
وابتلعت ، بين قبلتين ، أكثر الدموع انتسابا
إلى الفضيلة ! لقد كنت أنتظر دائما أن تجعلنى
الانسانية أرى على وجهها شيئا شريفا . لقد
كنت أنظر كما ينظر الخطيب إلى خطيبته ، وهو
ينتظر يوم الزفاف ! .

(١٩) سبقت الإشارة الى ان موسيه نفسه كان يتوهم وجود شبيهه بجانبه وهو ينزع
الشوارع فى فلورنسا .

(٢٠) اشارة الى اجتماعات الجمهوريين الفرنسيين فى عهد لويس فيليب ، والتى
كانت تتخذ شكل مآدب فى الحقول لخداع الشرطة .

فيليب

: إذا كنت لم تر غير الشر فإنني أرثي لك ، ولكنني
لا أستطيع أن أصدقك . إن الشر موجود ،
ولكن : ليس بدون الخير ؛ كما أن الظلام
موجود ، ولكن : ليس بدون النور !

لورنزو

: إنك لا تريد أن ترى فيّ إلا رجلا يحتقر الناس ،
وأنت تظلمني بذلك . إنني أعلم حق العلم أن
بينهم أنصارا ، ولكن : ما نفعهم ؟ ماذا يفعلون ؟
كيف يعملون ؟ وما قيمة أن يكون الضمير حيا ،
إذا كانت الذراع ميتة ؟ ثمّة جوانب معينة
يصير كل شيء عند النظر إليه منها طيبا
فالكلب صديق مخلص ، ويمكن أن نجد فيه
أحسن الخدم ، كما يمكن أن نراه أيضا يتمرغ
فوق الرمم ، ويستشعر الجيفة على بعد فرسخ ،
باللسان الذي يلحق به سيده ! وكل ما أملك أن
أراه هو أنني هالك ، وأن البشر لن يستفيدوا
من هلاكى أكثر مما يسيئون فهمي !

فيليب

: إنك تحزن قلبي ، أيها العزيز ، المسكين !
ولكن ؛ إذا كنت رجلا شريفا ، فإنك ستعود
مرة أخرى ذلك الرجل الشريف ، بعد أن تكون
قد أنقذت وطنك . إنه ليسعد قلبي الهرم ،
يالورنزو ، أن أراك رجلا شريفا . ولسوف
تطرح عنك يومئذ هذا التنكر البغيض الذى
يشوهك ، وتعود رجلا معدنه نقي كتماثيل

هارموديوس وأريستوجيتون (٢١) البرونزية !

لورنسزو : فيليب ، فيليب ؛ لقد كنت رجلا شريفا . إن اليد التي رفعت غطاء الحقيقة مرة ، لا تستطيع أن تسقطه ثانية . إنها تظل ساكنة حتى الموت ، ممسكة على الدوام بهذا الغطاء المرعب ، رافعة إياه أكثر فأكثر ، فوق رأس المرء حتى يغلق عينيه ملاك النوم الأبدى !

فيليب : الأمراض كلها تشفى ، والرذيلة مرض كذلك .

لورنسزو : تأخر الوقت جدا ! لقد تعودت حرفتي ! لقد كانت الرذيلة بالنسبة إلى ثوبا ، وهي الآن ملتصقة بجلدي ! إنني رجل داعر حقا . وعندما أسخر من أمثالي أشعر بأنني جاد كالموت ، في وسط ابتهاجي ! لقد اصطنع بروتس الجنون . لكي يقتل تاركان . والشئ الذي يدهشني فيه هو أنه لم يتخل عن عقله في أثناء ذلك . استفد مني ، يافيليب . هذا ما أملك أن أقوله لك .

فيليب : يبدو لي أن السماء خليقة بأن تظلم دائما ، وأن شيخوختي سيحكم عليها بأن تتلمس طريقها في المسير ، إذا أنا صدقتك ! لعلك قد اتخذت طريقا خطرا ، فلماذا لا أستطيع أن أتخذ لي طريقا آخر يقودني إلى نفس الهدف ؟ إنني أعزم أن أدعو إليه الشعب ، وأن أعمل علانية .

(٢١) ثائران أثينيان ، أعدما لانهما حررا شعبهما من طغيان هيبارك عندما قتلاه في عام ٥١٤ ق م .

لورنزو : احترس . يا فيليب ! ان من يقول لك هذا يعرف لماذا يقوله . اتخذ الطريق الذي تشاء . وسوف تتعامل دائماً مع الناس ،

فيليب : انى اؤمن بصدق الجمهوريين .

لورنزو : انى اراهنك . سأقتل الكساندو ، واذا تصرف الجمهوريون كما ينبغي عليهم ، بعد أن اضرب ضربتي ، فلسوف يسهل عليهم ان يؤسسوا جمهورية ، اجمل جمهورية اينعت يوماً على وجه الارض ! يكفي ان يؤيدهم الشعب . ولكنى اراهنك على انه لاهم ، ولا الشعب ، سيفعلون شيئاً ! كل ما اطلبه منك ألا تزج بنفسك في هذه القضية . تكلم اذا شئت ، ولكن : كن حذراً في اقوالك ، واشد حذراً في اعمالك ! دعنى اضرب ضربتي . ان يدريك نقيتان ، وليس عندي ما افقده !

فيليب : اضربها ، وسترى !

لورنزو : فليكن . ولكن ، تذكر هذا . هل ترى في ذلك البيت الصغير ، تلك الاسرة المجتمعة حول منضدة (٢٢) ؟ اليس بينهم رجال ؟ انهم جسم واحد ، ونفس واحدة في هذا الجسم ، ومع ذلك ، فلو تملكنتى الرغبة في ان ادخل بيتهم بمفردى ، كما انا الآن ، واقتل بالخنجر اكبر

(٢٢) لنذكر ان هذا الحوار يدور في الطريق ، وان للبيوت الفلورنسية نواهد واسعة تسمح برؤية ما يدور فيها من الخارج .

ابنائهم وهو في وسطهم ، لما ارتفعت سكين
واحدة في وجهي !

فيليب : انك تخيفني ! كيف يمكن ان يظل القلب كبيرا
مع يدين كيديك ؟

لورنزو : تعال ندخل الى قصرك ، ونحاول ان ننقذ أولادك
فيليب : ولكن ، لماذا تقتل الدوق اذا كانت عندك
افكار كهذه ؟

لورنزو : لماذا ؟ هل تسأل عن السبب ؟

فيليب : اذا كنت تعتقد ان ذلك اغتيال لا يعود بالفائدة
على وطنك ، فلماذا ترتكبه ؟

لورنزو : هل تواجهني بهذا السؤال ؟ انظر الى قلبي ،
لقد كنت جميلا ، وهاذئا ، وفاضلا !

فيليب : أية هاوية ! أية هاوية تفتحها امامي !

لورنزو : هل تسألني لماذا اقتل الكساندر ؟ هل تريد اذن
ان اقتل نفسي بالسسم او اقفز في نهر الارفو ؟
هل تريد ان اكون شبعا ، والا يخرج اى
صوت من هذا الهيكل ، اذا ضربته ؟ (يضرب
صدره) اذا كنت ظل نفسي ، فهل تريد ان
اقطع الخيط الوحيد الذى يصل اليوم قلبي
ببعض اوتار قلبي الذى كان في الماضي ؟ هل
تعلم ان هذا الاغتيال هو كل مابقى لى من
فضيلتي ؟ هل تعلم اننى انزلت منذ عامين على
حائط عمودى ، وان هذا الاغتيال هو القشة

الوحيدة التي استطعت ان انشب فيها اظافري !
هل تعتقد اذن اني لم تعد لي كبرياء لانني قد
تجردت من الحياء ؟ وهل تريد ان اترك لغز
حياتي يموت في صمت ؟ نعم ، يقينا ، لو امكن
ان اعود الى الفضيلة ، ولو امكن ان يتلاشى
ما تعلمته من الرذيلة ، فلعلني كنت اترفق بسائق
الثيران هذا ! ولكنني احب الخمر ، والميسر ،
والنساء ، فهل تدرك ذلك ؟ لئن كنت تمجدني
شيئا - انت يا من يتحدث الى - فهذا الاغتيال
هو ما تمجده . وربما كان ذلك ، بالضبط ،
لأنك لم تكن لترتكبه ! ها هم الجمهوريون
يغطونني منذ وقت طويل بالوحل والعار !
ومنذ وقت طويل يملأ الطنين اذني ، ويسمم
نفوس الناس الخير الذي امضغه ! لقد سمعت
ما يكفي من صراخ الثرثرة البشرية الزاعقة في
اجواز الفضاء ، وينبغي ان تعرف الدنيا قليلا :
من أنا ، ومن هو ! حمداً لله ! قد أقتل
الكساندر غدا . وسأنجز كل شيء في خلال
يومين !

سيكون في مقدور أولئك الذين يدورون حولي
بعيون حولاء ، كما يدورن حول احدي
العجائب المهولة ، المجلوبة من امريكا ، ان
يشبعوا حناجرهم ، ويفرغوا جعبتهم من
الكلام ! ولئن فهمني الناس أو لم يفهموني ،

ولئن عملوا او لم يعملوا ، فاني سأكون قد
قلت ما كان ينبغي ان اقله ، وسأجعلهم
يرون اقلامهم ، اذا لم اجعلهم ينظفون حراهم
وستحتفظ الانسانية بصفعة سيفي على خدها
خطوطا من الدم ! وليطلقوا عليّ الاسم الذي
يريدون : بروتس أو ابروسترات (٢٣) ، فليس
يرضيني نسيانهم إياي ! ان حياتي كلها على
خنجرى . واذا حولت العناية رأسها ، أو لم
تحوله ، عندما تسمعي وأنا أضرب ضربتي
فاني سألقى بالطبيعة البشرية على ظهرها ،
أو على وجهها ، فوق قبر الكساندر . وفي خلال
يومين سيقف الناس أمام محكمة إرادتي . !

فيليب : ان هذا كله يدهشي ! وفي كل هذا الذي قلته
لي أشياء تؤلمني ، وأشياء أخرى تسرني . ولكن
بيير وتوماس في السجن ، وفوق ذلك لا يستطيع
ان أثق بشخص غيري . وعبثا احاول ان اكبح
جماح غضبي ، فان انفعالا قويا يملأ جوانحي !
لعلك أن تكون على حق ، ولكنه ينبغي على أن
اعمل . وسأجمع افراد عائلتي .

لورنسو : كما تشاء ، ولكن ، احترس ! واكنم سرى
حتى عن اصدقائك . هذا كل ما اطلبه منك .

(يخرجان)

(٢٣) رجل كان مشهورا فاحرق معبد ديانا في مدينة ايفيز ليتحدث الناس منه !

المشهد الرابع

في قصر سوديريني

كاترينا : (تدخل وهي تقرأ رسالة) « لا بد ان لورنزو قد حدثك عنى . ولكن ، من يستطيع ان يحدثك بجدارة عن حب كحبي ؟ عسى ان يخبرك قلبي بما لا يستطيع فمى أن يقوله لك ، وما يود قلبي ان يوقعه بدمسه » .

« الكساندر دى مديتشي »

اذا لم يكن اسمى فوق العنوان لاعتقدت ان حامل الرسالة قد اخطأ . وهذا الذى أقرأه يجعلنى لا اصدق عيني (تدخل ماري) اماه ، الحبيبة ! انظري ماذا يُكْتَبُ الى ، وفسرى لى هذا اللغز ، اذا استطعت !

ماري : شقية ! شقية ! انه يحبك ! اين رآك ؟ اين تحدثت اليه ؟

كاترينا : لم اتحدث إليه في اى مكان . وقد جائي رسول بهذا الخطاب ، وانا خارجة من الكنيسة !

ماري : انه يقول ان لورنزو قد حدثك عنه حتما ؟
اواه ! كيف يكون لى ولد كهذا ، يا كاترينا ؟
نعم ، يجعل من أخت أمة عشيقة الدوق ، يا ابنتي
ماذا تسمى هذه المخلوقات ؟ لا يستطيع أن أقول ! نعم ، لقد كان هذا ينقص لورنزو !
تعالى ، اننى اريد ان احمل اليه هذه الرسالة

مفتوحة ، وان اعرف امام الله كيف تكون
اجابته !

كاترينا : كنت أعتقد ان الدوق يحب . . . معذرة ،
يا امي ، ولكنني كنت اعتقد ان الدوق يحب
الكونتيسة تشيبو . لقد كان يقال لي هذا . . .

ماري : هذا صحيح ؛ لقد أحبها ، إن كان يمكن أن
يحب !

كاترينا : ألم يعد يحبها ؟ أواه ! كيف يستطيع أن يعرض
حبا كهذا بلا حياء ! تعالى ، يا أمي ؛ تعالى
نذهب إلى لورنزو .

ماري : هاتي ذراعك . لا أعرف ماذا يحدث لي منذ
بضعة أيام . لقد كنت أعاني من الحمى كل
ليلة . والحق أنها لا تتركني إلا نادرا منذ ثلاثة
أشهر . لقد عانيتُ كثيرا ، يا عزيزتي المسكينة
كاترينا ، فلماذا قرأت لي هذه الرسالة ؟ إنني
لم أعد أستطيع أن أحتمل شيئا ! إنني لم أعد
صغيرة . ويبدو لي ، مع ذلك ، أنني أعود
صغيرة في حالات معينة . ولكن هذا الذي أراه ،
كله ، يقودني إلى القبر ! هيا ؛ اسنديني ،
يابنتي المسكينة ! لن أسبب لك هذا العناء وقتسا
طويلا ! (تخرجان)

المشهد الخامس

عند الماركيزة

الماركيزة : (في تمام زينتها ، أمام مرآة) عندما أذكر

أن هذه هي الحقيقة ، يكون لذلك عندى تأثير
نبأ مفاجيء ! أية حمأة هي الحياة ! كيف
هذا ؟ الساعة الآن هي التاسعة ، والدوق هو
الذى أنتظره في هذه الزينة ! فليكن مايكون ،
فإني أريد أن أجرب قوتى (يدخل الكاردينال)

الكاردينال : يا لها من زينة . أيتها الماركيزة ! وها هي ذى
أزهار يتضوع منها العبير !

الماركيزة : إني لا أستطيع أن أستقبلك ، ياسيدى الكاردينال
.. إني أنتظر صديقة لى . أرجو المَعذرة .

الكاردينال : سأتركك ، سأتركك . إن ذلك المخدع الذى
ألمح بابه مواربا ، هناك ، فردوس صغير . هل
أنتظر فيه ؟

الماركيزة : إني متعجلة . سامحنى . كلا ؛ ليس في مخدعى .
في أى مكان تشاء .

الكاردينال : سأعود في ساعة أكثر ملائمة من هذه (يخرج)

الماركيزة : لماذا ، دائما ، وجه هذا القس ؟ أية حلقات
يرسمها حولى هذا النسر الأصلع حتى أراه
ورائى عندما أستدير ، بغير انقطاع ؟ أتكون
ساعة موتى قد دنت (٢٤) ؟ (يدخل خادم

(٢٤) اشارة الى تجمع النسر فوق جثث الموتى فى العراء .

ويحدثها في أذنها (حسناً ؛ سأذهب . آه ! إنك
لم تألف حرفة الخادمة هذه ، أيها القلب المسكين ،
المتكبر ! (تخرج)

المشهد السادس

مخدع الماركيزة

الماركيزة . الدوق

الماركيزة : هذه طريقي في التفكير . إنني خليقة بأن أحبك
هكذا !

الدوق : كلمات ، ولا أكثر من كلمات !

الماركيزة : إنه شيء قليل جداً بالنسبة إليكم ، أنتم يامعشر
الرجال ! أن تضحي المرأة براحة أيامها ، وطهارة
العرض المقدسة ، بل وبأبنائها أحياناً ! ولا
تعيش إلا لشخص واحد في الدنيا ، وتستسلم
أخيراً ! ولكن هذا كله شيء لا قيمة له !
وما جدوى الانصات إلى امرأة ؟ إن المرأة التي
تتحدث عن شيء آخر غير توافه الأشياء ،
وغير الخلاعة والمجون ، هي امرأة مملسة !

الدوق : إنك تحلمين وأنت في تمام يقظتك !

الماركيزة : نعم ؛ وحق السماء ! نعم ؛ لقد رأيت حلماً ،
وأسفاه ! إن الملوك وحدهم لا يحلمون أبداً !
إن نزواتهم الباطلة كلها تتحول إلى حقائق .
وكوايسهم ذاتها تتحول إلى رنخام ! ألكساندر

الكساندر ! ما معنى هذه الكلمة : أستطيع
إذا أردت ! . . آه ! إن أيدي الشعوب تتماسك
أمام هذه الكلمة في صلاة خاشعة ، ويمسك
القطيع البشري أنفاسه لسمع !

السودق : دعينا ، يا عزيزتي ، لانتحدث عن ذلك أكثر
مما تحدثنا . إنه شيء مرهق !

الماركيزة : هل تعرف معنى أن يكون المرء ملكاً ! أن
يكون عند طرف ذراعه مائة ألف من الأيدي !
أن يكون شعاع الشمس الذي يجفف دموع
البشر ! أن يكون السعادة والشقاء ! آه ! أية
رجفة قاتلة يسببها ذلك ! إن عجوز الفاتيكان
حري بأن يرتعد عندما تنشر جناحيك ، يا نسري
الصغير ! إن قيصر بعيد ! والحرس مخلص
لك ! ثم إنهم يذبحون جيشاً ولا يذبحون
شعباً . ويوم يكون الوطن كله في صفك ،
وتكون الرأس بلسد حر ، وتقول : « كما
يقترن دوج فينتسيا بالأدرياتيك ، هكذا
أضع خاتمي الذهبي في إصبع جميلتي فلورنسا
فلورنسا(٢٥) ، ويكون أبنائها أبنائي . . آه !
هل تعرف معنى أن يأخذ شعب بين ذراعه

(٢٥) إشارة إلى تقليد كان متبعاً في فينتسيا ، إذ يحتفل حاكمها - اللوج - كل
عام ، أمام الشعب ، بزواجه الرمزي من نهر الأدرياتيك بأن يلقي فيه بخاتم ذهبي *
وكان البابا الكساندر الثالث هو الذي بدأ هذا التقليد في القرن الثاني عشر
اعترافاً بفضل اللوج الذي ساعده في حربه ضد فريديريك بارباروس *

ذلك الذي يحسن إليه ؟ هل تعرف معنى
أن يشير إليك أب لولده ؟

السدوق : إن ما يهمنى هو الضريبة . وماذا وما دام—وا
يدفعونها لي ، فلا أبالي بشيء آخر .

الماركيز : ولكنهم سيغتالونك في النهاية . . . وستخرج
الأحجار من الأرض وتسحقك ! آه ! الأجيال
القادمة ! ألم تر ذلك الشبح على وسادتك قط ؟
ألم تسل نفسك يوماً عما سيراه فيك أولئك الذين
في بطون الأحياء ؟ وما أنت حي ، ولم يزل
هناك وقت ! وما عليك إلا أن تقول كلمة
واحدة . هل تذكر أبا الوطن (٢٦) ؟ هيا ؛
إنه ليسهل على المرء أن يكون ملكاً عظيماً ، وهو
ملك ! أعلن فلورنسا دولة مستقلة ، واطلب
إلغاء المعاهدة مع الامبراطورية . جرد سيفك
واظهره . وسيطلبون منك أن تعيده إلي—
غمده لأن بريقه يؤذى عيونهم ! اذكر أنك
شاب صغير (٢٧) . إن شيئاً لا يحسب عليك . .
إن في قلب الشعوب تسامحاً كبيراً لأمرائها .
والعرفان العام نهر عميق تنسى فيه أخطاؤهم
الماضية (٢٨) . لقد أساؤا نصحك . لقد
خدعوك . . ولكن هناك وقتاً لا يزال ؛ وما

(٢٦) كوزمو دى مديتشى (١٣٨٩ - ١٤٦٤) .

(٢٧) كان الكساندر فى السابعة والعشرين من عمره ، ولورنزو فى الثالثة والعشرين

(٢٨) فى أساطير اليونان أن بالجحيم نهرا للنسيان يدعى « ليشيه » .

عليك إلا أن تتكلم ، وما دمت حياً فإن الصفحة
لم تطو في كتاب الله !

السـدوق : كفى ، يا عزيزتي ، كفى !

الماركيـزة : آه ، عندما تطوى ! عندما يجيء بستانى مسكين
أجير يومه ، فيروي متكرها بعض أزهار
اللؤلؤ الهزيلة ، حول قبر ألكساندر ! عندما
يستنشق البؤساء الهواء الطلق في فرح ، ولا يرون
بعد ، شهاب سلطانك الأسود منتشرأ في
الفضاء ! . . عندما يتحدثون عنك وهم يهزون
رؤسهم ! . . عندما يحصون قبور آبائهم
حول قبرك ! . . هل أنت واثق بأنك ستنام
هادئاً في رقادك الأخير ؟ . . أنت ، يا من
لا يذهب للصلاة ، ولا يحرص على غير
الضريبة ، هل أنت واثق بأن الأبدية صماء ،
وأنه ليس للحياة صدى في مستقر الأموات ؟
الرهيب ؟ هل تعرف أين تمضى دموع الشعوب ،
عندما يحملها الهواء ؟

السـدوق : إن لك ساقاً جميلة !

الماركيـزة : أنصت إلي . إني أعرف أنك طائش ، ولكنك
لست شريراً ، كلا ، إنك لست شريراً ، ولا
يمكن أن تكون شريراً . هيا ، قاوم نفسك : فكر
لحظة ، لحظة واحدة ، فيما أقوله لك !
يوجد شيء في كل هذا ؟ هل أنا مجنونة حقاً ؟

السـدوق : إن هذا كله يدخل رأسي جيداً . ولكن—ن ؛
أى شيء بهذا القدر من السوء تريننى أفعله ؟
إننى وجيراني سواء (٢٩) . وأنا خير من البابا
نفسه ، في الحقيقة . وأنت إنما تذكريننى بآل
ستروتسي ، بكل هذا الذي تقولينه ، وأنت
تعلمين أننى أحترهم ! إنك تريدان أن أتمرّد
على قيصر . وقيصر أبو زوجتى (٣٠) . أيتها
الصديقة العزيزة ! إنك تتصورين أن الفلورنسيين
لا يحبوننى . . وأنا على يقين من أنهم يحبوننى .
أوه ! قولي بربك ! إذا كنت محقة ، فممن
تريدان أن أخاف ؟

الـماركيزـة : إنك لا تخاف شعبك . . ولكنك تخشـاف
الامبراطور ! لقد قتلت أودنست شرف المئات
من المواطنين ، وتعتقد أنك قد فعلت كل شيء
عندما ترتدى درعك تحت ثوبك !

السـدوق : أسكتى ! لا تتكلمي عن ذلك مطلقاً !

الـماركيزـة : أوه ! اننى أستسلم للغضب ، وأقول مالا أريد
أن أقول ! يا صديقى ، من لا يعلم أنك شجاع ؟
إنك شجاع مثلما أنت عظيم . والشئ الذي
أساء إليك إنما هو شبابك ، وما يدور فى
رأسك . . ماذا أعرف ، أنا ؟ إنه الدم الذي

(٢٩) لقد كانوا جميعاً — وبيير فارنيز ، حاكم بارس ، على الخصوص — يدينون
بمراكزهم لما يسبغه عليهم البابا ، والامبراطور شارل الخامس ، من حماية .

(٣٠) كان الكساندر متزوجاً من مرجريت هوتريش ، ابنة شارل الخامس .

يجري عنيفاً ، في هذه العروق الملتهبة ! إنها
الشمس الحارقة التي تثقل علينا . ! أتوسل
إليك . لا تجعل سقوطي بلا جدوى ؛ ولا
تجعل اسمي ، وحبى الشقى لك . يكتبسان
في قائمة سوداء ! إننى امرأة ، هذا صحيح .
وإذا كان الجمال كل شيء للنساء ، فإن
كثيرات غيري أجمل منى ! ولكن ، ألا تملك
أنت شيئاً . . خبرني . خبرني ! ألا تملك شيئاً ،
أى شيء . هنا ؟ (تضرب قلبه)

السدوق : يا للشيطان ! تربى فيه . إذن . يا عزيزتي !

الماركيـزة : نعم ؛ أريد أن أعترف بذلك . . نعم ؛ إننى
طموحة ، وطموحي ليس إلى شيء أريده
لنفسي ، وإنما أريده لك ! أنت ، وفلورنسا
الحبيبة ! يا إلهى ! أنت الشهيد على أوجاعي !

السدوق : أنت تتوجعين ! ماذا بك ؟

الماركيـزة : كلا ؛ إننى لا أتوجع . اسمع ! إننى
أراك تشعر بالملل وأنت بجانبى . إنك تعـد
الدقائق ، وتدير رأسك . فلا تنصرف أيضاً ،
ولعلها أن تكون المرة الأخيرة التى أراك فيها .
اسمع ! إنى أقول لك إن فلورنسا تدعوك
طاعونها بالحديد (٣١) ! وإنه ما من كـسـوخ
لا توجد فيه صورتك ملصقة على الجدران ،

(٣١) كانت المدينة قد اصببت عام ١٢٤٨ بوباء الطاعون الذى عرف باسم طاعون
فلورنسا .

وفي موضع القلب منها طعنة سكين (٣٢)
فلأكن مجنونة ، ولتكرهني غداً ، ماذا
يهمني ؟ إنك ستعرف ذلك !

السدوق : الويل لك إذا لعبت بغضبي !
الماركيز : نعم ؛ الويل لي ! الويل لي !
السدوق : في مرة أخرى . . في صباح الغد ، إذا شئت . .
نستطيع أن نلتقي ثانية ، ونتكلم عن هذا !
لا تغضبي إذا تركتك الآن . يجب أن أذهب
للصيد .

الماركيز : نعم ؛ الويل لي ! الويل لي !
السدوق : لماذا ؟ إنك تلوحين مكفهرة كالجحيم ! لماذا
ترجين بنفسك في السياسة ؟ هيا ، هيا ؛ إن
دورك الصغير كامراً ، وامرأة حقيقية ،
يلائمك تماماً ! إنك تتعصبين كثيراً لرأيك ،
وسوف يعالج هذا من تلقاء نفسه ! ساعديني
على ارتداء ثوبي إذن . إن هندامي سيء للغاية !
الماركيز : وداعاً ، يا ألكساندر (يقبلها الدوق ، يدخل
الكاردينال تشيو)

الكاردينال : آه ! . . عفواً ، يا صاحب السمو ! كنت
أعتقد أن أختي وحدها ! إنني رجل أحمق ،
وأنا السبب فيما حدث ! أسألك المَعذرة !
السدوق : ماذا تتصور ؟ أوه ! إنك تبدو قسيساً حقاً ، يا

(٣٢) نوع من السحر يلجأ اليه العامة ، وهم هنا ينشدون الموت لألكساندر .

مالاسينا ! هل ينبغي أن ترى هذه الأشياء ؟
هيا بنا ، هيا بنا ؛ فيم يهلك هذا ؟ (يخرجان
معاً) .

الماركيـزة : (وحدها ، وهي تمسك بصورة زوجها) أين
أنت الآن ، يا لوران ؟ هذه ساعة الأصيل .
وأنت الآن تنسم الهواء في الشرفة ، أمام
أشجار القسطل الكبيرة . وأبقارك السمينة
ترعى من حولك ، وغلمان مزرعتك يتناولون
طعامهم في الظل ، والأرض الخضراء تنضو
— تحت أشعة الشمس — غطاءها المائل إلى
البياض ؛ والأشجار التي تصونها رعايتك
تغمغم في تعبد ، فوق رأس سيدها الهرم ،
بينما يردد الصدى في أروقتنا الطويلة ، باحترام
صوت خطواتك الهادئة ! يا عزيزي لوران !
لقد ضيعتُ كثر كرامتك ، وكُرسْتُ للسخرية ،
والشك ، آخر سنى حياتك الشريفة ؛ ولن
تضم إلى درعك بعد الآن قلباً جديراً بقلبك ،
فإن اليد التي ستحمل إليك عشاءك ، عند
عودتك من الصيد ، ستكون يداً مرتعشة ! .

المشهد السابع

عند آل ستروتسي

أفراد عائلة ستروتسي الأربعة — على العشاء

فيليب : لنجلس إلى المائدة يا أولادي .

المدعوون : لماذا يخلو مقعدان ؟

فيليب : إن بيير وتوماس في السجن .

المدعوون : لماذا ؟

فيليب : لأن سالفياتي قد أهان ابنتي في سوق مونتوليفية ،

علانية أمام أخيها ليون ! وعمد بيير وتوماس

إلى قتل سالفياتي (٣٣) ، فاعتقلهما ألكساندر دي

مديتشي ليثار لموت قواده !

المدعوون : الموت لعائلة مديتشي !

فيليب : لقد جمعت عائلتي لكي أفضي إليها بأحزاني ،

وأرجوها أن تساعدني ! فلتناول عشاءنا ،

ونخرج وسيوفنا في أيدينا ، لكي نطلب الافراج

عن ولدي ، مرة أخرى . إذا أردتم .

المدعوون : فليكن ! هذه إرادتنا !

فيليب : لقد حان الوقت الذي ينتهي فيه ذلك ! إنهم

يقتلون أبناءنا ، ويغتصبون بناتنا ! وقد حان

الوقت الذي تُعَلَّمُ فيه فلورنسا أولئك الأنغال

ماذا يكون حق الحياة والموت ! إن « الثمانية »

لا يحق لهم أن يدينوا ولدي ، وما كنت لأعيش

بعدهما . !

المدعوون : لا تخف يا فيليب ، نحن معك .

فيليب : إنني كبير العائلة ، فكيف أسمح لهم بإهانتني ؟

(٣٣) الحقيقة انهما قد أصاباه بجرح خطير (٣ : ٢ ، ٤ : ١) .

إننا أنداد لآل مديتشي . وآل روتشيلاي أنداد
لهم ، وآل ألدوبرانديني . وعشرون غيرهم !
لماذا يستطيع أولئك أن يذبحوا أبناءنا ولا يستطيع
نحن أن نذبح أبناءهم ؟ إنه ما أن يُشعلَ برميل
من البارود في كهوف القلعة حتى تلوذ الحامية
الألمانية بالفرار . فماذا يبقى لآل مديتشي
هؤلاء ؟ هذه هي قوتهم . وليسوا بدونها شيئا !
هل نحن رجال ؟ هل يقال إنهم قد أفنوا بضربة
فأس عائلات فلورنسا النبيلة . وإنهم قد
اقتلعوا من أرض الوطن جذورا عتيقة مثلها ؟
إنهم يبدءون بنا . ويجب أن نصمد ! إن
صيحة إنذارنا الأولى . كصغير مربى الطيور ،
ستجعل جيشا بأكمله من النسور المطرودة من
أعشاشها يهبط على فلورنسا ! إنها ليست بعيدة !
إنها تحوم حول المدينة . وعيونها مسمرة على
أبراجها ! وسنغرس فوقها ألوية الطاعون
السوداء ! وستأتي (٣٤) بسرعة عند إشارة
الموت هذه ! تلك ألوان الغضب الإلهي ! فلنمض
الليلة أولاً لانقاذ ولدينا . وغدا نمضي جميعا ،
وسيوفنا مسلولة ، إلى أبواب الأسر الكبيرة
كلها ! إن في فلورنسا ثمانين قصرا ، وستخرج
من كل قصر جماعة كجماعتنا ، عندما تطلق
الحرية بابه . !

(٣٤) النسور ، ويعنى بها جموع المنفيين من المدينة .

- المدعوون : تحييا الحرية !
- فيليب : إننى أشهد الله على أن العنف هو الذى يرغبنى
على امتشاق الحسام ؛ وأننى قد ظللت مواطنا
صالحا ، ومسالما ، فى مدى ستين عاما ؛
وأننى لم أسىء قط إلى أى كائن فى هذه الدنيا ؛
وأن نصف ثروتى قد استخدم فى إغاثة المساكين .
- المدعوون : هذا صحيح .
- فيليب : إنه انتقام عادل ، هذا الذى يدفعنى إلى الثورة !
وإننى لألجأ إلى العصيان لأن الله قد جعلنى أبا !
إننى غير مدفوع بأى دافع من الطموح أو
المصلحة أو الكبرياء ؛ ولكن دعواى صادقة ،
وشريفة ، ومقدسة ! املثوا أقداحكم !
وانهضوا ! ان ثأرنا قربان نستطيع أن نكسره
بلا خوف ، ونقتسمه أمام الله ! إننى أشرب
نخب الموت لآل مديتشى !
- المدعوون : (ينهضون ويشربون) نخب الموت لآل مديتشى !
- لويـزة : (تضع كأسها) آه ! سأموت !
- فيليب : ماذا بك ، يا ابنتى ، ياطفتى الحبيبة ؟ ماذا بك ؟
يا إلهى ! ماذا أصابك ! رباه ، رباه ! لشدة
ما يشحب وجهك ! تكلمى ؛ ماذا بك ؟ كلمى
أباك ! النجدة ! النجدة ! طيب ! اسرعوا ،
اسرعوا ؛ ليس فى الوقت متسع !
- لويـزه : سأموت ! سأموت ! (تموت)

فيليب : إنها تموت يا أصدقائي ، إنها تموت ! طيب !
ابنتي مسمومة ! (يسقط على ركبتيه بجوار
لويزه)

مدعو : مزقوا صدارها . اسقوها ماء فاترا . إذا كان
هذا سما ، فلا بد من الماء الفاتر (يهرع
الخدم)

مدعو آخر : اضربوا كفيها ! افتحوا النوافذ ، واضربوا
كفيها !

آخر : قد لا يكون إلا أغماء ، وتكون قد شربت
بسرعة أكثر مما ينبغي .

آخر : الطفلة المسكينة ! يالهدوء ملاحظها ! إنها
لا يمكن أن تموت فجأة هكذا !

فيليب : ياطفتي ! هل أنت ميتة ؟ هل أنت ميتة ،
يالويزه ، يابنتي الحبيبة ؟

المدعو الأول : ها هو الطبيب يأتي مسرعا (يدخل طبيب)

المدعو الثاني : اسرع ياسيدى ! قل لنا إن كان هذا سما !

فيليب : إنه إغماء ، أليس كذلك ؟

الطبيب : الصغيرة المسكينة ! إنها ميتة ! (صمت عميق
يسود القاعة . يظل فيليب جاثيا بجوار لويزه
وهو ممسك بيديها)

أحد المدعويين : إنه سم آل مديتشي ! لا تترك فيليب في الحالة
التي هو فيها ! إن سكونه مخيف !

آخر : لاني واثق باننى غير مخطيء . لقد كان يسدور
حول المائدة خادم ينتمى الى زوجة سالفياتى (٣٥).

آخر : إنه هو الذى فعلها دون أى شك ! فلنخرج
ونقبض عليه (يخرجون)

المدعو الأول : لا يريد فيليب أن يرد على مايقال له . لقد صعق !

آخر : شيء فظيع ! هذه ميتة لم يسمع بها من قبل !

آخر : إنها تصرخ إلى السماء مطالبة بالانتقام ! فلنخرج
ونذبح ألكساندر !

آخر : نعم ؛ فلنخرج ! الموت لألكساندر ! إنه هو
الذى أمر بكل شيء . يالنا من أغبياء ! إن
ما يضره لنا من الكراهية لا يرجع إلى الأمس !
إننا نعمل متأخرين للغاية .

آخر : إن سالفياتى لم يكن يحقد لسبب شخصى على
لويزة المسكينة ! لقد كان يعمل لحساب الدوق .
هيا ؛ فلنرحل مادام ينبغي أن يقتلونا حتى آخر
واحد منا !

فيليب : (ينهض) ستدفنون ابنتى المسكينة يا أصدقائى ؛
أليس كذلك ؟ (يرتدى معطفه) فى حديقتى ،
خلف أشجار التين . وداعا ، يا أصدقائى الطيبين ؛
ولتكونوا بخير .

مدعو : إلى أين تذهب ، يا فيليب ؟

(٣٥) يقول المؤرخ هارفى ان زوجة سالفياتى هى التى قتلت لويزة ستروتسى بالسم ،
بدافع من الفيرة .

فيليب : لقد عانيت مافيه الكفاية . لقد عانيت بقدر
ما أستطيع أن أحتمل . إن ولديّ في السجن ،
وها هي ابنتي قد ماتت ! لقد عانيت ما فيه
الكفاية ، وسأرحل من هنا !

مدعو : ترحل ؟ ترحل دون أن تنتقم ؟

فيليب : نعم ، نعم . كفنوا ابنتي المسكينة فقط ، ولكن
لا تدفنوها ، فعلىّ أنا دفنها . وسأفعل هذا
بطريقي ، عند رهبان فقراء أعرفهم . وسوف
يجيئون للسؤال عنها غدا . ما الفائدة من النظر
إليها ؟ إنها ميتة ، فلا فائدة من ذلك ! وداعا ،
يا أصدقائي ! عودوا إلى منازلكم ؛ ولتكونوا
بخير !

مدعو : لا تتركوه يخرج ! لقد فقد الصواب !

آخر : ياله من شيء فظيع ! أشعر بأنني على وشك
الاغماء في هذه القاعة ! (يخرج)

فيليب : لا ترغموني على شيء ، ولا تحبسوني في غرفة
بها جثة ابنتي ! دعوني أرحل !

مدعو : اثار لنفسك ، يا فيليب ، ودعنا نثار لك !
فلتكن ابنتك لويزة عندنا بمثابة لوكريس (٣٦) !
إننا سنرغم ألكساندر على أن يشرب بقية
كأسها !

(٣٦) هن لوكريس ، انظر : ٢ ، ٣ .

آخر : لوكريس الحديدة ! سنقسم فوق جثمانها على الموت في سبيل الحرية ! عد إلى بيتك يا فيليب ، وفكر في وطنك ! لا ترجع فيما قلت .

فيليب : الحرية . الانتقام . كل هذا جميل ، ولكن ولديّ في السجن ، وها هي ابنتي ميتة ! وإذا بقيت هنا سيموت كل شيء حولي ! المهم أن أرحل وأن تلتزموا الهدوء . ولن يفكر أحد ، بعد ، في آل ستروتسي عندما يغلق بابسي ونوافذى ! ولكنى سأراكم تسقطون جميعا ، بعضكم وراء البعض الآخر ، إن هى ظلت مفتوحة ! إننى طاعن في السن ، وقد حان الوقت لكى أغلق دكانى ! وداعا ، يا أصدقائى ولتظلوا هادئين ، ولن يفعلوا بكم شيئا إذا لم أعد موجودا هنا بعد ! سأرحل توا إلى فينتسيا !

مدعو : ثمة عاصفة مخيفة ، فابق هنا الليلة .

فيليب : لا تدفنوا ابنتى المسكينة . سيأتى الرهبان ، أصدقائى القدامى ، ويأخذونها . يارب العدالة ! يارب العدالة ! أية اساءة أسأتها إليك ؟ !
(يخرج مسرعا)

الفصل الرابع

المشهد الأول

فى قصر السدوق

يدخل السدوق ولورنزو

السدوق : ليتنى كنت هناك . لا بد أن أكثر من وجهه
غاضب قد كان عنده ! ولكننى لا أعرف من
استطاع أن يقتل بالسّم لويزه هذه .

لـورنـزو : ولا أنا أعرف أكثر منك . . إلا أن يكسـون
إياك !

السدوق : لا بد أن فيليب يتميز غيظاً ! يقال إنه قد رحل
إلى فينتسيا . حمداً لله ! فيها أنا قد تخلصت من
ذلك الشيخ الذي لا يطاق . أما أسرته الكريمة
فسوف تفضل بالتزام الهدوء ! هل تعلم أنهم
أوشكوا على القيام بثورة صغيرة في حيهم ؟
لقد قتلوا لي ألمانين .

لـورنـزو : إن أكثر ما يثير غضبى هو أن سالفياقي ، ذلك
الرجل الأمين ، قد قطعت إحدى ساقيه .
هل وجدت درعك ؟

السدوق : كلا ؛ فى الحقيقة . وأنا متكدر لهذا السبب
أكثر مما أستطيع أن أقول .

الـورنـزو : احترس من جومو . إنه هو الذي سرقه منك .
ماذا ترتدي بدلاً منه ؟

الـدوق : لا شيء . إننى لا أحتمل غيره . ولا يوجد
درع خفيف مثله .

الـورنـزو : شيء مكدر بالنسبة إليك !

الـدوق : إنك لا تحدثنى عن خالتك !

الـورنـزو : لقد نسيت . إنها تعبدك ، وقد هجر النوم
عينها منذ أن علا نجم حبك في قلبها المسكين
أرحمها قليلاً ، يا سيدي ، إذا سمحت ؛ وقل
متى تريد أن تستقبلها ؟

الـدوق : هل أنت جاد فيما تقول ؟

الـورنـزو : إننى جاد كالموت ذاته !

الـدوق : أين أستطيع لقاءها ؟

الـورنـزو : في غرفة نومي ، يا سيدي . لسوف أضع
الستائر البيضاء على سريري ، وإصيصاً من
الحزامى على منضدتي ثم أنام بعد أن أسجل
في مفكرتك أن خالتي ستكون في طريقها إليك
عند منتصف الليل تماماً ، حتى لا تنساها بعد
العشاء !

الـدوق : إننى أبعد ما أكون عن ذلك ! آه ! إن كاترينا
وجبة ملكية ! ولكن خبرني ، أيها الولد
البارع ؛ هل أنت متأكد من أنها ستجىء ؟
كيف عرفت ذلك ؟

أورنزو : سأقول لك .
الدوق : سأمضي لأرى جواداً قد اشتريته أخيراً .
وداعاً ، وإلى هذا المساء . تعال لتأخذني بعد
العشاء ، وسنمضي سوياً إلى بيتك . أما تشييو
فإنها تطن فوق أذني ، وبالأمس أيضاً كان
لزماً علي أن أحملها فوق ظهري طيلة
الصيد (١) .

مساء الخير ، يا نديمي (يخرج)
لورنزو : (وحده) اتفقنا ، إذن ! أقوده الليلة إلى بيتي ،
وغداً يرى الجمهوريون ما ينبغي عليهم أن
يفعلوا ، لأن دوق فلورنسا سيكون قد مات !
يجب أن أخطر سكورونكونكولو . اسرع
أيتها الشمس إذا كنت مشوقة إلى الأنباء التي
ستقولها لك هذه الليلة غداً ! (يخرج)

المشهد الثاني

طريق

بيير وتوماس ستروتسي « خارجين من السجن »
بيير : لقد كنت واثقاً بأن « الثمانية » سيبرثوني
ولياك أيضاً . هيا بنا ، نخرج بابنا ، ونعانق
أبانا . إن هذا غريب ! النوافذ مغلقة !

(١) هنة طفيفة يبدو أن المؤلف لم يتلفت إليها ، فقد فاتته أن الكساندر كان قد
ترك الماركييزة تشييو (٣ : ٦) ليخرج للصيد .

البواب : (يفتح) واحسرتاه ! هل تعرفان الأنباء ،
يا سيدي ؟

بيير : أية أنباء ؟ إنك تبدو كشبح خارج من قبر ، على
باب هذا القصر المهجور !

البواب : هل يمكن ألا تعلم شيئاً ؟ (يصل راهبان)
توماس : وماذا كنا نستطيع أن نعلم ؟ إننا خارجان من
السجن . تكلم ، ماذا حدث ؟

البواب : واحسرتاه ! يا سيدي المسكينين ، إنه شيء
قوله فظيح !

الراهبان : (يقتربان) أهذا قصر آل ستروتسي ؟

البواب : نعم . ماذا تطلبان ؟

الراهبان : لقد جئنا لنأخذ جثة اويزة ستروتسي . هذا
تفويض من فيليب لكي تسمح لنا بأن نحملها .

بيير : ماذا تقولان ؟ أية جثة تطلبان ؟

الراهبان : ابتعد يا بني . إنك تحمل على وجهك ملامح
فيليب ، وليس هنا شيء يطيب لك أن تعرفه !

توماس : كيف ؟ هل ماتت ! ماتت ! يا رب السماء !
(يجلس على حدة)

بيير : إنني أثبت جنائماً مما تظن ! من قتل أختي ؟ إن
من كانت في سنها لا تموت في ليلة واحدة ،
دون سبب غير مألوف من قتلها حتى أقتله ؟
أجبنني وإلا فالموت لك أنت نفسك !

البواب : واحسرتاه ! واحسرتاه ! من يستطيع أن يقول؟
ما من أحد يعرف شيئاً .

بيير : أين أبي ؟ تعال . يا توماس ؛ لا دموع ! يا
للسماء ! إن قلبي ينقبض كما لو كان يوشك
أن يتجمد في صدري . ويظل صخراً إلى
الأبد !

الراهبان : إذا كنت ابن فيليب فتعال معنا . سنقودك إليه .
إنه في ديرنا منذ الأمس .

بيير : ولن أعرف من قتل أختي ! أنصتا إلي أيها
القسيسان . إذا كنتما صورة الله فإنكما
تستطيعان أن تتلقيا قسماً : بكل ما هنالك من
أدوات للعقاب تحت السماء ؛ وبألوان العذاب
التي في جهنم . . كلا : لا أريد أن أقول
كلمة واحدة ! فلنسرع لأرى أبي . يا إلهي !
يا إلهي ! فليكن ما أظينه هو الحقيقة حتى
أسحقهم تحت قدمي كحبات الرمال ! هيا ،
هيا ، قبل أن أفقد قوتي ؛ ولا تقولوا لي كلمة
واحدة ، فإنه ثأر لم يحلم بمثله الغضب المقدس
(يخرجون)

المشهد الثالث

طريق

لورنزو . سكورونكونكولو

لورنزو : عد إلى بيتك ، ولا يفتك أن تحضر في منتصف

الليل ؛ وستبقى وحدك في مكتبي حتى أجيء
وأخطرك .

سكورونكونكولو : نعم ؛ يا سيدي (يخرج)

لورنزو : (وحده) بأي نمر حلمت بي أمي ، وهي

بي حبل ! عندما أذكر أنني أحببت الأزهار
والمراعي وأغاني بترارك^(٢) ! إن طيف الشباب
ينهض أمامي مرتعداً ! يا إلهي ! لماذا تجعل
هذه الحملة الواحدة : « في هذا المساء » هذه
الغبطة المشتعلة تخترق عظامي كحديد أحمر ؟
من باطن أي وحش ، ومن حزن أي حيوان
كثيف الشعر خرجت إذن ؟ أي شيء كان
يفعله بي هذا الرجل ؟ عندما أضع يدي هنا ، على
قلبي ، وأفكر . . . من سيسمعني أقول غدا :
« لقد قتلته » دون أن يجيبني بقوله « لماذا »
قتلته ؟ . . إن هذا لغريب ! لقد أساء إلي
الآخرين ولكنه قد أحسن إلي بطريقته على
الأقل ! ولو أنني ظللت ساكناً - في أعماق
وحدتي ، في كافادجيولو^(٣) - لما جاء
يبحث عني هناك ، وقد جئت أنا أبحث عنه
في فلورنسا ! لماذا ؟ هل كان شبح أبسى
يقودني - كأوريست - نحو ايجست .

(٢) شاعر إيطالي من كبار فناني عصر النهضة . وقد اشتهر بأشعاره العامية .
وقصائده التي كتبها في حببته لورا (١٣٠٤ - ١٣٧٤) وإلى وراء هذا الحب
يشير لورنزو .

(٣) قرية قريبة من فلورنسا ، وفيها قضى لورنزو أغلب أيام طفولته .

جديد(٤) ؟ هل كان يسيء إلي حينذاك ؟ شيء غريب ! ولكنني تركت كل شيء لإتمام هذا العمل . وأسقطت فكرة الاغتيال الوحيدة هذه أحلام حياتي في التراب ! وما كنت إلا حطاماً منذ أن وقف هذا الاغتيال في طريقي كغراب شؤم . ودعاني إليه ! ما معنى هذا ؟ لقد سمعت منذ قليل . وأنا أعبّر الطريق . رجلين يتحدثان عن نجم مذنب(٥) ! أهي دقائق قلب بشري ، هذه التي أحس بها تحت عظام صدرى ؟ أواه ! لماذا تراودني هذه لفكرة كثيراً منذ بعض الوقت ؟ هل أنا ذراع الرب ؟ هل توجد سحابة فوق رأسي ؟ أخشى — عندما أدخل تلك الغرفة . وأريد أن أجرد سيفي من غمده — أن أجرد سيف رئيس الملائكة المشتعل ، وأن أسقط فوق ضحيتي رماداً ! (يخرج)

(٤) في الاساطير اليونانية أن كلوتمنسترا زوجة أجامنون ، ملك أرجوس ، قد قتلته بالاشتراك مع عشيقها ايجست ، فقتلها ابنها اوريست انتقاماً لأبيه ، بالاشتراك مع أخته الكتورا .

ولكن شبح الاب هنا يذكرنا بهاملت — في مسرحية شكسبير — أكثر مما يذكرنا باوريست .

(٥) يعتبر ظهور النجم المذنب نذيراً يحدث خطر .

المشهد الرابع

عند الماركيزة تشييو

يدخل الكاردينال والماركيزة

الماركيزة : كما تشاء ، يا مالا سينا .
الكاردينال : نعم ؛ كما أشاء . فكري مرتين ، أيتها
الماركيزة ، قبل أن تلعبى بي ؟ هل أنت امرأة
كالأخريات ؟ وهل ينبغي أن أحمل سلسلة
ذهبية حول عنقى (٦) ، وتفويضاً في يدي ،
لتعرفى من أكون ؟ هل تنتظرين أن يهتك خادم
بأعلى صوته ، وهو يفتح باباً أمامي ، لتعرفى
قدرتي ؟ اعلمى هذا : ليست الألقاب هى
التي تصنع الرجل . وما أنا بمبعوث من البابا ،
ولا بقائد لجيش شارل كان . إقنى أكثر من
هذا !

الماركيزة : نعم ؛ أعرف هذا . لقد باع قيصر ظلّه
للشيطان . وهذا الظل الامبراطوري يتجسول
في رداء أحمر ، تحت اسم تشييو ! هـ

الكاردينال : اذكرى أنك عشيقه ألكساندر ؛ وسرك بين
يدى !

الماركيزة : افعل به ماتشاء ، وسوف نرى ما يستطيع كاهن
اعتراف أن يجعل من ضميره !

الكاردينال : أنت مخطئة ، فإننى لم أعرفه من اعترافك . لقد

(٦) كما يفعل رسل الملك او الامير .

رأيتك بعيني . لقد رأيتك تعانقين الدوق ! ولو
كنت أقررت لي به في الاعتراف ، لكان في
مقدوري أن أعلنه أيضا بلا وزر ، مادمت قد
رأيتك خارج الاعتراف !

الماركيزة : حسنا ! وبعد ؟

الكاردينال : لماذا كان الدوق يتركك في خطو متثاقل ،
وهو يتنفس الصعداء كتلميذ عند دق الجرس ؟
لقد أتخمته بوطنيتك التي تمتزج ، كالشراب
الماسخ ، بجميع الأطعمة على مائدتك ! أي
كتب قرأت ، وأية عجوز نكدة كانت مربيتك
حتى أنك لا تعرفين أن عشيقه الملك تتحدث عادة
في شيء آخر غير الوطنية ؟

الماركيزة : أعترف بأنهم لم يوضحوا لي قط ما ينبغي أن
تتحدث فيه عشيقه الملك ! ولقد أهملت تعلم
هذه النقطة كما لعلى قد أهملت أكل الأرز
لكي أسمن على الطريقة التركية !

الكاردينال : إن الاحتفاظ بعشيق ، أكثر قليلا من ثلاثة
أيام ، لا يحتاج إلى علم واسع !

الماركيزة : لو أن قسيسا لقن امرأة هذا العلم لكان شيئا
بسيطا للغاية ! أي شيء لم تنصحنى به ؟

الكاردينال : هل تريد أن أنصحك ؟ خذي معطفك ، وادلفي
إلى مخدع الدوق . وإذا توقع منك كلاما كثيرا ،
عندما يراك ، فأثبي له أنك لا تفعلين هذا في

كل وقت ! وكوني أشبه بمن تسير وهي نائمة ..
 وإن غفا على هذا القلب الجمهوري ، فاعلمي .
 على ألا يكون هذا بسبب الملل ! هل أنت .
 عذراء ؟ ألم يعد ثمة نبيذ قبرصي ؟ أما من .
 حكاية مفرحة في أعماق ذاكرتك ؟ ألم تقرئي .
 لاريتان (٧) ؟

الماركيزة : يا للسماء ! لقد سمعت كلمات كهذه توسوس .
 بها عجائز قبيحات . يرتعدن من البرد ، في .
 « السوق الجليد » . هل أنت رجل ، إذا لم .
 تكن قسيسا ؟ هل أنت واثق بأن السماء خالية ،
 حتى تجعل حمرة الحجل تسرى في ردائك .
 الأرجواني ذاته ؟

الكاردينال : مامن شيء يعدل في عفته أذن امرأة ساقطة !
 تظاهري أولا تتظاهري بأنك تفهميني ، ولكن ،
 تذكرى أن أخى هو زوجك !

الماركيزة : إننى لا أستطيع أن أدرك في غير غموض أى .
 مصلحة لك في تعذيبى هكذا ! إننى أبغضك ،
 بغضا شديدا ! ماذا تريد منى ؟

الكاردينال : هنالك أسرار لا ينبغى أن تعرفها المرأة ، ولكنها
 تستطيع أن تنجح عندما تعرف جوهرها .

الماركيزة : أى خيط خفى من أفكارك المظلمة تريد أن .
 تجعلنى أمسك به ؟ إذا كانت رغباتك مخيفة

(٧) شاعر ايطالى هجاء ، وكاتب اباحى، ولد فى مدينة اريينزو (١٤٩٢ - ١٥٥٦) .

كتهديدائك فتكلم ! أرني على الأقل تلك
الشعرة التي تعلق السيف فوق رأسى (٨) !

الكاردينال : إننى لا أستطيع أن أتكلم إلا بعبارات مبهمـة
لأننى غير واثق بك ! وحسبك أن تعرفي أنك
لو كنت امرأة أخرى لكنت مائة في هذه
الساعة ! وما دمت تسميني ظل قيصر ، فقد
رأيت أنه ظل كبير بالقدر الذى يكفى لأن
يحجب شمس فلورنسا ! هل تعرفين إلى أين
يمكن أن تقود ابتسامة امرأة ؟ إن ألكساندر ابن
لبابا . وعندما كان هذا البابا في بولونيا . . .
ولكننى أترك نفسى تنساق إلى بعيد !

الماركيزة : حاذر أن تعترف بدورك ! لئن كنت أخصا
زوجى فأنا عشيقة ألكساندر !

الكاردينال : لقد كنتها أيتها الماركيزة ، وكثيرات غيرك أيضا

الماركيزة : لقد كنتها ، نعم ؛ أشكر الله ! لقد كنتها (٩) !

الكاردينال : لقد كنت واثقا بأنك ستبدئين بأحلامك ، ولكنك

لا بد أن تعودى ذات يوم إلى أحلامى . انصتى
إلى ؛ إننا نتشاجر بغير مناسبة . ولكنك
تأخذين كل شىء مأخذاً جلد ، في الحقيقة !

(٨) إشارة الى « سيف داموكليس » . وكان داموكليس هذا نديما لحاكم سيرا قومه
- الرابع قبل الميلاد - وكان يزعم بمكانته لديه ، فدعاه الحاكم الى وليمة واجلسه
فى مكانه ، ثم وضع فوق رأسه سيفاً معلقاً بشعرة من ذيل حصان ، حتى اذا رفع
رأسه ، ورأى ذلك السيف ، تبين مدى غروره وحبث اطمئنائه !

(٩) أى ان ذلك شىء قد أصبح فى ذمة الماضى .

تصالحى مع ألكساندر . ومادمت قد جرحته
مشاعرك الآن ، عندما ذكرت لك كيف تفعلين
ذلك ، فلا أرى فائدة من تكراره . كونى سهلة
القياد . وفى خلال عام ، أو فى خلال عامين ،
ستشكرينى ! لقد عملتُ وقتاً طويلاً لكى أكون
ما أنا . وإننى لأعرف إلى أين أستطيع أن أمضى .
ولو كنت واثقاً بك لقلت لك أشياء لن يعرفها
كائن أبدا . .

الماركيزة : لا تأمل فى شيء ، وثق بأننى أحترمك ! (تريد
أن تخرج)

الكاردينال : لحظة واحدة ! ليس بهذه السرعة ! ألا تسمعين
صوت جواد ؟ ألا ينبغي أن يجرى أخى اليوم أو
غدا ؟ هل تعرفينى رجلاً ذا كلمتين ؟ اذهبي
إلى القصر وإلا هلكتي !

الماركيزة : إننى أفهم أن تكون طموحاً ، وأن تكون الوسائل
كلها صالحة لديك ، ولكن : هلا كان حديثك
أوضح من هذا ؟ هيا ، يامالاسينا ، إننى لا أريد
أن أياس من فسادى كل اليأس . اذا كنت
تستطيع أن تقنعنى فافعل ، وحدثنى بصراحة .
ماغرضك ؟

الكاردينال : إنك لن تيشى من إقناع نفسك . أليس هذا
صحيحاً ؟ هل تعتبرينى طفلاً ، وهل تعتقدين
أنه يكفى لفتح شفتى أن تدعكيهما بالعسل ؟
اعملى أولاً ، وبعدها أتكلم ! ويوم يكون لك

السلطان الضرورى كامرأة . لا على عقل.
ألكساندر دوق فلورنسا ، ولكن على قلب.
ألكساندر عشيقك ، سأخبرك بالباقي ، وستعرفين.
ما أنتظره !

الماركيزة

: وهكذا سيكون لزاما علىّ بعد أن أقرأ لاريتان.
ليعطيني خبرةً أولى ، أن أقرأ كتاب أفكارك
السرىّ لأكتسب خبرة ثانية ؟ هل تريد أن أقول
لك ، أنا ، مالا تجرؤ على أن تقوله لى ؟ إنك
تخدم البابا إلى أن يجد فيك الامبراطور خادما
أحسن من البابا نفسه ! إنك تأمل أن يدين لك
قيصر ذات يوم - حقيقةً . وكليةً - بعبودية
إيطاليا ، ويومئذ أوه ! يومئذ ، أليس
كذلك ؟ يومئذ يستطيع ذلك الذى هو ملك
نصف الدنيا أن يمنحك ميراث السموات الهزيل.
مكافأة لك (١٠) ! إنك لكى تحكم فلورنسا ،
إذ تحكم الدوق ، حرى بأن تجعل من نفسك
امرأة على التو ، إذا استطعت ! وعندما تُحدثُ
ريتشاردا تشيبو ، المسكينة ، انقلابين أو ثلاثة
ريتشاردا تشيبو ، المسكينة ، انقلابين أو ثلاثة
في تفكير ألكساندر ، يضيف الناس على التو
أن ريتشاردا تشيبو تقود الدوق ، ولكن أخا
زوجها يقودها ! وكما تقول : من يدرى إلى أى
مدى ستدفع دموع الشعوب بسفيتتك بعد أن

(١٠) تقصد التاج البابوى .

تصير بحرا ؟ أهو شىء قريب من هذا ؟ إن
خيالى لا يستطيع أن يذهب إلى الحد البعيد الذى
يذهب إليه خيالك ، من غير شك ، ولكننى
أعتقد أنه شىء قريب من هذا . !

الكاردينال : اذهبي الليلة إلى قصر الدوق وإلا هلكتي !
الماركيزة : هلكتي ؟ وكيف يكون ذلك ؟
الكاردينال : سيعرف زوجك كل شىء !
الماركيزة : افعلها ! افعلها ، وسأقتل نفسى !
الكاردينال : تهديد امرأة ! انصتى إلى . سواء أكنت قد
أحسنست فهمى أو أسأته ، فاذهبي الليلة إلى قصر
الدوق !

الماركيزة : كلا !
الكاردينال : هاهو زوجك يدخل الفناء . قسما بكل مقدس
في الدنيا ، سأروى له كل شىء ، إذا قلت
« كلا » مرة أخرى !

الماركيزة : كلا ، كلا ، كلا ! (يدخل الماركيز) لوران ،
لقد استسلمت للدوق وأنت في ماسا . لقد
استسلمت وأنا أعرف من هو ، وأى دور حقير
سألعبه ! ولكن ؛ هاهو ذا قسيس يريد أن
يرغمنى على أن ألعب دورا أحقر منه أيضا !
إنه يعرض على أشياء فظيعة ليضمن لى لقب
عشيقة الدوق ، ويحوله لمصلحته ! (تسقط على
ركبتيها) .

الماركيز : هل أنت مجنونة ؟ ماذا تعنى بقولها هذا ،
يامالاسينا ؟ تكلم ! إنك جامد كتمثال !
أ تكون هذه لعبة ، يا كاردينال ؟ تكلم ! ماذا
ينبغي على أن أعتقد ؟

الكاردينال : آه ! يا إلهي ! (يخرج)
الماركيز : لقد أغشى عليها ! أنتم ، هناك ! هاتوا خلافاً !

المشهد الخامس

غرفة نوم لورنزو

لورنزو . خادمان

لورنزو : بعد أن تضعنا هذه الأزهار على المنضدة . وهذه
بجانب الفراش ، ستوقدان نارا كافية ، ولكن
بطريقة تجعل لهيبها لا يرتفع الليلة ، وتجعل الفحم
يسخن دون أن يتوهج ، ثم تعطيني المفتاح ،
وتذهبان للنوم (تدخل كاترينا)

كاترينا : إن أمنا مريضة . ألا تبجى لراها ، يا لورنزو ؟

لورنزو : أمي مريضة ؟ !

كاترينا : وا أسفاه ! إنني لا أستطيع أن أخفي عنك الحقيقة

! لقد تسلمت بالأمس رسالة من الدوق ، يقول

لي فيها إنك حدثتني عن حبه إياي ، حتما !

وقد آلمت قراءة هذه الرسالة ماري كثيرا !

لورنزو : ولكنني لم أحدثك عن ذلك ! ألم تستطيعي أن

تقولي لها إنني لم تكن لي علاقة بشيء ؟

كاترينا : لقد قلت لها . مابال غرفتك اليوم جميلة ، وفي هذه الحالة الحسنة ؟ لم أكن أعتقد أن روح النظام قد أصبحت مديرة بيتك !

لورنزو : لقد كتب إليك الدوق ، إذن ؟ انه لشيء غريب اننى لم اعرف هذا قط ! و . . ما رأيك في رسالته ؟

كاترينا : ما رأيي ؟

لورنزو : نعم ، في تصريح الكساندر ! كيف يراه هذا القلب الصغير ، البريء ؟

كاترينا : ماذا تريد ان ارى ؟

لورنزو : ألم تداعبك الالاماني ؟ غرام يثير حسد الكثيرات ! ولقب جميل تكتسبينه : عشيقة ال . . . اذهبي ، يا كاترينا ، اذهبي ، وقولي لامي انى قدام وراءك . اخرجى من هنا ! اتركىنى ! (تخرج كاترينا) يا الهى ! اى رجل من الشمع اننا ! هل تغلغلت الرذيلة في اعماقي ، واتحدت بألياف جسدى كثوب ديجانيرا (١١) ، فلم اعد استطيع ان احكم لساني ، واصبح الصوت الذى يخرج من شفتى داعراً برغمى ؟ لقد كنت بسبيل إفساد كاترينا ! واعتقد بأننى

(١١) فى الاساطير اليونانية ان نيسوس كان قد اغوى ديجانيرا ، زوجة هرقل فحكم عليه هذا بالموت ، فارسل نيسوس اليها رداء مسموما ، واوهما بان به سعرا يبعث الحب فى قلب من يرتديه ، فلما اهدته الى زوجها وارتداه ، سرت فى جسده نار فظيمة ، ولم يحتملها فقتل نفسه !

خليق بإفساد أُمى إذا خامرتنى هذه الفكرة !
ويعلم الله أى وتر ، وأى قوس شده الأرباب
في رأسى ، واية قوة في الاسهم التى تخرج
منه ! ولو كان البشر كلهم شرارات صغيرة من
موقد كبير ، فلا بد ان المجهول الذى جبلنى قد
اسقط جذوة من النار بدلا من شرارة ، في هذا
الجسد الواهن ، المترنح ! اننى استطيع ان
اتروى ، واختار ، ولكنى لا استطيع أن أرتد
على اعقابى بعد ان اكون قد اخترت . يا الهى !
ألا يزهو الشباب المحدثون بكونهم أشرارا ؟
وهل يجد الصغار الخارجون من الكلية شيئا
اكثُر إلحاحا من الفساد (١٢) ؟ فأى سيل من
الوحد هو الجنس البشرى الذى يتدافع هكذا في
المواخير بشفاه جائعة الى الفجور ، في حين اننى
— أنا الذى لم يشأ أن يتخذ الا قناعا شبيها
بوجوههم — لا أستطيع أن استرد ذاتى ، ولا أن
اغسل يدى حتى بالدم ! ايتها المسكينة كاترينا !
لقد كنت خليفة بأن تموتى كما ماتت لويسزه
ستروتسى ، او تسقطى كما سقطت الكثيرات
في الهوة الابدية ، إذا لم اكن هنا ! ايسه ،
يا الكساندر ! ما أنا بالتقى ، ولكنى أريد حقا ان
تصلى قبل مجيئك الليلة الى هذه الغرفة (١٣)

(١٢) هذه لمحة من حياة موسية سجلها في روايته : « اعتراف فتى من قتيان
العصر » .

(١٣) لمحة من شكسبير ، حيث يطلب عطيل من ديد مونة ان تصلى قبل ان يقتلها
بينما يرفض هاملت ان يقتل عمه وهو يصلى حتى لا تشمله رحمة الله .

ولو ان كاترينا لم تكن فاضلة ولا عيب فيها ،
فكم من قول كان ينبغي مع ذلك أن يقال حتى
أجعل من هذه الحمامة العزيزة فريسة لهذا
الجلاد ذى الشعر الاحمر ! عندما أذكر اننى
كدت أتكلم ! وكم من فتيات ملعونات من
آبائهن يتجولن الآن حول الحدود أو ينظرن
لى رؤوسهن الخليقة (١٤) في مرآة مهشمة
بزئزاة ، وقد كن مثل كاترينا في كل شيء ،
ثم اصغين الى قواد أقل براعة منى ! حسنا !
لقد اقترفت الكثير من الجرائم . واذا وضعت
حياتي ذات يوم في ميزان قاضٍ ، أيا كان ،
فسوف يكون جبل من النحيب في أحد
الجانبين ، إلا انه قد يكون في الجانب الآخر
قطرة واحدة من اللبن الطاهر ، منسكبة من
صدر كاترينا ، وتكون قد غدت اطفالا شرفاء !
(يخرج)

المشهد السادس

واد . دير في صدر المكان

يدخل فيليب ستروتسي وراهبان . راهبان
مبتدئون يحملون نعش لويزه ويضعونه في قبر .

فيليب : دعوني اقبلها قبل ان تضعوها في مثواها الأخير !
لقد كانت تنام فأخنى فوقها هكذا لأمتخها

(١٤) كانت الفتيات المنحرفات يعاقبن بحلق رؤوسهن في السجون .

قبلة المساء ! وكانت عيناها الساجيتان تنطبقان
هكذا ، في نصف اغماضة ، ولكنهما كانتا
تفتحان ثانية ، مع أول شعاع من اشعة الشمس ،
كزهرتين بلون السماء ! وكانت تنهض في
هدوء ، والبسمة على شفيتها ، فرد الى ايها
الشيخ قبلة الامس ! لقد كان وجهها الملائكى
يجعل لحظة سعيدة من لحظة بالغة الشقاء : تلك
التي يستقيظ فيها رجل قد سُم الحياة ! لقد
كنت أرى الفجر فأقول : يوم آخر ، وخط
آخر للمحراث في حقل ! ولكنى كنت ألمح
ابنتى عندئذ فتبدو لى الحياة صورة من جمالها ،
وأرحب بضوء النهار !

(يغلقون القبر)

بيروسترويسى : (وراء الكواليس) من هنا . تعال من هنا .

فيليب : لن تنهضى من نومك بعد الآن ، ولن تضعى
قدميك العاريتين فوق هذا العشب مرة أخرى
لتبحثى عن ابيك ! ياعزيزتي لويزه ! لم يعرف
غير الله من كنت ، وغيرى ، أنا ، أنا ، أنا !

يسير : (داخلا) إنهم في سستينو(١٥) مائة رجل
قادمون من بيمون(١٦) . تعال يا فيليب ، لقد
مضى وقت الدموع !

فيليب : يا بنى ، هل تعرف ما وقت الدموع ؟

(١٥) مدينة صغيرة بالقرب من أرينزو *

(١٦) اقليم فى شمال ايطاليا ، بين جبال الالب والايين *

بيير : لقد اجتمع المنفيون في سستينو ، وهذا وقت التفكير في الانتقام ! فلنتقدم بلا تردد نحو فلورنسا بجيشنا الصغير . ولو استطعنا ان نصل في اللحظة المناسبة ليلا ، ونفاجيء نقط الحراسة في القلعة ، لا نتهى كل شيء . وحق السماء ! لأشيدن قبرا فاخرا لأختي غير هذا !

فيليب : لن أذهب ، أنا . اذهبوا بدوني ، أيها الأصدقاء بيير : إننا لا نستطيع ان نستغنى عنك . ولتعلم ان الحلفاء يعتمدون على اسمك ، وفرنسوا (١٧) الأول نفسه ينتظر منك حركة في سبيل الحرية ! انه يكتب اليك كما يكتب الى قادة الجمهوريين الفلورنسيين ، وهذه رسالته .

فيليب : (يفتح الرسالة) قل لمن حمل اليك هذه الرسالة أن ينقل الى ملك فرنسا هذا الجواب : « يوم ان يحمل فيليب السلاح في وجه وطنه يكون قد أصبح مجنونا » !

بيير : ما هذا القرار الجديد ؟
فيليب : انه هو الذى يليق بي !
بيير : وهكذا تخسر قضية المنفيين لكى تستمتع بإنشاء جملة خطابية ؟ احترس يا ابني . إنها ليست مسألة فقرة من بلينى (١٨) ! فكر قبل ان تقول : لا !

(١٧) ملك فرنسا ، والخصم العنيد لشارل الخامس (١٤٩٤ - ١٥٤٧) وهو هنا يمهّد لاجتياح اقليم توسكانى ، وعاصمته فلورنسا ، فيما بعد .
(١٨) كان فيليب ينوس اعمال بلينى الكبير (الذى قتله بركان فيزوف عام ٧٩ ب . م) . وقد حقق كتابه فى التاريخ الطبيعى .

فيليب : إننى أعرف ، منذ ستين عاما ، ماينبغى أن أورد
به على رسالة ملك فرنسا !

بيير : هذا شيء يفوق كل تصور ! إنك سترغمنى
على أن أقول لك أشياء معينة . . . تعال معنا ،
يا أبى ، أتوسل إليك ! ألم تقل لى : « خذنى
معك » عندما كنت ذاهبا إلى بيت عائلة باتسى ؟
هل كان الموقف مختلفا حينذاك ؟

فيليب : مختلفا جدا ! إن أبا مهانا ، يخرج من بيته شاهرا
سيفه مع أصدقائه لكى يطالب بالعدالة ، جسد
مختلف عن رجل متمرّد . يحمل السلاح ضد
وطنه في الحلاء . ودون اعتبار للقوانين !

بيير : لقد كنا نطالب بالعدالة . وكنا نعمل في سبيل
القضاء على ألكساندر . فماذا تغير اليوم ؟ إما
أنك لا تحب وطنك . وإما أنك ستستفيد من
فرصة كهذه !

فيليب : فرصة ! يا إلهى ! هذه فرصة ؟ ! (يضرب القبر)
بيير : كن ليناً ، واستجب !

فيليب : ليس حزنى بالمعرض أو الطموح ! اتركنى
وحدى ؛ لقد قلت ما يكفى !

بيير : أيها الشيخ العنيد ! أيها القوال القاسى للحكم
والأمثال ! ستكون سببا في هلاكنا !

فيليب : اسكت ، أيها الوقح ! اخرج من هنا !

بيير : إننى لا أستطيع أن أذكر مايعتمل في صدرى !

اذهب إلى حيث تشاء ، وسنعمل بدونك هذه
المرة . نعم ! وحق الله ! لن يقال إن كل شيء
قد ضاع نتيجة لغياب مترجم عن اللاتينية !
(يخرج)

فيليب : لقد جاء يومك ، يا فيليب ! هذا كله يدل على
أن يومك قد جاء !

المشهد السابع

شاطيء الآرنو . رصيف . يشاهد صف طويل
من القصور

لورنزو : (داخلا) هاهي الشمس تغرب ، وليس عندي
وقت أضيعة ، بينما يبدو أن الكل هنا وقتله
ضائع ! (يقرع بابا) ياهو ! ياسيد ألامانو !
ياهو !

ألامانو : (في شرفته) من هناك ؟ ماذا تريد مني ؟

لورنزو : بجئت أخطر بك بأن الدوق سيقتل حنما هذه
الليلة ! فلتأخذ أهبتك مع أصدقائك ، إذا كنتم
تحبون الحرية !

ألامانو : ومن الذي سيقتل ألكساندر ؟

لورنزو : لورنزو دي مديتشي !

ألامانو : أهذا أنت يارنزيناتشو ؟ آه ! ادخل إذن ،

وتناول عشاءك مع قوم أفاضل في قاعني !

لورنزو : لا وقت عندي . تأهب للعمل غدا .

ألامانو : هل تريد — أنت — أن تقتل الدوق ؟ قل شيئاً
آخر ! لقد أسرفت في الشراب . وأدارت الخمر
رأسك ! (يدخل)

لورنزو : (وحده) لعل أخطيء عندما أقول لهم إنه أنا من
سيقتل ألكساندر ؛ فإن العالم كله يرفض أن
يصدقني (يقرع بابا آخر) ياهو ! ياسيد باتسي !
ياهو !

باتسي : من يناديني ؟

لورنزو : جئت أقول لك إن الدوق سيقتل الليلة ! حاول
أن تعمل غداً من أجل حرية فلورنسا

باتسي : ومن ياترى سيقتل الدوق ؟

لورنزو : لا يهم ! اعمل دائماً . أنت وأصدقائك . لا
استطيع أن أذكر لك اسم الرجل !

باتسي : إنك مجنون وغريب الأطوار ! اذهب إلى الشيطان
! (يدخل)

لورنزو : (وحده) واضح أن تصديقهم إياي سيقل أيضاً
إذا لم أقل إنه أنا (يقرع بابا) ياهو ! ياسيد
كورسيني !

حاكم القلعة : من هذا ؟

لورنزو : سيقتل الدوق ألكساندر هذه الليلة !

حاكم القلعة : حقاً ، يالورنزو ؟ ! إذا كنت مخموراً فامزح في

مكان آخر ! لقد جرححت لي جواداً . بغير مناسبة ؛

في حفل عائلة نازي ، عليك اللعنة ! (يدخل)

حاكم القلعة : حقاً ، يالورنزو ؟ ! إذا كنت مخموراً فامزح

في مكان آخر ! لقد جرححت لي جواداً ، بغير

مناسبة ، في حفل عائلة نازى ، عليك اللعنة !
(يدخل)

لورنزو : فلورنسا المسكينة ! فلورنسا المسكينة ! (يخرج)

المشهد الثامن

سهل

يدخل بيير ستروتسى ومنفيان

بيير : لا يريد أبى أن يجىء . وكان مستحيلا على أن
أجعله يصغى إلى صوت العقل !

المنفى الأول : لن أقول هذا لزملائى . إنه يدفعهم إلى الفرار !

بيير : لماذا ؟ اركبوا جيادكم هذا المساء ، واذهبوا
بأقصى سرعة إلى سستينو . وسأكون هناك في
صباح الغد . قولوا إن فيليب قد رفض ،
ولكن بيير لا يرفض !

المنفى الأول : إن الحلفاء يريدون اسم فيليب ، ولن نفعل بدونه
شيئا !

بيير : إن اسم عائلة فيليب هو اسمى نفسه . قولوا إن
ستروتسى سيجىء ، وهذا يكفى .

المنفى الأول : سيسألوننى عنى يكون من آل ستروتسى ،
وما من شىء سيتم إذا لم أقل إنه فيليب .

بيير : أيها الغبي ! افعل ما يقال لك ، ولا تجب إلا عن
نفسك ! كيف تعرف مقدما أن شيئا لن يتم ؟

المنفى الأول : لا ينبغي ، أيها السيد ، أن تساء معاملة الناس !

يسير : هيا ! اركب جوادك ، واذهب إلى سستينو !

المنفى الأول : الحق ياسيدي أن جوادى متعب . لقد قطعت اثني عشر فرسخا في الليل ، ولا أريد أن أسرجه في هذه الساعة .

يسير : ما أنت إلا أحمق ! (إلى المنفى الآخر) اذهب أنت ! ستصرف خيرا منه !

المنفى الثاني : ليس الزميل مخطئا فيما يتعلق بفيليب . ولا شك في أن اسمه سيخدم القضية .

يسير : جبلاء ! سفهاء قد فقدوا عزائمهم ! إن من يخدمون القضية هم نساؤكم وأطفالكم الذين يموتون جوعا ! هل تسمعان ؟ إن اسم فيليب سيملاً أفواههم ولكنه لن يملاً بطونهم ! يالكم من خنازير !

المنفى الثاني : يستحيل التفاهم مع رجل فظ كهذا ! فلنرحل أيها الزميل !

يسير : غر أيها الوغد ! وقل لحلفائك إن ملك فرنسا يريدني ، إذا لم يكونوا يريدونني ، وأن يحذروا أن يجعل لي سلطاناً عليكم جميعاً !

المنفى الثاني : (إلى الآخر) فلنذهب للعشاء يا زميلي . لقد أعياني التعب مثلك (يخرجان) .

المشهد التاسع

ميسدان . في الليل

لورنزو : (يدخل) سأقول له إن الدافع إلى ذلك هو الحياء ، وأخذ المصباح . . . إن هذا يحدث دائماً . . . إن المتزوجة حديثاً ، على سبيل المثال ، تطلب ذلك من زوجها لتدخل مخدع الزوجية . وكاترينا مفروض أنها فاضلة للغاية . . البنت المسكينة ! من الفاضلة تحب الشمس إذا لم تكن هي ! لقد كان يمكن أن تموت أمسي بسبب هذا كله !

هكذا نتم كل شيء . صبراً ! إن ساعة من الزمان إنما هي ساعة لا تزيد ؛ وقد دقت الساعة الآن . وإذا أصريت رغم ذلك (١٩) ؟ . كلا ؛ لماذا ؟ أبعد المصباح إذا شئت . إنه شيء بسيط للغاية عندما تبيع امرأة نفسها أول مرة . . . أدخل إذن . وتدفاً قليلاً إذن . . . أوه ! نعم ؛ نزوة فتاة صغيرة لا غير ! . . وأي دافع إلى هذا الاغتياال يمكن تصديقه ؟ إنه يمكن أن يدهشهم ؛ حتى فيليب !

هذا أنت ، أيها الوجه الشاحب ! (يظهر القمر) لو كان الجمهوريون رجالاً ، فأى ثورة كانت خليقة بأن تقوم غداً في المدينة !

(١٩) في هذا الجزء الاول من المونولوج يتغير لورنزو مجيء الدوق ، وخطته لاطلام القرعة ، وما سيقوله الدوق ردا عليه ، الى جانب افكاره هو وتاملاته .

ولكن بدير ذو مطامع ، وآل روتشيلاي وحدهم
يساوون شيئاً . . . آه ! الكلمات ، الكلمات
والأقوال الأبدية ! شيء مضحك جداً في
الحقيقة ! . . أيتها الثرثرة البشرية ! أيها
القاتل الكبير للأجساد الميتة ! والمحطم الكبير
للأبواب المفتوحة ! أيها الإنسان العاجز !

كلا ، كلا ؛ لن آخذ المصباح . . سأنتجه
إلى القاب مباشرة . وسيرى نفسه مقتولاً .
وسيقف الناس غداً في النوافذ !

إلا أن يكون قد اتخذ لنفسه زرداً جديداً
أو درعاً ! اختراع ملعون ! لأهون على المرء
أن يصارع إلهاً أو شيطاناً . ولا يصارع خيوطاً
من حديد منسوجة بيد صانع الأسلحة القلرة !
سأدخل بعده . وسيضع سيفه هنا . . أو هنا . .
نعم ؛ فوق الأريكة . . أما حمالة السيف التي
تلتف حول المقبض فأمرها يسير . وإذا خطر
له أن يرقد في الفراش لكانت تلك هي الفرصة
الحقيقية ! راقداً أم جالساً أم واقفاً ؟ جالساً
بالحرى ! سأبدأ بالخروج . إن سكورونكونكولو
محبوس في غرفة المكتب . ثم تأتي بعد ذلك . .
تأتي ! ولكنني لا أريد أن يدير ظهره .
وسأذهب إليه مباشرة . آه ! اسكت ، اسكت !
توشك الساعة أن تحين . . . يجب أن أذهب
إلى حانة ما . إنني لا أدرك أن البرد يشملني ،

وسأفرغ قنينة من الخمر . كلا ؛ لا أريد أن
أشرب ! إلى أين أمضى ، إذن ؟ الحانات مغلقة !

أهـ فتاة فاضلة ؟ . . نعم ؛ في الحقيقة . .
في قميص نومها ؟ أوه ! كلا ، كلا ؛ لا أظن
ذلك ! أيتها المسكينة كاترينا ! لو ماتت أمي
من جراء هذا كله لكان شيئاً يدعو إلى الأسى !
ولو كنت ذكرت لها خطتي فماذا كنت
أسطيع أن أفعل ؟ لم يكن ذلك ليجعلها تستريح
بل كان حرياً بأن يجعلها تقول : « جريمة !
جريمة ! » حتى تلفظ النفس الأخير ! لا أدري
لماذا أسير ؟ إنني أسقط إعياء (يجلس على مقعد)
مسكين أنت ، يا فيليب ! ابنة جميلة كالنهار .
جلست بالقرب منها مرة واحدة ، تحت
شجرة الكستناء ، وكنت أرى يديها الصغيرتين
البيضاوين ولشد ما كان ذلك يؤثر في نفس
الإنسان ! كم من أيام قضيتها ، أنا نفسي ،
جالساً تحت الأشجار ! أواه ! يا له من هدوء !
ويا له من أفق في كافادجيولو ! لقد كانت
جانيت - ابنة البواب ، الصغيرة - جميلة ،
وهي تجفف غسيلها ! كيف كانت تطرد
الأغنام التي أخذت تسير فوق ثيابها المنشورة
على الحشائش ، وكانت العنزة البيضاء ترجع
دائماً بقوائمها الطويلة ، الرفيعة (تدق الساعة)
آه ! آه ! يجب أن أذهب إلى هناك . مساء الخير ،

يا حبيبي ! هيا . إذن . . اشرب نخبك مع
جومو . . هنيئاً ! لسوف يكون شيئاً طريفاً أن
يخطر له فيسألني : هل غرفتك منعزلة ؟ هل
يسمع الجيران شيئاً ؟ لسوف يكون شيئاً طريفاً !
آه ! لقد أعددنا لذلك عدته ! نعم ؛ إذا خطرت
له هذه الفكرة لكنت شيئاً يدعو إلى الضحك !

إنني أخطيء تقدير الوقت ، فما هو
إلا نصف الساعة ؟ ما هذا الضوء إذن ، تحت
ظلة الكنيسة ؟ إنهم ينحتون ، ويحركون
الأحجار . يبدو أن أولئك الرجال شجعان مع
الأحجار ! كيف يقطعون ، وكيف يدقون !
إنهم يصنعون تمثالاً للمسيح المصلوب . فبأية
شجاعة يسمرونه ! وددت أن يطبق جثمانهم
الرخامي على أعناقهم !

أوه ! ، أوه ! ما الحكاية ؟ إن بي رغبة
في الرقص لا تصدق ! وأعتقد أنني إذا تركت
نفسي على سجيتها لتوثبت كهصفور دوري
فوق أكوام الحجارة هذه كلها ، وفوق هذه
الكتل الخشبية كلها ! هيا ، يا حبيبي ! هيا ،
يا حبيبي ! البس قفازيك الحديدين وحللة
أحمل من هذه تمرالالا ! تعجل ، فالعروس
جميلة ! ولكنني أقولها لك في أذنك : احترس
من مدينتها الصغيرة !

المشهد العاشر

في قصر السدوق

الدوق « يتناول عشاءه » . جومو . يدخل الكاردينال تشييو

الكاردينال : احترس من لورنزو ، يا صاحب السمو !

السدوق : هذا أنت ، يا كاردينال ؟ اجلس إذن ، وخذ كأساً .

الكاردينال : احترس من لورنزو ، أيها الدوق ! لقد طلب مساء اليوم من الأسقف دي مارتسي أن يصرح له بالحصول على خيول للسفر هذه الليلة .

السدوق : هذا غير ممكن !

الكاردينال : لقد عرفته من الأسقف ذاته .

السدوق : أوه ! أقول لك إن عندي أسباباً تجعلني أعرف أن هذا غير ممكن .

الكاردينال : قد يكون إقناعي مستحيلاً . إنني أؤدي واجبي عندما أحذرک !

السدوق : ولو كان هذا صحيحاً ، فأني شيء مخيف تجده فيه ؟ لعله ذاهب إلى كافاد جيولو .

الكاردينال : إن ما يدعو إلى الخوف يا مولاي ، هو أنني قد رأيته بعيني ، في طريقى إلى هنا ، وهو يتوئب فوق الأنحشاب والأحجار كرجل—مجنون ! لقد ناديته . وأنا مضطر إلى الاعتراف

بأن نظراته قد أخافتني ! ثق أنه ينضج في رأسه خطة لهذه الليلة !

السدوق : ولماذا يكون في هذه الخطة خطر علي ؟

الكاردينال : هل ينبغي أن أقول كل شيء ، حتى ولو كنت أتكلم عن شخص أثير ؟ أعلم أنه قد قال هذا المساء علانية لشخصين من معارفي ، وهما في شرفتيهما ، إنه سيقترك الليلة !

السدوق : اشرب كأساً من الخمر إذن ، أيها الكاردينال . ألا تعلم أن رنزو يكون ثملاً عند غروب الشمس ؟ (يدخل سير موريتشه)

سير موريتشه : احترس من لورنزو ، يا صاحب السحر ! لقد قال لثلاثة من أصدقائي أنه يعتزم أن يقتلك الليلة !

السدوق : وأنت أيضاً ، يا موريتشه الشجاع ، تؤمن بالخرافات ! لقد كنت أعتقد أنك أكثر رجولة من هذا !

سير موريتشه : إن صاحب السمو يعرف إذا كنت أخاف بلا مبرر ! إنني أستطيع أن أبرهن على صدق ما أقول .

السدوق : إجلس إذن . واشرب نخبنا مع الكاردينال . ولن يسوءك أن أمضي إلى شئوني (يدخل لورنزو) حسناً ! هل حان الوقت يا نديمي ؟

لورنزو : سينتصف الليل بعد لحظة .

- السدوق : فليعطني أحد صداري المصنوع من جلد السمور
- لورنزو : فلنسرع . ربما كانت جميلتك الآن في مكان اللقاء !
- السدوق : أي قفازين ينبغي أن آخذ ؟ قفازي الحرب ، أم قفازي الحب ؟
- لورنزو : قفازي الحب ، يا صاحب السمو !
- السدوق : فليكن ! إنني أريد أن أكون عاشقاً مليحاً !
(يخرجان)
- سير موريتشه : ما قولك في هذا ، أيها الكاردينال ؟
- الكاردينال : فلتكن مشيئة الرب ، رغماً عن البشر
(يخرجان) .

المشهد الحادي عشر

غرفة نوم لورنزو

يدخل السدوق ولورنزو

- السدوق : إنني أرتعد . الجو بارد حقاً ! (يخلع سيفه)
أوه ! ماذا تفعل يا نديمي ؟
- لورنزو : إنني ألفت حمالتك حول سيفك ، وأضعه تحت وسادتك . يحسن أن يكون سلاح المرء تحت يده دائماً (يلف الحماله بطريقة تمنع خروج السيف من غمده)
- السدوق : إنك تعلم أنني لا أحب النساء اللواتي يثرثن .

وقد بلغنى أن كاترينا تجيد الكلام . سأبجأ إلى
الفراش حتى أتجنب الأحاديث . . بالمناسبة
لماذا طلبت خيولاً للسفر ، من الأسقف دى
مارتسي ؟

لورنزو : لكي أرى أخى ، فهو مريض جداً ، كما كتب
إلى .

السدوق : امض إذن ، واحضر خالتك .

لورنزو : في لحظة واحدة ! (يخرج)

السدوق : (وحده) إن مغازلة امرأة تجيبك بقولها :
« نعم » عندما تسألها الأيجاب أو النفي ، قد
كانت تلوح لي على الدوام حمقاً ، وشيئاً يليق
برجل فرنسي ، في الحقيقة ! واليوم بخاصة ،
وقد أكلتُ في العشاء ك ثلاثة من الرهبان ،
لا أستطيع أن أقول فقط « يا قلبى » أو « يا
مهجتى » للطفلة الأسبانية (٢٠) ! إننى أريد أن
أظهر بالنوم . قد يكون ذلك استعلاء ، ولكنه
سيكون مناسباً (يرقد . يعود لورنزو والسيف
في يده)

لورنزو : أنا ثم أنت ، يا سيدي ؟ (يطعنه)

السدوق : هذا أنت ، يا لورنزو ؟

(٢٠) تزوج الكساندر ابنة شارل الخامس عام ١٥٣٦ بعد تأجيل دام سنوات لصغر
سناها . وكان يحترها ويدلها تقديراً لاسرتها فقد كان الطموح دافعه إلى ذلك الزواج .

لورنزو : لا يراودك الشك في ذلك ، يا سيدي . (يطعنه
من جديد يدخل سكورونكونكولو)

سكورونكونكولو : هل انتهى ؟

لورنزو : أنظر ، لقد قضم إصبعي ! سأحتفظ حتى
الموت بهذا الخاتم الدامي . . هذه الماسة التي
لا تقدر !

سكورونكونكولو : آه ! يا إلهي ! إنه دوق فلورنسا !

لورنزو : (يجلس على حافة النافذة) ما أجمل الليلة !
وما أنقى الهواء ! تنفس ، تنفس أيها
القلب الذي مزقه الفرح !

سكورونكونكولو : تعال ، يا سيدي ؛ إن ما فعلناه كثير جداً !
فلنهرب !

لورنزو : ما أرق نسيم الليل ، وما أجمل عطره ! كيف
تتفتح أزهار المروج ! يا للطبيعة الرائعة !
يا للراحة الأبدية !

سكورونكونكولو : سيجمد الهواء على وجهك العرق الذي ينضح
به ! تعال يا سيدي !

لورنزو : آه ! يا إله الرحمة ! يا لها من لحظة !

سكورونكونكولو : (جانباً) إنه منشرح الصدر بشكل غريب !
أما أنا فأبادر بالرحيل ! (يريد أن يخرج)

لورنسزو : انتظر ، واجذب هذه الستائر . أعطني الآن
مفتاح هذه الغرفة .

سكورونكونكولو : عسى ألا يكون الجيران قد سمعوا شيئاً !

لورنسزو : ألا تذكر أنهم قد تعودوا ضجيجنا ؟ هيا بنا .
فلنرحل !

(يخرجان)



الفصل الخامس

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل فالورى وسير موريتشه وجويتشياردينى
(١) . جمهور من الحاشية يدور في أنحاء القاعة
وما يجاورها .

سير موريتشه : لم يعد جومو من مهمته ، وهذا يبعث على القلق
أكثر فأكثر !

جويتشياردينى : ها هو يدخل القاعة (يدخل جومو)

سير موريتشه : حسنا ! ماذا علمت ؟

جومو : لاشيء على الإطلاق ! (يخرج)

جويتشياردينى : إنه لا يريد أن يجيب . والكاردينال تشيبو يغلق
على نفسه مكتب الدوق ، وإليه وحده تصل
الأخبار (يدخل رسول آخر) حسنا ! هل
وجد الدوق ؟ هل يعرف أحد مصيره ؟

الرسول : لا أدرى (يدخل غرفة المكتب)

فالورى : إن اختفاءه هذا حدث رهيب ، أيها السادة !

(١) فرنسوا جويتشياردينى (١٤٨٣ - ١٥٤٠) مؤرخ وسياسى ، كان مستشارا
للبابا كليمنت السابع ، وقام بدور كبير فى انتخاب الكساندر ، وكان له نفوذ كبير
فى عهده ، كما كان له فضل فى انتخاب خلفه كوم دى مديتشى الا انه فقد مكانته
عنده ومات مغضوبا عليه .

ما من أخبار عن الدوق ! ألم تقل ، ياسير
موريتشه ، إنك قد رأيت مساء أمس ؟ ألم يكن
يبدو مريضا ؟ (يعود جومو)

جومو : (إلى سير موريتشه) أستطيع أن أقول لك الخبر
في أذنك . . . لقد قتل الدوق !

سير موريتشه : قتل ! من قتله ؟ أين وجدتموه ؟

جومو : حيث قلت لنا . في غرفة لورنزو .

سير موريتشه : آه ! هل يعرف الكاردينال ذلك ؟

جومو : نعم ؛ يا صاحب السعادة .

سير موريتشه : ماذا يعتزم أن يفعل ؟ ما العمل ؟ إن أفواج

الشعب تتجمع الآن أمام القصر ، ولقد ذاعت

هذه الحكاية البغيضة كلها . . والموت لنا إذا

تأكدت ! إنهم سيدبحوننا ! (خدام يحملون

براميل مملوءة بالخمير ، وأطعمة ، ويعبرون

مؤخرة المسرح)

جويتشيارديني : مامعنى هذا ؟ هل سيوزعون أطعمة على

الشعب (٢) ؟

(يدخل رجل من البلاط)

الرجل : هل ظهر الدوق ، أيها السادة ؟ هذا قريب

قد جاء من ألمانيا أخيرا ، وأريد أن أقدمه

(٢) الحقيقة مايقوله المؤرخ فاركي أنهم لم يوزعوا على الناس أطعمة بل نظموا لهم
مباريات في لعبة الأطراق Jeux de Bague وفيها يتناول الفرسان باطراف
سيوفهم أطواقا معلقة ، وهم يرمحون على ظهور الجياد !

إلى سموه . أرجو أن تنظروا إليه بعين الرضا !
جويتشيار ديني : أجبه ، ياسيد فالورى ! إننى لا أعرف ماذا أقول له !

فالورى : إن القاعة تمتلئ كل لحظة بهؤلاء القادمين للتحية ، منذ الصباح ! إنهم ينتظرون ، في هدوء ، أن يؤذن لهم في الدخول !

سير موريتشه : (إلى جومو) هل دفن هناك ؟

جومو : نعم ؛ يقينا . في قاعة الصلاة . ماذا نملك غير هذا ؟ لو علم الشعب بهذه الميتة لأدى ذلك إلى ميتات أخرى كثيرة ! ستعمل له جنازة عامة عندما يكون هناك وقت لذلك . وقد حملناه في ملاءة حتى ذلك الحين .

فالورى : أى شيء سيحدث لنا ؟

رجال كثيرون : (يقتربون) هل سيسمح لنا بأن نقدم فصوص الولاء إلى صاحب السمو عما قريب ؟ مارأيكم أيها السادة ؟ (يدخل الكاردينال (تشيبو)

دينال : نعم ، أيها السادة ، يمكنكم أن تدخلوا بعد في ساعة أو ساعتين . لقد أمضى الدوق الليل حفل تنكرى ، وهو يستريح الآن (خدام يعلقون ملابس تنكرية في النوافذ)

رجال الحاشية : فلننصرف . لا يزال الدوق نائما . لقد أمضى الليلة في الحفل الراقص (ينسحب رجال الحاشية . يدخل « الثمانية »)

نيكوليلى : حسنا ! هل تقرر شىء ، أيها الكاردينال ؟

الكاردينال : (٣) Primo avulso, non de ficit alter
Aureus, et simili frondescit viraga metallo

(يخرج)

نيكوليلى : شىء بديع ؛ ولكن ، من الموجود فعلا ؟ لقد مات الدوق ، ولا بد من انتخاب غيره ، وبأسرع ما نستطيع ! وإذا لم يكن لنا دوق هذه الليلة — أو غدا — كانت هذه نهايتنا ! إن الشعب ، في هذه اللحظة ، كالماء الذى يوشك على الغليان !

فيتورى : إننى أقترح أوكتافيان دى مديتشى .

كابونى : لماذا ؟ إنه ليس قريبا من الدرجة الأولى .

أتشيابولى : ولو أخذنا الكاردينال ؟

سير موريتشه : هل تمزح ؟

روتشيللى : لماذا لا تأخذون الكاردينال حقا ، وأنتم تتيحون له أن يجعل من نفسه قاضيا أوحد في هذه المسألة ، رغم جميع القوانين ؟

فيتورى : إنه رجل قادر على أن يحسن علاجها .

روتشيللى : فليحصل على أمر بذلك من البابا .

(٣) بيت لاتينى من الشعر قاله فرجيل فى الانياده ، وترجمته : « عندما يقطع غصن لايلبث أن ينبت غصن ذهبى آخر تكسوه أوراق من نفس المعدن » ويعنى المتكلم انهم لن يجدوا صعوبة فى اختيار دوق جديد من نفس العائلة أو من أسرة مالكة اخرى كالبوربون مثلا .

فيتورى : لقد فعل هذا . وقد أرسل البابا موافقته بواسطة رسول كان الكاردينال قد بعث به إليه ليلا .

روتشيلاي : تعنى مع طائر ، من غير شك ؛ فالرسول ينبغى أن يأخذ وقتا في الذهاب ، قبل أن يجد وقتا للأياب ! هل تعتبرنا أطفالا ؟

كانيجياتى : (يقترب) إليكم مانفعله ، إذا وثقتم بى ، أيها السادة : ننتخب جوليان ، ابنه (٤) غير الشرعى دوقا لفلورنسا .

روتشيلاي : مرحى ! طفل في الخامسة ! أليس في الخامسة من عمره يا كانيجياتى ؟

جويتشياردينى : (بصوت خفيض) ألا ترون من يقف وراء ذلك ؟ إنه الكاردينال الذى يضع في رأسه هذا الاقتراح السخيف ! وسوف يكون تشيبو وصيا أما الطفل فيأكل كعكا !

روتشيلاي : شىء مخجل ! سأخرج من هذه القاعة إذا أصررتم على مثل هذه الأقوال ! (يدخل كورسى)

كورسى : لقد كتب الكاردينال الآن إلى كوم دى مديتشى أيها السادة .

الثمانية : دون أن يستشيرنا ؟

كورسى : لقد كتب الكاردينال أيضا إلى بيزا (٥) ،

(٤) ابن الكسانلى .

(٥) مدينة ايطالية على نهر الارنو ، مشهورة بكنيستها وبرجها المائل ومقابر عظمائها - الكامبو سانتو - وهي موطن العالم جاليلو .

وأريدزو (٦) ، وبستوا (٧) ، وإلى القادة
العسكريين . وسيكون جاك دى مديتشي هنا
غدا ، مع أكبر عدد ممكن من الناس .
وألксандр فيتيللى (٨) في القلعة الآن مع الحرس
كله . أما لورنزو فقد رحل للحاق به ثلاثة من
الرسل .

روتشيللى : فليجعل كاردينالك من نفسه دوقا على التو ،
وسوف يتم ذلك في أسرع وقت ممكن !

كورسى : لقد طلب إلى أن أرجوكم أن ترشحوا كوم
دى مديتشي كحاكم مؤقت للجمهورية الفلورنسية .

جومو : (إلى خدم يعبرون القاعة) افرشوا رملا حول
الباب ، ولا تدخروا من الخمر أكثر من بقية
الأشياء !

روتشيللى : أيها الشعب المسكين ! أى غر ، أبله ، يجعلون
منك !

فيتورى : إن كوم في الواقع هو صاحب الحق الأول بعد
ألксندر . إنه أقرب الناس إليه .

أتشبايولى : أى رجل هذا ؟ إن معرفتى به قليلة للغاية .

كورسى : إنه خير أمير في الدنيا !

جويتشياردينى : مهلا ، مهلا ؛ ليس هكذا تماما ! ولو قلت

(٦) مدينة ايطالية على نهر الأرنو ، وهى موطن القائد ميسينا والشاعر بترارك .

(٧) مدينة ايطالية هزم فيها الثائر كاتيلينا واعدى فى عام ٦٣ ق م .

(٨) كان فيتيللى قائدا للجنود الماجورين لعائلة مديتشي .

إنه أكثر الأمراء إسهاباً في الكلام (٩)، وأكثرهم أدباً ، لكنك أقرب إلى الصواب .

سير موريتشه : أصواتكم يا سادة !
روتشيلاي : إنني أعترض على هذا الانتخاب رسمياً ، وباسم جميع المواطنين !
فيتوري : لماذا ؟

روتشيلاي : لم تعد الجمهورية في حاجة إلى أمراء أو دوقات أو سادة ! هذا رأيي ! (يشير إلى بطاقته البيضاء)

فيتوري : ليس لك إلا صوت واحد . سنستغنى عنك !
روتشيلاي : وداعاً ، إذن ! إنني أغسل يدي من هذه المسألة !

جويتشارديني : (يجري وراءه) أوه ! يا إلهي ! إنك يا باللا عنيف للغاية !

روتشيلاي : دعني ! إن اثنين وستين عاماً قد مضت من عمري ، ولا تستطيعون أن تلحقوا بي أذى كبيراً بعد الآن ! (يخرج)

نيكوليني : أصواتكم يا سادة (يفرز البطاقات التي ألقيت في قبة) هنالك إجماع في الرأي . هل رحل الرسول إلى ترييسو ؟

كورسي : نعم ؛ يا صاحب السعادة . سيكون كوم هنا في صبيحة الغد ، إذا لم يرفض ؟

(٩) انظر أيضاً حديث الصائغ في المشهد الرابع من هذا الفصل .

فيتتورى : ولماذا يرفض ؟

نيكوليسى : آه ! يا الهى ! ماذا يكون مصيرنا اذا رفض ؟

ان يوما كاملا يضيع من قطع خمسة عشر فرسخا
من هنا الى تريبيو ، حيث يوجد كوم ، ومثلها
في العودة ! لقد كان ينبغى أن نختار واحدا
أقرب إلينا من ذلك !

فيتتورى : ماذا تريد ؟ لقد أدلينا بأصواتنا ، ويحتمل أن
يصل ، ان هذا كله يسبب الدوار ! (يخرجون)

المشهد الثانى

في فينتسيا

فيليب ستروتسى : (في مكتبه) لقد كنت متأكدا من ذلك . إن

بيير متصل بملك فرنسا . وها هو ذا يقف على
رأس جيش ، متأهبا لاحتراق المدينة ، وإغراقها
في بحر من الدماء ! وهذا إذن ماسيفعله اسم
ستروتسى ، هذا الاسم المنكود الذى كان موضعاً
للاحترام أمدا طويلا ! ويكون قد أنجب رجلا
متمردا ، وتسبب في مذبة أو مذبحتين !
ياعزيزتى لويزه ! إنك ترقدين في سلام تحت
العشب ، ونسيان العالم كله حولك ، وفيك ؛
هنالك حيث تركتك في أعماق الوادى الحزين !
(طرق على الباب) ادخل (يدخل لورنزو)

لورنزو : فيليب ! إننى أحمل إليك أجمل جوهرة
لتاجك !

- فيليب : ما هذا الشيء الذى تلقى به عندك ؟ مفتاح ؟ ...
- لورنزو : هذا المفتاح يفتح غرفتى . وفي غرفتى ألكساندر
دى مديتشى مقتولا بهذه اليد !
- فيليب : حقا ! حقا ! إنه شيء لا يصدق !
- لورنزو : صدقه إذا سمحت . ستعرفه من آخرين غيرى .
- فيليب : (يأخذ المفتاح) ألكساندر قد مات ! أهذا
ممکن ؟
- لورنزو : ماذا تقول إذا عرض عليك الجمهوريون أن
تكون دوقا في مكانه ؟
- فيليب : سأرفض يا صديقى .
- لورنزو : حقا ! حقا ! إنه شيء لا يصدق !
- فيليب : لماذا ؟ إنه شيء بسيط جدا بالقياس إلى .
- لورنزو : كما أنه شيء بسيط جدا بالقياس إلى أن أقتل
ألكساندر ! لماذا لا تريد أن تصدقنى ؟
- فيليب : يا بروتسنا الحديد ! إننى أصدقك ، وأقبلك !
لقد كتبت النجاة للحرية إذن ! نعم ؛ إننى
أصدقك . وأنت كما قلت لى . اعطنى يدك .
لقد مات الدوق ! آه ! مامن كراهية في غبطتى ؛
مامن شيء غير الحب الأطهر ، والأقدس ،
للوطن ؛ والله شهيدى على ذلك !
- لورنزو : اهـداً ! لم تكتب النجاة لأحد غيرى ، أنا
الذى قصمت ظهره خيول الأسقف دى مارتسى !

فيليب : ألم تخبر أصدقاءنا ؟ أليست سيوفهم في أيديهم ،
في هذه الساعة ؟

لورنزو : لقد أخبرتهم ! لقد قرعت جميع أبواب
الجمهورين بالحاح أخ من يجمعون الصدقات !
لقد طلبت اليهم أن يصفلوا سيوفهم ؛ وقلت لهم
إن ألكساندر سيكون قد مات عندما يستيقظون
من نومهم ! وأعتقد أنهم - حتى هذه الساعة -
قد استيقظوا أكثر من مرة ، وعادوا إلى النوم
بنفس المقدار ! ولكنني في الحقيقة لا أنتظر
شيئا آخر !

فيليب : هل أخبرت عائلة باتسي ؟ هل قلت هــذا
لكورسيني ؟

لورنزو : لاخلق كافة . وأعتقد أنني كنت أقوله للقمر ،
فقد كنت واثقا بأن أحدا لا يصغي إلي !

فيليب : ماذا تعني ؟

لورنزو : أعني أنهم قد هزوا أكتفاهم ، وأنهم قد
عادوا إلى موائلهم ، وأقماع نردهم ،
ونسائهم !

فيليب : ألم توضح لهم المسألة إذن ؟

لورنزو : ماذا تريدني أن أوضح ؟ هل تعتقد أنني
كنت أملك ساعة واحدة أستطيع أن أضيئها
مع كل واحد منهم ؟ لقد قلت لهم :
« استعدوا » وضربت ضربتي !

فيليب : وهل تعتقد أن آلي باتسي لا يفعلون شيئاً ؟ ماذا تعرف عن ذلك ؟ إنك لم تتلق أنباء منذ رحيلك ، وقد قضيت أياماً كثيرة في الطريق .

لورنزو : أعتقد أن آل باتسي يفعلون شيئاً . أعتقد أنهم يلعبون بالسيف في غرفتهم الجانبية وهم يشربون خمر الجنوب من آن لآخر عندما تجف حلوقهم

فيليب : إنك تحافظ على رهائك . ألم ترد أن تراهني على هذا الذي تقوله لي ؟ كن مطمئناً . إن عندي أملاً أقوى من ذلك .

لورنزو : إنني أكثر اطمئناناً مما أستطيع أن أقول .

فيليب : لماذا لم تخرج ورأس الدوق في يدك ؟ لقد كان الشعب حرياً بأن يتبعك باعتبارك منقذه ، وقائده .

لورنزو : لقد تركت الوعل للكلاب ! فليصنعوا الوليمة بأنفسهم !

فيليب : لقد كنت خليقاً بأن تمجد الناس إذا لم تكن تحتقرهم .

لورنزو : إنني لا أحتقرهم على الإطلاق . إنني أعرفهم . إنني جدد مقتنع بأن هناك القليلين جداً ممن يوغلون في الشر ، والكثيرين من الجبناء ، وعدداً كبيراً من غير المكثرئين . وهناك أيضاً متوحشون ، كسكان بستوا (١٠) .

(١٠) لقد كانت بستوا تحت حكم الفلورنسيين إلا أن السيطرة عليها كانت قصيرة .

وجدوا في هذه المسألة فرصة صغيرة للذبح
قضاتهم جميعاً في وضوح النهار ، وفي منتصف
الشوارع ! لقد عرفت هذا منذ أقل من ساعة
واحدة !

فيليب : إننى مفعم بالسرور والأمل . وإن قلبى ليخفق
رغماً عنى .

لورنزو : هذا خير لك !

فيليب : ما دمت لا تعرف شيئاً ، فلماذا تتكلم بهذه
الطريقة ؟ ليس جميع البشر بقادرين على
الأشياء الكبيرة ، بالتأكيد . ولكنهم جميعاً
يشعرون بالأشياء الكبيرة . هل تنكر تاريخ
العالم كله ؟ إن احراق غابة يحتاج إلى شرارة
من غير شك . ولكن الشرارة يمكن أن تخرج
من حصاة فتشتعل النار في الغابة ! وهكذا
يستطيع لمعان سيف واحد أن يضيء جيلاً
بأسره ! .

لورنزو : إننى لا أنكر التاريخ ، ولكننى لم أكن فيه .

فيليب : فلتسمح لي بأن أدعوك بروتس ! وإذا كنت
أحلم فدع لي هذا الحلم ! يا أصدقائي ،
ومواطني ! هل تستطيعون أن تجهزوا فراش
موت جميلاً لستروتسي العجوز ، إذا سمحتم ؟

لورنزو : لماذا تفتح النافذة ؟

فيليب : ألا ترى رسولاً مقبلاً ؟ يا عزيزي بروتس !

يا عزيزي لورنزو العظيم ! إن الحرية أشرقت
في السماء ! إنني أحس بها ، وأستنشقها !

لورنزو : فيليب ! فيليب ! ليس هناك شيء من ذلك ،
فاغلق النافذة ، إن هذا الكلام كله يؤلمني !

فيليب : يلوح لي أن جمهرة من الناس في الطريق . إن
منادياً يقرأ إعلاناً (ينادى) جان ! اذهب
واشتر الصحيفة من هذا المنادي .

لورنزو : رباه ! رباه !

فيليب : لقد صرت شاحب الوجه كرجل ميت ! ماذا
بك ؟

لورنزو : ألم تفهم شيئاً ؟ (يدخل خادماً وهو يحمل
الإعلان)

فيليب : نعم ؛ اقرأ إذن هذه الصحيفة التي ينادون
عليها في الطريق .

لورنزو : (يقرأ) « يتعهد مجلس الثمانية في فلورنسا لأي
رجل من النبلاء أم من عامة الشعب ، يقتل
لورنزو دي مديتشي — خائن الوطن ، وقاتل
سيده — في أي مكان ، وبأي طريقة كانت ،
على أرض إيطاليا كلها ، بما يأتي : » — أربعة
آلاف فلورين ذهبي كل عام ؛ له في حياته ،
ولو ارثيه الشرعيين بعد موته ؛ ٢ — إيراد ثابت
قدره مائة فلورين ذهبي كل عام ؛ له في حياته
ولو ارثيه الشرعيين بعد موته ؛ ٣ — التصريح

بممارسة جميع الأعمال الإدارية ، والتمتع
بجميع الفوائد والامتيازات التي تتيحها له الدولة
رغم مولده إذا كان من العامة ؛ ٤- عفو دائم
عن جميع أخطائه الماضية والمستقبلية ؛ العادية ،
وغير العادية « (١١) .

« موقع بأيدي الثمانية »

ما رأيك يا فيليب ؟ ! إنك لم تكن تريد أن
تصدق منذ قليل أنني قد قتلت ألكساندر ؟
هأنت ترى جيداً أنني قد قتلته !

فيليب : اسكت ! إن أحداً يصعد الدرج ! اختبئ في
هذه الغرفة !

(يخرجان)

المشهد الثالث

فلورنسا . طريق

يدخل رجلان

الرجل الأول : أليس هذا هو الماركيز تشيو ، الذي يسير
هناك ؟ يلوح لي أنه يقدم ذراعه إلى زوجته (يمر
الماركيز والماركييزة)

الرجل الثاني : يبدو أن هذا الماركيز الطيب ليس ذا طبع
حقود ! من لا يعرف في فلورنسا أن زوجته
قد كانت عشيقة الدوق الراحل ؟

(١١) هذا ملخص النص الأصلي الطويل الذي أعلن في ٢٤ أبريل عام ١٥٣٧ .

الرجل الأول : يبدو أنهما قد تصالحا ! أعتقد أنني قد رأيتهما يتصافحان .

الرجل الثاني : إنه جوهرة الأزواج ، في الحقيقة ! عندما يبتلع الرجل هكذا حية بطول نهر الآرنو ، يقال إن له معدة جيدة !

الرجل الأول : أعرف أنه شيء يرغب على الكلام . . ولكنني لا أنصحك بأن توجه إليه الحديث ! إنه مقاتل من الدرجة الأولى ، بجميع الأسلحة ، وصناع الأهاجي يخشون رائحة بستانه !

الرجل الثاني : إذا كان رجلاً شاذاً ، فليس هنالك ما يقال .
(يخرجان)

المشهد الرابع

فندق

يدخل بير ستروتي ورسول

بير : أهذه كلماته هو ؟

الرسول : نعم ؛ يا صاحب السعادة . إنها كلمات الملك نفسه .

بير : حسناً (يخرج الرسول) أن يحمي ملك فرنسا حرية إيطاليا ، فهذا بالضبط كان يحمي أحد اللصوص امرأة جميلة ، في سفر ، من لص آخر ! إنه يذود عنها حتى يغتصبها ! مهما يكن من أمر ، فإن طريقاً يفتح أمامي ، وفيه

من حبات القمح الطيبة أكثر مما فيه من
التراب ! اللعنة على لورنزو ، هذا الذي يريد
أن يصبح شيئاً ! إن انتقامي قد جعلني أنسل بين
الأصابع كطير شارد ، ولم أعد أستطيع أن
أتخيل هنا شيئاً يليق بي ! فلنقم بهجمة قوية
على المدينة ، ثم نترك هناك أولئك الضعاف
الذين لا يفكرون إلا في اسم أبي ، والذين
يقيسونني طول النهار ليعرفوا من أي جانب
أشبهه ! لقد ولدت لشيء آخر غير أن أكون
زعيماً للصوص ! (يخرج)

المشهد الخامس

ميدان . فلورنسا

الصائغ ، وتاجر الحرير « جالسين »

التاجر : الحظ ما أقوله جيداً ، وانتبه إلى كلامي . لقد
قتل الدوق الراحل في عام ١٥٣٦ (١٢) وهو
العام الذي نحن فيه . تابعني باستمرار . لقد
قتل إذن في عام ١٥٣٦ . انتهينا من ذلك . وكان
عمره ستة وعشرين عاماً — هل تلاحظ هذا ؟
ولكن هذا لا يهم أيضاً . لقد كان عمره ستة
وعشرين عاماً إذن . وقد مات في اليوم السادس

(١٢) كان مقتل الكساندر في السادس من يناير عام ١٥٣٧ ولكن السنة كانت تنتهي—
حتى عام ١٥٦٤ — في عيد الفصح (بين ٢٢ مارس ، و ١٥ ابريل) ومن ثم كانت
الأشهر الأولى من عام ١٥٣٧ تعتبر داخله في عام ١٥٣٦ .

من الشهر (١٣) . نعم ! نعم ! هل كنت تعرف هذا ؟ ألم يكن موته في اليوم السادس بالضبط ؟ اسمع الآن : لقد مات في الساعة السادسة من الليل (١٤) ! ما رأيك في هذا أيها الأب مونديللا ؟ إنه شيء غريب ، وإلا كنت لا أعرف شيئاً . لقد مات إذن في الساعة السادسة من الليل . انتظر ! لا تقل شيئاً . لقد كانت به جروح ستة ! ما رأيك ؟ هل يدهشك ذلك الآن ؟ لقد أصيب بستة جروح ، في الساعة السادسة ليلاً ، في اليوم السادس من الشهر ، في السادسة والعشرين من العمر ، في عام ١٥٣٦ ! بقيت الآن كلمة واحدة : لقد حكم ستة أعوام !

الصائغ : ما هذا الهراء الذي تقوله لي يا عزيزي ؟
التاجر : كيف ! كيف ! هل أنت عاجز عن الحساب عجزاً مطلقاً ؟ ألا ترى ما يترتب على هذه الاتفاقات الخارقة التي تشرفت بتوضيحها لك ؟
الصائغ : نعم ؛ في الحقيقة . إنني لا أرى ما يترتب على ذلك !
التاجر : أنت لا تراه ؟ أمكن يا عزيزي ألا تراه ؟

(١٣) أورد فاركي هذه الملاحظة في «تاريخ فلورنسا» وسبقه إلى مثلها تاسيت في «الحوليات» عند حديثه عن حرق روما بيد الطاغية نيرون ، فقد ذكر اعتقاد العامة بأن ٤١٨ سنة و ٤١٨ شهراً و ٤١٨ يوماً تفصل بين هذا الحريق والحريق الذي سبقه ، وكانوا يريدون أن يبرهنوا بذلك على تدخل الآلهة في مثل هذه الحوادث .

(١٤) أي في منتصف الليل .

الصائغ

: لست أرى أن أقل شيء يترتب عليه ! في أي شيء يمكن أن يفيدنا ذلك ؟

التاجر

: يترتب على ذلك أن ست « ستات » قد أسهمت في موت ألكساندر ! شش ! لا تردد ذلك منسوباً إلى . أنت تعلم أنني أعد رجلاً عاقلاً وحذراً ، فلا تسيء إلى ، بحق جميع القديسين ! المسألة أخطر مما نظن ، وأنا أقول لك هذا باعتبارك صديقاً .

الصائغ

: إليك عني ! إنني رجل هرم ولكنني لست امرأة هرمة أيضاً ! إن كوم سيصل اليوم ، وهذا أوضح شيء يترتب على الحادث الذي نحن بصددده ! لقد دُفِعَ إلينا بمنق جيد للكلام ، في ليلتك ذات الست « ستات » ! أواه ! يا للدمار ! ألا يدعو ذلك إلى الحجل ؟ عمالي ، يا عزيزي ، آخر عمالي ، كانوا يدقون بأدواتهم على المناضد عندما يرون « الثمانية » مارين ، ويصرخون فيهم قائلين : « إذا كنتم لا تعرفون ولا تستطيعون أن تعملوا فاطلبونا ونحن نعمل » !

التاجر

: لم يصرخ غير عمالك . وفي المدينة طنين لم أسمع مثله يوماً حتى عن طريق الأشاعة !

الصائغ

: البعض يجري وراء الجنود . والبعض الآخر يجري وراء الخمر التي توزع . إنهم يملثون بهم - أفواههم ، ورءوسهم ، حتى يفقدوا الشيء

القليل من الادراك الحسن ، والقول السديد
الذى يمكن أن يبقى لهم !

التاجر : إن هناك من كانوا يريدون أن يعيدوا تأسيس
المجلس ، ويختاروا مديرا للبلدية بالانتخاب
الحر ، كما كان يحدث في الماضي .

الصانع : هناك من كانوا يريدون ، كما تقول . ولكن ؛
ليس هناك من كانوا يعملون ! لقد كنت -
أنا ، الشيخ الهرم - في « السوق الحديد » وتلقيت
ضربة رمح قوية في ساقى ، ولم يأت أحد
لنجدتى ! التلاميذ وحدهم هم الذين ظهروا .

التاجر : أصدق هذا تماما . هل تعرف ما يقال ،
ياعزيزى ؟ يقال إن حاكم القلعة ، روبرتسو
كورسنى ، قد ذهب مساء أمس إلى اجتماع
الجمهوريين في قصر سالفياتى .

الصانع : ليس هناك أصدق من هذا القول . لقد عرض
أن يسلم القلعة إلى أصدقاء الحرية ، مع المئونة
والمفاتيح والباقي جميعه .

التاجر : وهل فعلها ياعزيزى ؟ هل فعلها ؟ إنها خيانة
عظمى !

الصانع : نعم ! لقد تصايحوا ، وشربوا النبيذ الخلو ،
وهشموا زجاج النوافذ . ولكن اقترح هذا
الرجل الشجاع لم يحظ بمجرد السماع ! ولأنهم
لم يجدوا الجرأة على أن يفعلوا ما كان يريد ،

فقد قالوا إنهم يرتابون فيه ، وإنهم يخشون.
ألا يكون صادقا فيما يعرضه عليهم ! ألف مليون.
لعنة ! إننى أخدم غيظا ! انظر ؛ ها هم رسل
تريبو قد جاءوا ، وليس كوم ببعيد من هنا .
طابت ليلتك يا عزيزى ؛ إن دمي يغلى ! يجب
أن أذهب إلى القصر !

(يخرج)

التاجر : انتظر إذن ، يا عزيزى ؛ سأذهب معك

(يخرج)

(يدخل معلم مع سالفياتى الصغير ، ومعلم
آخر مع ستروتسى الصغير)

المعلم الأول : (١٥) ؛ Sapientissime doctor كيف حال
سيادتك ؟ وكتر صحتك الغالية ، هل تراه.
بخير ؛ وهل تحتفظ باتزان مناسب في هذه
العواصف التى نحن فيها ؟

المعلم الثانى : إن لقاء حافلا بالعلم ، وثمرات المعرفة ، كلقائك.
على هذه الأرض المضطربة ، المتصدعة ، لهو
شئ خطير ياسيدى الدكتور ! اسمح لى بأن
أشدد على هذه اليد الهائلة التى خرجت منها
روائع لغتنا ! ولتعترف بأنك قد كتبت قصيدة
منذ وقت قريب .

سالفياتى الصغير : أيها الوغد ستروتسى !

(١٥) جملة ايطالية معناها : أيها الدكتور العلامة .

ستروتسى الصغير : لقد ضرب أبوك ياسالفياتى !

المعلم الأول : هل تطاولت حتى وصلت إليك هذه التنفة

الصغيرة التى عابثنى بها ربنا ، وأنت الفنان
المدقق ، الكبير ، الصارم فى أحكامه ؟ هل
قبلت عينان كعينيك ، تجوبان آفاقا موشاة ،
ومتألقة ، أن تلتفتا إلى أبخرة قد تكون غريبة .
وجريئة ، من صنع خيال متعدد الألوان ؟

المعلم الثانى : أوه ! إذا كنت تحب الفن ، وإذا كنت تحبنا ،

فاتل علينا قصيدتك ، من فضلك ! إن المدينة
لاهم لها سوى قصيدتك !

المعلم الأول : لعلك ستدهش ، إذ يبدو لك أنى ، وقد كنت

أتغنى بالملكية فى أول الأمر ، على نحو ما ،
أتغنى بالجمهوريه هذه المرة !

سالفياتى الصغير : لا تركلنى بقدمك ، ياستروتسى !

ستروتسى الصغير : خذ أيها السالفياتى الكلب ؛ خذ ركلتين أيضا !

المعلم الأول : هذه أبيات القصيدة :

فلنحتفل بالحرية التى عادت ترعرع أشد
اقتدارا

سالفياتى الصغير : دع هذا الولد الشقى يسكت ، ياسيدى . إنه
سفاح . وآل ستروتسى جميعهم سفاحون !

المعلم الثانى : أنت ، أيها الصغير ! التزم الهدوء !

ستروتسى الصغير : هل تعود إلى ذلك خفية ! خذ ! احمل هذه
إلى أبيك أيها الوغد ، وقل له أن يضعها مع الجرح

البليغ الذى أصابه من بير ستروتسى ، أيها القاتل
بالسم ! إنكم قاتلون بالسم جميعا !

المعلم الأول : اسكت يا عديم الحياء ! (يضربه)

ستروتسى الصغير : أى ! آى ! لقد ضربنى !

المعلم الأول : فلنحتفل بالحرية التى عادت تترعرع أشد
اقتدارا تحت شمس أشد حرارة ، وسماء
أشد احمرارا

ستروتسى الصغير : آى ! آى ! لقد سلخ أذنى !

المعلم الثانى : لقد ضربته بشدة يا صديقى (ستروتسى الصغير
يضرب سا لفياتى الصغير)

المعلم الأول : وبعد ؟ ما معنى ذلك ؟

المعلم الثانى : أرجوك أن تستمر .

المعلم الأول : بسرور . ولكن هذين الطفلين لا يكفان عن العراك .
(يخرج الطفلان وهما يتعاركان . يتبعانها)

المشهد السادس (١٦)

فينتسيا . غرفة مكتب ستروتسى

فيليب . لورنزو « ممسكا برسالة »

أورنزو : هذه رسالة تخبرنى بأن أمى قد ماتت ! تعال
إذن نقم بجولة يا فيليب .

(١٦) فى هذا المشهد لا يلتزم موسيه الدقة التاريخية التى التزمها قبل ذلك . فلقد
قتل لورنزو بعد خروجه من القداس فى يوم الأحد ٢٦ فبراير ١٥٤٨ . وقد عاشت
أمه زمنا بعد وفاته . وكان تشييد جسر الريالتو بعد وفاته أيضا بثمانية وأربعين
عاما . أى فى عام ١٥٩٢ .

فيليب : أرجوك يا صديقي ، لا تجرب القدر ! إنك
تروح وتغدو باستمرار كأن إعلان الموت هذا
ليس له وجود !

أورنزو : في اللحظة التي كنت ذاهبا فيها لأقتل كليمنت
السابع ، كان قد وضع لرأسى ثمن في روما .
وطبيعي أن يكون له ثمن في إيطاليا كلها اليوم ،
بعد أن قتلت ألكساندر ، فإذا خرجت من
إيطاليا تردد اسمي على صوت النفير في أوربا
كلها . وعند موتى لن يفوت الإله الطيب أن
يأمر بإعلان لعنتى الأبدية في جميع منساق
الانهاية !

فيليب : إن مزاحك حزين كالليل ! إنك لم تتغير
يالورنزو !

أورنزو : نعم ، في الحقيقة . إننى أرتدى نفس الثياب ،
وأسير دائما على ساقى وأتشاءب بقمي . ولم يتغير
فيّ إلا شيء تافه ، وهو أننى قد صرت أجوف ،
خاويا ، أكثر من تمثال من الصفيح !

فيليب : فلنبدا معا . ولتعد رجلا من جديد . لقد فعلت
الشيء الكثير ولكنك شاب صغير .

لورنزو : إننى أكبر من أبى جدد ساتورن (١٧) ! أرجوك :
تعال نقم بحسولة .

فيليب : إن روحك تتعذب في حالة السكون ؛ ومن هنا

(١٧) هو كرونوس ، رب الزمان ، وأبو جوبيتر كبير الآلهة .

كانت تعاستك . إن لك أخطاء يا صديقي .

لورنسزو : أوافق على ذلك . وإذا كان الجمهوريون لم يفعلوا شيئاً من أجل فلورنسا ، فهذا خطأ كبير من جانبي . إن مائة طالب صغير ، ذوى شجاعة وعزم ، قد قتلوا بغير طائل ! وكوم ، زارع الكرنب ، ينتخب بالأجماع ! نعم ! إنني أعترف ، إنني أعترف بأنهم أخطاء لا تغتفر ، وأنها تسييء إلى أساءة كبرى !

فيليب : دعنا لا نناقش حادثاً لم يتم . المهم أن تخرج من إيطاليا . إن دورك لم ينته بعد على الأرض .

لورنسزو : لقد لحت آلة للاغتيال ، ولكن ؛ لا اغتيال واحد فحسب .

فيليب : ألم يكن يسعدك هذا الاغتيال ؟ وحيث أنك لن تكون منذ الآن إلا رجلاً شريفاً ، فلماذا تريد أن تموت ؟

لورنسزو : لا أستطيع إلا أن أكرر ماقلته : لقد كنت رجلاً شريفاً ، يا فيليب ! وقد أعود رجلاً شريفاً ، وأخلو من السأم الذي يملكني ! إنني لا زلت أحب الخمر والنساء . وهذا يكفي حقيقة لي جعلني مني رجلاً فاسقاً ، ولكنه لا يكفي لي جعلني أرغب في أن أكونه . لنخرج ، أرجوك !

فيليب : ستقضي على نفسك بالقتل ، في جولائك هذه كلها ؟

لورنزو

: إن رؤيتهم تسلينى . إن الجائزة كبيرة إلى الحد
الذى يجعلهم أشبه بالشجعان ! ولقد تعقبنى
بالأمس وغد ضخم الجثة ، عارى الساقين ،
ربع ساعة بأكمله ، على حافة النهر دون أن
يستطيع أن يحسم أمره ويقتلنى ! لقد كان المسكين
يحمل سكيناً طويلة كالسفود . وكان ينظر إليها
في ذلة جعلتنى أشفق عليه ، فلعله قد كان أباً
لعائلة تموت جوعاً !

فيليب

: لورنزو ! لورنزو ! إن قلبك مريض جداً !
لقد كان شريفاً من غير شك . لماذا تعزو
إلى جبن الناس احترامهم لمن ساءت حظوظهم ؟

لورنزو

: تستطيع أن تعزو ذلك إلى ماشيت . سأقوم
بجولة فوق الريالتو (يخرج)

فيليب

: (وحده) يجب أن أجعل واحداً من خدمى
يتبعه . أنتم ، هناك ! جان ! بيبو ! ياهؤلاء !
(يدخل خادم) خذ سيفاً ، أذت وواحد آخر
من زملائك ، وابقوا على مسافة مناسبة من السيد
لورنزو بحيث تستطيعان إغاثته إذا هاجمه أحد .

جون

: نعم ؛ ياسيدى (يدخل بيبو)

بيبو

: لقد مات لورنزو ، ياسيدى ! لقد كان رجل
مختبئاً وراء الباب وطعنه من الخلف وهو خارج .

فيليب

: انطلقوا سريعاً ! لعله جريح لا غير !

بيبو

: ألا ترى كل هذا الزحام ؟ لقد انقض عليه

الناس ! يا إله الرحمة ! إنهم يلقون به في
البحيرة !

فيليب : يا للفضاعة ! يا للفضاعة ! ماهذا ! ما من قبر
أيضا ؟ !

المشهد السابع

فلورنسا . الميدان الكبير . شرفات عامة غاصة
بالناس

أناس من الشعب : (يقبلون جريا من كل جانب) عاش مديتشي !
إنه دوق ، دوق ! إنه دوق !

الجنود : ابتعد ، أيها الوغد !

الكاردينال تشيبو : (فوق منصة ، إلى كوم دي مديتشي) سيدي :
إنك دوق فلورنسا . وقبل أن تتلقى من يدي
التاج الذي كلفني البابا وقيصر بتقديمه إليك ،
أقول إنني قد أمرت بأن أجعلك تقسم على أربعة
أشياء .

كوم : ما هي أيها الكاردينال ؟

الكاردينال : أن تحقق العدالة بلا قيد أو شرط . وألا تحاول
البتة أن تعمل شيئا تناهض به سلطة شارل
الخامس . وأن تشأ لموت ألكساندر . وأن
تحسن معاملة السيد جول ، والسيدة جوليا ولديه
غير الشرعيين .

كوم : كيف ينبغي أن أؤدي هذا القسم ؟

الكاردينال : على الأنجيل (يقدم إليه الأنجيل)

كوم : أقسم على ذلك أمام الله وأمامك ، أيها الكاردينال

! والآن ، اعطى يدك (يتقدمان نحو الشعب .
يسمع كوم وهو يتكلم من بعيد) : « أيها
السادة النبلاء جدا ، والمقتدرون جدا . إن ما
أريد أن أتقدم به إلى معاليكم أيها الأماجد ،
المحترمون جدا ، من شكر على هذا الصنيع
العظيم الذى أدين لكم به ، ليس سوى ما أقطعه
على نفسى من عهد هين بالقياس إلى ، فأنا
صغير السن (١٨) ، بأن أجعل نصب عيني دائما ،
مع خشية الرب : الأمانة والعدل والتصميم
على عدم إيذاء إنسان ؛ لا في ممتلكاته ولا في
كرامته ؛ وألا أحيد البتة في تصريف الأمور
عن نصيحة ورأى السادة الحكماء جدا ، ذوى
الرأى السديد جدا ، الذين أتقدم لخدمتهم
بكل جوارحى ، وأقدم اليهم مشورتى بإخلاص
تام » (١٩) .

(١٨) كان كوم دى مديتشى فى الثامنة عشرة من عمره *

(١٩) اورد فاركى فى « تاريخ فلورنسا » هذا الخطاب المنمق جدا ! - انظر حديث

جويتشياردىنى (٥ ، ١) وحديث الصائغ (٥ ، ٥) *

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ - مقدمة بقلم المترجم ...	٥
٢ - شخصيات المسرحية ...	١٩
٣ - الفصل الاول ...	٢١
٤ - الفصل الثانى ...	٦٥
٥ - الفصل الثالث ...	١٠٩
٦ - الفصل الرابع ...	١٦١
٧ - الفصل الخامس ...	١٩٧

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١ -	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢ -	جان انوى	القبرة (جان دارك)
٣ -	هال بوردن	البرج
٤ -	تساو يو	عاصفة الرعد
٥ -	هارولد بنتر	١ - الخادم الاخرس
		٢ - التشكيلة او عرض الازياء
٦ -	جون وبستر	الشيطنانة البيضاء
٧ -	تيرانس راكيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مفامرة
٨ -	تيرى مونيه	سباق الملوك
٩ -	جون مورثيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠ -	فريدريش دورنيماث	النيزك
١١ -	يونسكو - ادامواف - اربال	دراما اللامعقول
	البي	
١/١٢ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ١
		١ - مس جوليا
		٢ - الاب
١٣ -	نيقوس كازندزاكى	عطيل يمود
١٤ -	بيتر هايس	' انشودة انجولا
١٥ -	اوليفر جولد سميث	تواصمت فظفرت
١/١٦ -	مولير	(من الاعمال المختارة) مولير - ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● اوتجالية فرساي
١٧ -	دوجلاس ستيورات	عسكر ولصوص اونيد كيللى
١٨ -	وليم شكسبير	العين بالعين
١/١٩ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٢
		الطريق الى دمشق - ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

لعدد	المؤلف	المسرحية
٢٠ -	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١ -	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢ -	كيرانيس واتخان	روس او لودانيس العرب
٢٣ -	كارون دي بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤ -	وليم شكسبير	هاملت
٢٥ -	نويل كوارد	الحياة الشخصية
١/٢٦ -	سوفول	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ١
١/٢٧ -	جبريل مارس	نساء تراخيس
٢٨ -	انريكي خارديل بونثلا	١ - رجل الله
٣/٢٩ -	اوجست سترندبرج	٢ - القلوب النهمه
		ليلة ساهرة من ليالى الربيع
		(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٣
		١ - الاقوى
		٢ - الرباط
		٣ - الجرائم
		٤ - موسيقى الشبح
		اصطياد الشمس
٣٠ -	بيتر شافر	(من الاعمال المختارة) جورج شعادة - ١
١/٣١ -	جورج شعادة	١ - حكاية فاسكو
		٢ - السيد بويل
		انتصار حوزس
٣٢ -	ه . و . فيرمان	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو - ١
١/٣٣ -	جورج برناردشو	١ - بيوت الارامل
		٢ - العليث
٣٤ -	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طبيعية
		١ - قرافة السيارات
		٢ - فاندو ويلز
		٣ - الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٣٥ - سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢	١ - اوديب الملك ٢ - اوديب في كولون ٣ - اليكترا
١/٣٦ - جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ١	١ - اليكترا ٢ - لن تقع حرب طروادة
١/٣٧ - بوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) بوجين يونسكو - ١	١ - المغنية الصلحاء ٢ - الدرس ٣ - جاك أو الامتثال ٤ - المستقبل في البيض ٥ - الكراسي
٣٨ - كوبر - تشيرشل - شارب - مانج	مسرحيات اذاعية	
٢/٣٩ - جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل - ٢	١ - روما لم تعد في روما ٢ - المحراب المضيء أو (مصباح النعش) ١ - شيطان الغابة ٢ - الخال فانيا
٤٠ - انطون تشيخوف	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة - ٢	١ - مهاجر بريسبان ٢ - البنفسج
٢/٤١ - جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو - ١	١ - ديانا والمشال ٢ - الحياة عطاء ٣ - لذة الامانة
١/٤٢ - لويجي بيرندلو	١ - ستيفن ((د)) ٢ - منفيون	
٤٣ - جيمس جويس		

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤ - أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٤	١ - القرماء ٢ - الاميرة البيضاء ٣ - عيد الفصح
٢/٤٥ - سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢	١ - انتيجونة ٢ - اجاكس ٣ - فيلوكتيت
٣/٤٦ - جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ٢	١ - سدوم وعمورة ٢ - مجنونة شايبو
٢/٤٧ - يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ٢	١ - ضحايا الواجب ٢ - مرتجلة المسا ٣ - سفاح بلا كراء
٢/٤٨ - جبريل ماريسل	(من الاعمال المختارة) جبريل ماريسل - ٣	١ - طريق القمة ٢ - العالم المكسور ١ - الحلم الامريكى ٢ - الطابعان على الالة
٤٩ - البى شيزجال	الارض كروية	١ - الارض كروية
٥٠ - ارمان سالاكرو		
٢/٥١ - جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو - ٢	١ - السلاح والانسان ٢ - كانديدا ٣ - رجل المقادير
٥٢ - هارولد بنتر	الحارس	
٥٣ - مارتينيس دى لاروزا	ابن أمية أو نورة الموديسكيين	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤ -	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥ -	انطونيو بوينو بايخو	القصة المزدوجة للدكتور بالي
٥٦ -	يوربيديس	● الكترا ● اورستيس
٥٧ -	فيكتور هيغو	هرناتي
٥٨ -	ليو تولستوى	المستنيرون
٣/٥٩ -	مولير	(من الاعمال المختارة) مولير - ٢
		١ - سجاناريان
		٢ - المتحدثات المضحكات
		٣ - مدرسة الأزواج
		٤ - الطبيب الطائر
		٥ - غيرة الباربويه
٦٠ -	روبرت شيرود	الطريق الى روما
٦١ -	فيليب بارى	● المهرجون
		● قصة فيلادلفيا
٦٢ -	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣ -	جون جى	● اوبرا الصعلوك
٦٤ -	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٥/٦٥ -	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٥
		١ - رقصة الموت
		٢ - الطريق الكبير
٦٦ -	وليم سارويان	١ - أيام العمر
		٢ - سكان الكهف
٦٧ -	اندريه شديد	١ - العارض
		٢ - بيرئيس المصرية
٢/٦٨ -	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو - ٢
		١ - المعصرة
		٢ - اداء الادوار
		٣ - أبو زهرة بغمه

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٩ - البير كامبي	حالة طوارئ	
١/٧٠ - برنولت برشت	(من الاعمال المختارة) برنولت برشت - ١	
	١ - حياة جالليو	
	٢ - طبول في الليل	
٧١ - جراهام جرين	غرفة المعيشة	
٢/٧٢ - بوجين بونسكو	(من الاعمال المختارة) بوجين بونسكو - ٣	
	١ - المستاجر الجديد	
	٢ - اللوحة	
	٣ - الخريت	
٢/٧٣ - جودج سحادة	(من الاعمال المختارة) جودج سحادة - ٢	
	١ - السفر	
	٢ - سهرة الامثال	
٧٤ - ثورنتون وايلدر	نجونا بأعجوبة	
٣/٧٥ - جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو - ٣	
	١ - تلميذ الشيطان	
	٢ - هداية القبطان براسباوند	
٧٦ - وليم شكسبير	● الملك لير	
٧٧ - وول سوينكا	● الطريق	
٧٨ - الكسي اربوزف	● عزيزى مارات المسكين	
٧٩ - هوجو فون هوفمانزثال	زفاف زبيدة	
١/٨٠ - جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن - ١	
	١ - مياه بابل	
	٢ - رقصة العريف	
٨١ - رومان رولان	روبسبير	
٨٢ - سننكا	● أوديب	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/٨٢ -	يوجين أونيل	(من الأعمال المختارة) يوجين أونيل - ١
		١ - ظمأ
		٢ - عبودية
		٣ - فسياب
		٤ - مبحرون شرقاً الى كارديف
		٥ - في المنطقة
		٦ - بدر على البحر الكاريبي
٨٤ -	جان كوكتو	١ - فرسان المائدة المستديرة
		٢ - الآباء الأشقياء
٨٥ -	تيرانس راتيجان	١ - تعلم الفرنسية بلا دموع
		٢ - الممر المضيء
٨٦ -	فديريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموي
٨٧ -	كالدرون دي لباركا	● الحياة حلم
٨٨ -	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩ -	يوريبيديس	١ - الفينيقيات
		٢ - المستجيرات
٩٠ -	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
١/٩١ -	جون ميلنجتون سنج	(من الأعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج - ١
		١ - ظل الوادى
		٢ - الراكبون الى البحر
		٣ - زفاف السمكرى
		٤ - بئر القديسين
٢/٩٢ -	جون ميلنجتون سنج	(من الأعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج - ٢
		١ - قتي الغرب المدلل
		٢ - ديردا فتاة الاحزان
		٣ - عندما غاب القمر
٩٣ -	آرثر ميللر	١ - كلهم ابنائى
		٢ - الثمن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٩٤ -	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت - ٢ ١ - أوبرا القروش الثلاثة ٢ - لوكوس ٣ - بعزل ٩٥ - وليم شكسبير ٩٦ - كارلو جولدوني ٩٧ - اوجين لابيشر ٤/٩٨ - لويجي بيرندلو (من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ٤ ● فتاة في سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تخريف ثنائي ● الثفيرة ● لعبة الموت ٢/٩٩ - لويجي بيرندلو (من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو - ٣ ١ - ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ - كل شيخ له طريقة ٣ - الليلة نرتجل ١/١٠٠ - تشيكا ماتسو (من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو - ١ ١ - انتحار الحبيبين في سونيزاكي ٢ - معارك كوكسينجا ٢/١٠٢ - يوجين أونيل (من الاعمال المختارة) يوجين أونيل - ٢ ١ - وراء الأفق ٢ - انا كريستي ٢/١٠٢ - جون آردن (من الاعمال المختارة) جون آردن - ٢ ١ - الحرية المفلوطة ٢ - صعود البطل ١٠٣ - وليم شكسبير ١٠٤ - جايلز كوبر، كولن فينيو مأساة عطيل ١ - الطلبة الشافبون ٢ - قبل يوم الاثنين الموعود ٣ - الليلة يوم الجمعة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١.٥ -	برانييسلاف نوشميتش	١ - حرم سعادة الوزير ٢ - الدكتور
١/١.٦ -	دنييس جونستون	١ - من المسرح الايرلندي - ١ القمر في النهر الاصفر
١.٧ -	تيرانس راتييجان	١ - بينما تسطع الشمس ٢ - المهرجسون
١.٨ -	فرانسواز ساجان	● - الحصان المغمى عليه ● - الشوكة
٢/١.٩ -	تشيكاماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكاماتسو - ٢ ● - الصنوبرة المجتثة ● - انتحار الحبيبين في اميجيما
٣/١١.٠ -	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت - ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماني
٥/١١.١ -	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع ● العاصفة ● هكذا الدنيا تسير ● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحة ● الكمامة
٢/١١.٥ -	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل - ٣ مرحلة الواقعية الاولى رغبة تحت شجر الدردار الالة الجهنمية
١١٦ -	جان كوكتو	جيتس فون برلشنجن
١١٧ -	يوهان فلفجانج جيته	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

المعد	المؤلف	المسرحية
١١٨ - جان راسين	ماساة طيبة او الشقيقان فيسندر	
١١٩ - جان انوى	ليوكاديا	
١/١٢٠ - جاك اودبيرتي	● الشر يستطير ● الصابرون مضيقة النزلاء	
٢/١٢١ - جاك اود بيرتي	اسطورة دون كيشوت ١٩٦٨	
٢/١٢٢ - بويرو بايخو	حلم العقل	
٣/١٢٣ - بويرو بايخو	مكبث	
١٢٤ - وليم شكسبير	القيثارة الحليدية	
١٢٥ - جوزيف اوكونر	١ - هائلتي ٢ - الاشباح	
١/١٢٦ - اداردو دى فيليبو	● الزملاء الثلاثة (من الاعمال المختارة) برانيسلاف شيتش - ٢ ● ممثل الشعب ● الناشرون	
١٢٧ - جيمس بروم لين		
٢/١٢٨ - برانيسلاف نوشيتس		
١٢٩ - آرثر ميللر		
١/١٣٠ - ايفان سرجيبفيتش توجنيف (من الاعمال المختارة)		
	ايفان سرجيبفيتش توجنيف - ١ ● العالة ● خيال مريض ● الكرز المزهر ● توركو توناسو ● مشهد فى الطريق ● حيا بهي ● تحيا الملكة ● لورانزاتشو	
١٣١ - روبرت بولت		
١٣٢ - يوهان فللجانيج حيتة		
١٣٣ - المر راييس		
١٣٤ - وليم كونجريف		
١٣٥ - روبرت بولت		
١٣٦ - الفريد دى موسيه		

من الاعداد القادمة

١٩٨٠/١٩٨١

المؤلف	المسرحية	المترجم
جون هاردى	القلب المحطم	د. منير صلاحى الاصبحى
تورجيتيف	العالة - خيال مريض - الاعزب - الريفية - شهر فى القرية	د. ستميه عفيفى
جيتيه	توركواتو تاسو	د. عبد الرحمن بدوى
آرثر ميللر	الناشرون	د. محمد رجاء الدرينى
فرانس جريلبارتسر	الجددة الاولى - سابغو	د. باهر الجوهري
كورنى	ميليت - السيد	د. كوثر عبد السلام البحرى
جيمس بروم لين	الزملاء الثلاثة	الشريف خاطر
برانيسلاف نوشتيش	ممثل الشعب - المرحوم - مستردولار	د. فوزى عطيه محمد
المر رايى	مشهد فى الطريق دنيا زوال	محمد الحديدى د. محمد رجاء الدرينى
يوجين اونيل	الامبراطور جونز الاله الكبير براون الفوريللا	د. عبد الله عبد الحافظ د. عبد الله عبد الحافظ د. محمد اسماعيل الموائى
روبرت بولت	تحيا الملكة الكرز المزهري النمر والحصان	محمد كامل كمالى الشريف خاطر الشريف خاطر
جولدونى	ثلاثية الاصطياف	سعد اردش
ايسخيلوس	الفرس - السبعة ضد ظيبه المستجيرات - بروميشيوس مقيدا	أمين سلامه
شون اوكيسى	المحراث والتجوم ظل مقاتل - نهاية البداية	فوزى العنتيل حسين على اللبوى
ادواردو دى فيليبو	عائلتى - الاشباح	د. سلامه محمد محمد سليمان
الفريد دى موسيه	لورانتاشو	ميخائيل بشاى

المترجم

ميخائيل بشاي بانوب .. من مواليد المحلة الكبرى ج ٠ م ٠ ع
.. يكتب المقال والقصة .. ويقدم المسرحيات العالمية منذ
الاربعينات .. ترجم العديد من المسرحيات العالمية للبرنامج
الثاني باذاعة القاهرة وسلسلة من المسرح العالمي في الكويت .

المراجع

يوسف عبد الله شاهين .. من مواليد القاهرة .. أستاذ
اللغة الفرنسية بمركز اللغات بجامعة الكويت .. عضو لجنة الجامعات
العربية في منظمة الاوبيلف .. يشترك في تأليف كتب اللغة
الفرنسية بوزارة التربية في الكويت .. له أبحاث في المسرح
الفرنسي .

في العَدَد القادم

من الأعمال المختارة :

- الامبراطور جونز ١٩٢٠ تأليف : يوجين أونيل - ٤
- الفوريل ١٩٢٢ المرحلة التعبيرية

المسرحيتان اللتان نقدمهما في هذا المجلد الرابع من أعمال يوجين أونيل تمثل المرحلة التعبيرية في فنه الدرامي .

● الامبراطور جونز :

تكشف بأسلوب ملحمي رائع عن مأساة الزنجي الأمريكي وهي من افضل مسرحيات أونيل وتقع في ٨ مشاهد يختلط فيها الواقع بالخرافة والأساطير . نهاية الزنجي فيها تشبه نهاية الانسان البدائي في رواية الدوس هكسلي عالم جديد شجاع (١٩٣٢) الذي يشنق نفسه في نهايتها كما يقتل الزنجي برصاص أعدائه .

● الفوريل :

أو القرد الكثير الشعر هو الهوبر أو الهبار يعود بنا الى البدائية مرة أخرى فنرى هانك يتنقل من عنبر نوم الوقادين في عابرة محيطات الى عنبر الأفران وفي النهاية الى بيت للقردة - وكلها أماكن توحى بالحبس والسجن ، بالأقفاس والقضبان . لهذا يقول لنا أونيل في المشهد الاول : « الأثر المطلوب هو لمكان مهندس في جوف مركب يحيط به صلب لامع من جميع الجهات كأنه قضبان سجن ، وصفوف الأسرة ولا سيما الأعمدة التي تحملها تتشابك كأنها ضلوع قفص من حديد ، والسقف مطبق على رؤوس الرجال فلا يستطيعون الوقوف منتصبين » .

اهي عودة الى البدائية او اننا ، كما يقول جورج اورويل ، في بطن الحوت !

في هذا العدد

تأليف : ألفريد دي موسيه

● لورنزا تشو ١٨٣٤

كان ألفريد دي موسيه هو « الولد المزعج » عند أقطاب المذهب الرومانسي الجديد ، فقد كان يصر على أن يجمع العمل الادبي بين الطابع العالمي الذي تتسم به الاعمال الكلاسيكية ، والطرافة التي تميز الانتاج الرومانسي . كان يرفض الوصف ، والاساطير ، والرموز ، وجزالة اللفظ ، ويوفق دائما بين بساطة البناء الكلاسيكي ، وحرية اختيار الشكل التي تبيحها الرومانسية لاصحابها .

المصدر الرئيسي للمسرحية هو ذلك الفصل من كتاب : تاريخ فلورنسا للمؤرخ الايطالي بنديتو فاركي ، الذي يتناول حياة لورنزو دي مديتشي ومقتل الكساندر - دوق فلورنسا - بيده عام ١٥٣٧ . وقد التزم ألفريد دي موسيه الدقة التاريخية تماما فلم يبتكر من أحداث المسرحية شيئا فضلا عن أنه أفاد من ثورة يوليو ١٨٣٠ في فرنسا ، ومن تأسيس « ايطاليا الفتاة » عام ١٨٣١ .

قد يذكرنا لورنزو وهو يفكر في الثأر بهاملت ، وهو نفسه يذكرنا ، في المشهد الثالث من الفصل الرابع ، بأوريست . ولكن بمن يذكرنا في الفصل الخامس ، عندما يخرج لملاقاة الموت في يأس واستهانة ؟ لم يكن لورنزو غير الصورة الدرامية ، والوجه الحقيقي لموسيه ، ذلك العرييد الذي يحن الى الفضيلة ، ذلك السياسي الذي يفسد ارتيابه في الناس ايمانه بقدرتهم على تغيير مقدراتهم .